المجلس الأعلى للغة العربية

اللغة العربية

مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية

العدد الثاني 1999

مجلة اللغة العربية

دورية تعنى بقضايا العربية وترقيتها يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية

***المجلـة منبـر حـر، ولـيس كـل مـا ينشـر فيهـا معبـرا بالضـرورة عـن موقـف المجلس.**

التحرير والمراسلة:

المجلس الأعلى للغة العربية

6 شارع العقيد أحمد بوقرة

الأبيار . محافظة الجزائر الكبرى

ص . ب . **575** ديدوش مراد . الجزائر

الهاتف : **02 23 07 24/25**

الناسوخ : **02 23 07 21**

الرمز الدولي : **2 213**

العدد الثاني

1999

***المقالات التي ترد على المجلة لا تُرَدّ إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.**

اللغة العربية

محتويات العدد

استهلال 10

. الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض................ 15

صناعة المصطلح في العربية

. الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح 32

مشروع الذخيرة اللغوية وأبعاده العلمية والتطبيقية

. الدكتور أحمد بن نعمان 50

مستقبل اللغة العربية

. الأستاذ الدكتور عبد المجيد عمراني 60

نحو منظور جديد لتدعيم وتطوير اللغة العربية في ظل العولمة

. الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكري 75

بين تفصيح العامية وتعريب الفصحى

. الأستاذ الدكتور صالح بلعيد 84

اللغة العربية والتعريب العلمي . آراء وحلول-

. الأستاذ الطاهر ميلة 101

إشكالية استعمال الكلمات الدخيلة والعامية في بعض الأعمال الأدبية والصحفية

. الأستاذ الدكتور مختار نويوات 112

جهود العلامة موسى الأحمدي نويوات في خدمة العربية

. الدكتور إبراهيم سعدي 125
إشكالية التواصل اللغوي بالجزائر
. الأستاذ الدكتور محمد كشود 134
تعريب الذهنيات قبل الألسنة
. الدكتور حلام الجيلالي 153
واقع المعجم العربي المعاصر وآفاق المستقبل
. الدكتور عبد الرحمن خربوش 175
المصطلح اللغوي في ألفية ابن معطي
. الأستاذ الدكتور سعيد مقدم 188
إشكالية المصطلح الإداري
. الدكتور محمد يحياتن...194
إلى أين وصل البحث اللساني؟ لسانيات الخطاب نموذجا.
حوار مع باتريك شارودو (الترجمة)

استهـــــلال

الإنتاج اللغويّ، يسبق الإنتاج المعرفيّ

اللّغة هي مفتاح المعرفة. ذلك بأنّ المعرفة إنّما تكون بالإدراك العقليّ الذي لا يمكن أن يتمّ إلاّ بواسطة اللّغة التي هي أداة للإرسال والاستقبال معاً. فبدون اللّغة لا يمكن لأحد أن يعبّرَ تعبيراً راقيا واضحا مفهوما لدى المثقّفين (وذلك حتّى نُقصيَ لغة الإشارات والنّصب والصُّوَى التي قد توضَع للتّواصل بين المرسِلين والمستقبِلين عوضاً عن أداة التّواصل الممتازة التي هي اللّغة وحدها...)؛ كما لا يمكن لأحد أن يفهم الرّسالة المبثوثة، في معظم أطوار التّواصل وأرقاه، إلاّ بواسطة هذه الأداة اللّغويّة العجيبة التي نلعب بأصواتها العشوائيّة في صِبانا؛ في حين أنّنا لا نفتأ نحلم بالأمانيّ الجميلة بها أيضا في كِرَانا.

نُسْأل باللّغة عن أعمالنا في أخرتنا، ونُلَقَّن الشّهادةَ بها في آخر اللّحظات من حياتنا. تبليغ الرّسالاتِ النّبوية بها. إعلان الإيمان بها. إعلان الكفر أيضا بها. بها نُعلن الحرب. وبها نَنشُد السّلْم. وبها نعبّر عن أجمل العواطف وأرقّ الأحاسيس حين نحبّ أو نعطف. وبها نأتي كلّ شيء. وبدونها لا نستطيع أن نأتيَ شيئاً ذا بال... فليس وراءَ وجود اللّغة إلاّ الصّمتُ، والبَكَم، والعَدَم. وإذن، فبدون لغة ناهضة، راقية طيّعة، فتيّة، ذات قابليّة للتّعامل مع المفاهيم الحضاريّة والتّكنولوجيّة الجديدة، لا يجوز أن توجد أمة ناهضة. فكلّ أمّة ناهضة، وراءها حتماً لغة ناهضة. وإذن، فما من

نهضة، إلاّ وأساسها اللّغة. اللّغة التي هي أداة التّفكير في مستوياه الأرقى، ووسيلة التّعبير في صُوَرِهِ العُلَى.

واللّغة لغات: راقية، وبدائية منحطة، وبينهما دون، أو فوق ذلك. مثلها مثل الأمم درجات: متطورة ومتخلّفة، وبينهما درجات دون، أو فوق، ذلك. ولا يجوز للّغة إلا أن تكون مِرآة حقيقيّةً للمستوى الحضاريّ الذي بلغه الناطقون بها؛ فهي مِرآتُهُم المجلوَّةُ التي فيها ينعكسون، ووجهُهُم النّاضِر، أو الشّاحب، الذي به يَبْدون.

وليس ينبغي أن يكون هناك رُكَامٌ معرفيٌّ ذو درجات راقية من العلميّة، ما لم يكن قُيِضَ له ركامُ معرفيّ عبر اللّغة، باللّغة، وانطلاقاً من اللّغة.. فلم تكن النّهضة الحضاريّة العربيّة الإسلاميّة إلاّ بعد نهضة لغويّة عجيبة شملت كل تقنيات اللّغة: رواية نصوصها من أفواه الأعراب البادين في أعماق الأودية السّحيقة، وعبر الصّحاري المخُوفة، ثمّ توثيقها على طواميرَ بلغت أحجامها في مكتبة أبي عمرو بن العلاء مقدار غرفة كبيرة... وكان أثناء ذلك يحتدم الاجتهاد في تأسيس نحوها وتقعيد صرْفها، وتأصيل أساليبها البلاغيّة...

وفي أسوإ كلّ الأحوال لا نجد النّهضة العلميّة إلاّ مُواكبةً، أو مُزامنةً، للنّهضة اللّغويّة؛ إذْ لم يكن الكِنديّ، وابن الهيثم، وبختيشوع، والخوارزميّ، والفارابيّ، وابن رشد، وابن سينا من وجهة؛ وعبد الحميد، والبحتريّ، وأبو تمّام، والجاحظ، والمتنبّي وسَواؤُهم من وجهة أخراة: إلاّ أثناء، أو خِلافَ، وجودِ فطاحلَ من المفكّرين اللّغويّين في المستوى العالميّ أمثالِ الخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديِّ، وسيبويه، وابنِ جنّي، وعبدِ القاهر الجرجانّي، وابن منظور،

وابن خلدون وسَوائِهم من العباقرة الذين بهم تزهو الحضارة العربيّة الإسلاميّة وتفخر...

ولو جئنا نبحث في النّهضة الغربيّة الحديثة لَما ألفيناها قامت على العيّ والبَكاءة؛ بل هي أيضا قامت على ركام لغويّ ضخم، لم يلبث أن أفضى إلى ركام معرفيّ ضخم؛ فلم تكن هذه الإنجليزيةُ التي يُظَنُّ أنّها أقدر على التّعبير عن أدقّ المعاني التّكنولوجيّة المعاصرة، حتّى كانت قبلها إنجليزيّة شكسبير الشّعرية... ولا يقال إلاّ نحو ذلك في ألمانيّة الألمان التّكنولوجيّة؛ فهي لم تكن إلاّ بعد أن كانت ألمانية قوث وبريخت الشّعريّة، وألمانية هيجل وكانط الفلسفية. كما لا نعتقد أنّ روسيّة الصّواريخ والأقمار الصّناعيّة والأسلحة المتطوّرة قامت إلاّ على لغة جوركي، وطولسطوي الأدبية؟ فأرُونا أيّ نهضة تكنولوجيّة، في تاريخ الحضارات الإنسانيّة منذ خمسة وعشرين قرناً، قامت على دون اللّغة؟... أو لا تكون هذه الحقيقة مدعاةً إلى الزّيادة من العناية باللّغة العربيّة أساساً، وجميع اللّغات الحيّة معها، ليُتقنها تلامذتنا وطلاّبنا كيما يستطيعوا استعمالَها بكفاءة عالية تعبيراً وكِتاباً؟ وما بالُ شبابنا إذا طُلِبَ إليهم أن يتحدّثوا في موقف عامّ أُصيبوا بالبَكَاء، حتّى تراهم يكادون يُجْهشون بالبُكاء؛ فيُرْتَج عليهم فهم لا يعبّرون إلاّ بتجلجل ولا يتكلّمون إلاّ بتلعثم؟...

ولعلّ من أجل بعض ذلك جاء المجلس الأعلى للّغة العربيّة ليحاول الإسهام في ترقِيَة الرّكام المعرفيّ اللّغوي وتطويره؛ حيث لا يمكن لعالم من العلماء، ولا لمفكّر من المفكّرين، أن يُنتج المعرفة، في أيّ درجة من درجاتها، الدّنيا أو العليا، إلاّ باللّغة، ومن خلال اللّغة. وإلاّ فأنَّى للعالِم أن

يصوغ نظريّـة، أو يشرح فكرة، أو يؤسّس قضيّة: وقبل ذلك أنّـى لـه بتلقّي المعرفة العالية، وفهْم نظريّاتها المعقّدة لكي يقعَ العمْدُ، من بَعْدُ، أو من بُعْد، إلى تطبيقها، في غياب إتقان اللّغة؟

وهذه مجلّة " اللّغة العربيّة"، نَزْدَفُّها في عددها الثاني محمّلةً، ولا أقول مُوقَرَةً، مقالاتُها وأبحاثها في طبَق لغويّ يستشرف ترقية العربيّة المعاصرة، والخوض في قضاياها العويصة، وتقنياتها الطّيّعة والعصيّة، والأخذ بها من نحو الشّعر الذي لا يمكن للأمم المتحضّرة العظيمة أن تستغنيَ عنه على كلّ حال، إلى نحو التّكنولوجيا التي لا يمكن للأمم أن تتطوّر إلاّ بها. ولقد يلاحظ القارئ أنّنا ننحو، وسننحو في المستقبل أحسن، بأهداف هذه المجلّة إلى تناوُل القضايا اللّغويّة التّقنيّة الخالصة: فنبحث في تطوير مصطلحاتها، وفي تيسير نحوها، وفي تبسيط كتابة إملائها؛ أي بمحاولة البحث في جملة من نقائصها لتكملتها؛ وهل توجد لغة كاملة على الأرض؟ حتّى لقد قيل: إنّ الإنجليز تساءلوا في حزن وحيرة: لما ذا لا تكون اللّغةُ الإنجليزيّة لغةَ أهل الأرض جميعا؟... أي أنّهم، ببعض ذلك، يعترفون ضمناً بنقص لغتهم، ولكنّهم يسعَوْن، أبداً، إلى ترقيتها، وتبسيطها، في الوقت ذاته، لتزداد انتشاراً، فلا تُبقي على لغة أخرى في العالم، ولا تذر... فهل تساءل أحد من النّاطقين بالعربيّة، يوماً، بعض هذا التّساؤل المقلق المحيّر؟ إنّ الذين يعترفون بنقْص أنفسهم، أو بنقص أشيائهم، هم المعْتَدُّون بأنفسهم، وهم الأقدرون، بالضّرورة، على بلوغ درجة الكمال... لننبذِ الأفكار التي تكرّس كماليّة الأشياء التي منها اللّغة، ولنُقبلْ على البحث في نقائصها لعلّنا أن نقدر على اِستكمالها... فهل نحن فاعلون؟

الجزائر، في 3 يناير2000

عبـد الملك مرتاض

صناعة المصطلح في العربيّة

المصطلح: مفهوم يتمحّض لدراسة الألفاظ التّقنيّة المنصرفة إلى علْم من العلوم، أو فنّ من الفنون، أو حقل من الحقول المعرفيّة[1]. ويُعرِّف المصطلحَ معجمُ روبير بأنّه لفظ خاصّ يُستعمل في حقل من المعرفة، أو في حقل حِرَفِيّ؛ أو هو مجموعة من الألفاظ التّقنيّة المنتمية إلى علْم ما، أو فنّ ما[2]. ويتألّف هذا المفهوم في اللّغات الغربيّة بعامّة من عنصرين اِثنين؛ وذلك كما يمثُل في « Terminologie» الفرنسيّ. ولقد جاء العنصران الاِثنان بالنّسبة للفرنسيّة من « Terme»، وهو الذي جاء من اللّفظ اللاّتينيّ « Terminus» والذي معناه الحدّ؛ مضافةً إليه اللاّحقةُ الإغريقيّة المعروفة «Logos» الواردةُ بمعنى العلم. فكأنّه يعني في اللّغات الأوربيّة بعامّةٍ عِلْمَ الحدّ؛ أي العلم الذي يستطيع وضْعَ الحدود للمفاهيم.

ذلك، ولم يُصطنع المصطلحُ بمعنى الدّلالة المعرفيّة للمفهوم، في اللّغة الفرنسيّة مثلاً، إلاّ في عام 1801 على يد الكاتب الفرنسيّ لويس سيباستيان مرسيي (Louis Sébastien Mercier, 1740-1814).

وجاء لفظ المصطلح، في اللّغة العربيّة، (وكان يطلق عليه في مبتدأ الأمر «الاِصطلاح» من تركيب[3] [ص ل ح] الذي من معانيه الإصلاح، والصّلاح، والمصلحة؛ ومن ذلك ما يعنينا هنا وهو «المصطلح»). فكأنّ المصطلح في أصله يعني اتّفاق أناس على تخصيص لفظ ما لحقل معرفيّ معيّن يليق بالدّلالة التي يودّون الانتهاءَ إليها من أجل مصلحة يجْنونها خلافَ ذلك الاِستعمال. فكأنّ الاصطلاح –أو المصطلح– بهذا المفهوم في

اللّغة العربيّة، يعني الاتّفاق. ونلاحظ أنّ مفهوم المصطلح، في اللّغة العربيّة، لا يطابق مفهوم المصطلح في اللّغات الأوربيّة من حيث الاِشتقاقُ والمعنى؛ ولكنّه يطابقه من حيث الوظيفةُ والدّلالة.

وقد يكون المصطلح موروثاً منحدراً من الاستعمال العامّ للّغة كما يمثل ذلك في مصطلحات علماء اللّغة وعلماء الحديث معاً؛ وهو: «الرّاوية» الذي كان يطلق في أصله على الجَمل الذي يُسْتَقَى عليه الماء. ولَمّا كان الرّاوية، في أصله، محمَّلاً بالماء الذي هو رمز للخصب والنّماء والحياة؛ فقد قاسُوا حامل العلم على حامل الماء لثبوت العَلاقة، ثمّ أطلقوا عليه الإطلاقَ نفسَه. كما قد يكون المصطلحُ مستعاراً أو منقولاً من لغة أخراةٍ؛ ويُنقل في مثل هذه الحال، في الغالب، بنصّه حرفيّاً، أو بتغيير طفيف في البِناء أو الصّوت: كما يمثل ذلك في مصطلح «التّلفون»، و«التّلفزيون»، و«الرّاديو»، و«الفاكس».

والحقّ أنّ كلّ اللّغات الحيّةِ مُقيَّضٌ لها لأن تُعْطِيَ وتأخذ في الوقت ذاته في مجال المصطلح؛ فالعربيّة أعطت اللّغات الإنسانيّة من المصطلحات الآلاف[4]؛ حتّى إنّ أكثر من ستّين في المائة من ألفاظ اللّغة الفارسيّة من أصل عربيّ. في حينَ أنّ اللّغة العبريّة تدين في مصطلحات نحوها للّغة العربيّة باعتراف اليهود أنفسهم[5]. ولقد ثبت أنّ ثلاثمائة لغةٍ في العالم اتّخذت لها الحروف العربيّة أبجديّة لها، وخصوصاً في إفريقيا وآسيا حين كان التّاريخ تاريخاً، والعرب عرباً؛ وذلك على الرّغم من أنّ هذا العدد تقلّص على عهدنا هذا إلى زهاء خمسٍ وثلاثين لغةً فقط. وأيّاً كان الشّأن، فلا يُخْجِلُ اليومَ العربيةَ أن تأخذ هي أيضاً من بعض اللّغات العالميّة الكبيرة لإثراء جهازها المصطلحاتيّ.

ونلاحظ، في هذا السّياق، أنّ كلّ حقل من الحقول المعرفيّة يصطنع مصطلحاته الخالصة له، الموقوفة عليه؛ وذلك مثل التّخصّصات العلميّة، والحِرَف، والصّناعات، والفنون على اختلافها. وتزداد اللّغة سَعةً وثراءً كلّما هُيِّئتْ لاستقبال عِلْم جديد؛ فالمصطلحات السّينمائيّة، ومصطلحات كثير من الفنون والعلوم الجديدة مثل الطّيران، وصناعة السّيّارات، والإعلام الآليّ، والصّناعات النّفطيّة لم يكن لها وجود في القرن التّاسع عشر. في حينَ لم يكن النّاس يعرفون كبير شيء ممّا يعرفونه الآن من المصطلحات المستخدَمة في مجال الصّناعة الإعلاميّة بأشكالها المختلفة. ويتبيّن لنا من بعض هذا أنّ أيَّ لغة قابلة للتّطوّر إذا كان النّاطقون بها، من أهلها، قادرين على إثراء المعرفة، وتطوير حقول العلم.

ولقد كان أبو عثمان الجاحظ اهتدى إلى التّدبير في هذه المسألة منذ اثني عشر قرناً حين لاحظ أنّ لكلّ قومٍ ألفاظاً حَظِيَتْ لديهم فتراهم يردّدونها بأعيانها في استعمالاتهم[6]؛ وهو ما يُعرف اليوم باللّغة الوظيفيّة[7] بحيث تجد أهل كلّ حرفة يصطنعون مصطلحاتٍ موقوفةً عليهم: تتّخذ دلالاتُها معانيَ غيرَ المعانِي العامّة إن وُجِدت؛ وإلاّ فإنّهم قد يصطنعون لغة (أي مصطلحات) لا توجد في الِاستعمال المعجميّ العامّ.

ذلك، وإنّ أكثر اللّغاتِ تطوّراً في العالَم هي أقدرُها على إيجاد المصطلح اللاّئق للمعاني الحضاريّة الجديدة، والمستكشفات الطّارئة في كلّ حقول المعرفة. واللّغة القادرة على إيجاد المصطلحات المتمحّضة للحياة المحلّيّة، والعادات والتّقاليد الفولكلوريّة كإيجاد آلاف المصطلحات للمرتفقات الحضاريّة القديمة، التي نعدّها نحن اليوم بدائيّة، ولكنّها كانت على عهدها مصطلحات

تقنيّة لكلّ الْمُسمَّيَات التي كان العرب القدماء يستعملونها في حياتهم اليوميّة، قد تكون من حيث المبدأ، وعلى مستويات متفاوتة من الكفاءة، قادرةً على ابتكار أدقّ المصطلحات وأكثرِها تعَقُّداً واعْتياصاً في حقول المعرفة؛ سواء علينا أكان ذلك متمحّضاً للعلوم الإنسانيّة ومَفْهَمَةِ المعرفة فيها، أم متمحّضاً للعلوم الدّقيقة وتذليل المصطلح اللاّئق بكلّ الوظائف التّقنيّة، وحركة الآلات الصّناعيّة وتضافرها فيما بينها لإنجاز وظيفة محرّكٍ أو آلة أو جهاز لدى نهاية الأمر.

وكَأَيِّنْ مِن عربيّ يستهين بلغته ويحسبها قاصرةً عن أن تَسَعَ المعانيَ الجديدة المعاصرة تعبيراً؛ وذلك حين يُصيبه الانبهار بقدرة اللّغات الغربيّة على ذلك؛ وبخاصّةٍ منها الإنجليزيّةُ والألمانيّة والفرنسيّةُ؛ فيستسلمُ للقضاء والقدَر، وينسَى ما للعربيّة من طاقة مُعجميّة لا تنفَدُ، لو وَجدت من ينبُش في بطون معاجمها، وينقّب عبر أمّهات تراثها؛ ولو ألْفَت مجتهدين لغويّين كباراً يفكّرون في طبيعة عبقريّتها وأبْنِيَتها ومُرادفاتها وأضدادها وصِيغ المبالغة فيها، وطرائق النّحت والتّركيب في ألفاظها، وقدرتها العجيبة على الانزياح بمعانيها من وجه إلى وجه آخر دون أن تجد في ذلك حرَجاً أو عُسراً؛ لأنصفوا لغتهم واعتزّوا بها اعتزازاً يليق بمقامها في التّاريخ.

والذي ينظر في العربيّة كيف كانت أيّام الجاهليّة الأولى، ثمّ كيف أصبحت في العهد الإسلاميّ، ثمّ في العهود اللاّحقة، ويقارن التّطوّر الكبير الذي أصابها في تلك الأطوار التي اعتورتْها؛ وكيف انتقلت معانيها من المحسوسة إلى المجرّدة بشكل مثير، يتبيّن له أنّ هذه اللّغة لم تكنْ لتكونَ لغة الشّعر فحسْب؛ كما يتّهمها بعض الذين يناصبونها العداوة والبغضاءَ؛

ولكنّها كانت لتكون، إلى ذلك، لغةَ فكْرٍ وحضارة وتكنولوجيا. فلقد جدّ في هذه اللّغــة، منــذ ظهــور الإســلام إلــى نهايــة القــرن الثــامن للهجــرة، آلافُ المصطلحات؛ ذلـك بأنّنـا نجـد رُواةَ اللّغـة يُنشـئون مصـطلحاتهم مـن عامّـة الإستعمال اللّغويّ، ولـم يـأْتِ رُواة الحـديث النّبـويّ الشّـريف، وعلمـاء النّحـو، وعلماء الأصول، وعلماء البلاغة إلاّ بعض ذلك. وكـان ذلـك كلّـه قبـل أن يصـل إلى العربيّة الفلاسفةُ والبياطرة والأطبّاءُ والرّياضيّاتيّون والفَلَكيّون والكيميائيّون والموسـيقيّون والحِرَفيّـون وسَـواؤُهم؛ فـإذا كـلّ فريـق مـن هـؤلاء يضـع لحقلـه المعرفـيّ مصـطلحات يردّدهـا أو يُحـاجُّ بهـا... ولـم نعثـر علـى أثـر، فـي تـاريخ الثقافـة العربيّـة، لشـكاية واحـدة مكتوبـة أو مرويّـة، عـن صـعوبة مـا سـاورت سـبيل العلمـاء العرب فـي إيجـاد مصـطلحات مـن لغـتهم؛ ابتـداءً مـن تعريـب الدّواوين الذي قام به صالح بن عبد الرّحمن كاتب الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ، وصــاحب دواويــن العــراق[8]، إلــى اختراعــات الخــوارزمي وجــابر والكنــديّ، واستكشافات ابن الهيثم، وعجائبيّات الطّبيب بختيشوع، وسَواءِ ذلـك ممّـا لـيس هذا مكانَ تفصيل القيل فيه..

ولا يقـال إلاّ نحـو ذلـك فـي شـأن العربيّـة لـو قارنّـا بـين حالهـا فـي بدايـة القرن العشرين وكيف كانت ركيكـة ضعيفة إلـى حدّ بعيـد حتّـى علـى مستوى النّسْـج الأدبـيّ، وعـاجزة عـن اسـتيعاب مصـطلحات العلـوم بشـكل يـدعو إلـى الرّثاء؛ وبين حالها لدى بدايـة القرن الواحد والعشرين وكيف اغتدت رشيقة صـقيلة، وفتِيَّـةً حيِيَّـةً. وكلّ هذا التّطـوّر الذي أصابها إنّمـا كـان بفضـل جهـود العلمـاء، ومؤسّسـات التّعلـيم علـى اخـتلاف مراحلهـا وأنظمتهـا، ومعهـا وسـائل الإعلام الرّصينة على تبـاين قنواتهـا... وببعض ذلـك أمسـت العربيّـة علـى مـا

نعرفها عليه في الوقت الرّاهن: رشيقةً مصقولة، وحييّةً متحفّزة؛ يُحِسّ مستعملُها، المتحكّم فيها، على أنّها لغة في ريعان الشّباب؛ وأنّ الزّمن المتطاول الذي مرّ عليها لم يَنَلْ منها شيئاً، بل كأنّه لم يَزِدْها إلاّ جِدّةً وصَقْلاً؛ وذلك بفضل ما جدّدت من إهابها، ونَضَّرَتْ من شبابها.

في حين لا نزال نحن اليوم نَضجّ بالْمُعاناة والشَّكَايَا، ونُنادي بالويلات والبَلايَا؛ وذلك أَمام تكاسلنا وتقصيرنا، لا تقاصُرنا، في حقّ التّحصيل اللّغويّ، من عجز هذه العربيّة عن أن تَسَعَ مصطلحات العلوم والفنون والتّكنولوجيا والمعلوماتيّة على العهد الرّاهن؛ فنُؤْثِرَ أن ننقلَ هذه المصطلحات جاهزةً معلَّبةً مقرطسةً؛ كما نؤْثر أن نستهلك ما يَرِدُ علينا معلَّباً مقرطَساً من بضائعِ أهلِ الغرب النّشطين العاملين، دون أن نفكّر، أو نكاد نفكّر، نحن في صنعها على نحو ما يصنعون.

ولقد نظرت في هذا الأمر طويلاً، وقلّبته على جملة أوجُهٍ فتبيّن لي بعد أمّةٍ أنّ سبب هذه المحنة اللّغويّة، على عهدنا الرّاهن، تعود، في الغالب، إلى أنّ العلماء الذين يشتغلون بحقول العلوم مثل الهندسة والرّياضيّات والطِّبّ والصّيدلة والإعلام الآليّ وسائر الحقول التّكنولوجيّة التي نراها، والتي قد تكون في نفسها حقّاً كذلك، متناهيَةَ التّعقيد: لا يعرفون العربيّة العالية التي تمكّنهم من إيجاد مُقابلاتٍ عربيّةً سليمةً لوظائفِ الآلاتِ والأجهزة التي يتعاملون معها جملة أو تفصيلاً. ولَمّا لم يُتَحْ لهم أن يتلقَّوْا تكوينهم العالِيَ بالعربيّة السّليمة؛ ولَمّا كانوا قاصرين، أو متقاصرين، في التّعامل مع هذه العربيّة باحترافيّة كاملة نتيجة لذلك؛ فقد وُسْوِسَ لهم أنّها عاجزة عن سَعَةِ تَالِكَ المعانِي التّكنولوجيّة اليوميّة التي يتعاملون معها في مُختبَراتهم وفي

بحوثهم التي يكتبون، وفي مُحاضراتهم التي يُلقَون، أو يُتَلَقَّوْنَ، فوقعوا في اليأس واستراحوا؛ في حينَ أنّ الحقيقةَ هي أنّهم هم العاجزون.

وأمّا الذين يعرفون العربيّة في العالم العربيّ، معرفة كافية، فهم أساساً أساتذة اللّغة العربيّة وأدباؤُها؛ وهؤلاء لا يستطيعون إيجاد مصطلحات لوظائفِ آلاتٍ لا يتعاملون معها، ويجهلون أسرار ارتباطها، وعِلّيّات عَلاقات بعضِها ببعض؛ فكيف نطالبهم بما لا يجوز؟

وبين هاتين المفارقتين ضاعت العربيّة. وفي الحالين الإِثنتين ليست المنظومات التّربويّةُ بريئةً ممّا وقع للعربيّة من سوء الطّالع، وتخلّف عن بعض الرّكْب الخابط.

وكان من الأَوْلَى تضافر جهود هؤلاء وأولئك، على صعيد واحد، وفي هيئة واحدة كأن تكون مجامع اللّغة العربيّة أو مراكز البحث، من أجل ترقية العربيّة وجعْلها تتواكب مع كلّ المستجدّات والحاجات التّكنولوجيّة.

وعلى أنّ هناك، بنعمة اللّه، استثناءاتٍ في كفاءات عربيّة تُصادَفُ هنا وهناك: تمثل في علماءَ يجمعون بين إتقان العربيّة بالإضافة إلى التّمكّن من الإلمام الدّقيق بتخصّصهم المعرفيّ. وعلى أمثال هؤلاء يُعلَّقُ الأملُ في تطوير العربيّة.

ولعلّ من أجل ذلك نجد العلوم الإنسانيّة تُدَرَّسُ كلّها باللّغة العربيّة في العالم العربيّ، ومنها علم الاِجتماع، وعلم النّفس، واللّسانيّات العامّة، والحقوق، وسَواؤُها؛ وذلك على الرّغم من أنّ اللّسانيّات والسِّيمَائيّات أمست في مصطلحاتها الدّقيقة والمتجدّدة كالإعلام الآليّ؛ تتجدّد مصطلحاتُها المعقَّدة وتتطوّر كلّ ستّة أشهر على الأكثر. ومع ذلك فمَعاظِمُ المصطلحات

اللّسانيّاتيّةِ، وعلى تعقيداتها المُتناهيَةِ الإعتياصِ، وسِعَتْهَا العربيّةُ المعاصرة استعمالاً واستيعاباً. في حين لا تبرح العلوم والتّكنولوجيا، في كثير من الأقطار العربيّة، تُدرَّسُ، باستِخذاء، إمّا بالإنجليزيّة وإمّا بالفرنسيّة بحجّة صعوبة العثور على المصطلح اللاّئق طوراً، والتّطلّع إلى الرّغبة في جَنْيِ كثير من الثمرات في قليل من الأوقات، طوراً آخر.

وعلى الرّغم من أنّ المفاهيم الإنسانيّة والتّكنولوجيّة هي هي، مع الإعتراف بوجود بعض التّفاوت بينها في الصّعوبة؛ إلاّ أنّ اللّسانِيَّاتِيِّين استطاعوا أن يوُجِدوا المصطلحات العربيّة التي تؤدّي معانيَ المفاهيم المعرفيّة في اللّغات الأجنبيّة؛ وذلك لتمكّنهم من اللّغة من وجهة؛ ولتمكّنهم من معرفة المفاهيم في أصولها الأجنبيّة من وجهة أخراة. على حين أنّ علماء التّكنولوجيا العربَ هم غيرُ ذلك شأناً.

والذي يعود إلى حقلَيِ اللّسانيّات والسّيمائيّات ينبهر من هذا الفيض الفائض من المصطلحات الإنجليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة للمفاهيم الجديدة التي على الرّغم من أنّ العربيّة تجد صعوباتٍ لا تُنكر في نقلها أو تعريبها إلاّ أنّها، إلى اليوم، استطاعت أن تنقل، أو تترجم، معظم هذه المصطلحات إليها. ولو بحثنا عنها في معاجمها منذ عشرين عاماً لما عثرنا لها على مصطلح واحد، بل لَمّا تدخل المعاجم العربيّة إلى يومنا هذا؛ وذلك مثل: «التَّمَدْلُل» (وهو مصطلح من اقتراحنا)، أو «التَّمعْنَى» (وهو مصطلح من اقتراح بعض المغاربة) الذي اتُّخِذَ مقابلاً لمصطلح جوليا كريستيفا: « Signifiance»؛ و«الْمُوَاسِم» الذي اقترحناه مقابلاً للمصطلح الأجنبيّ « Sémiosis» (على حين لا يزال يستعمل في الكتابات النّقديّة العربيّة على أصله تحت مصطلح

»السّمْيوزة» [وربما كتبوه »السِّيمْيوزة» بجمع السّاكنيْن الإِثنين، وهو أشنع لـه وأسوأ]، وهـي لفظـة لا تعنـي فـي العربيّـة شيئا)؛ و»الْمُماثـل« الـذي اقترحنـاه مصـطلحاً مقـابلاً لقـولهم: »Icône«؛ و»النّصْنَصـة« الـذي اقترحنـاه مقـابلاً لقولهم في مصطلحات السّيمَائيّات »Textualisation«؛ و»الإرجاء«[9] الذي اقترحنــاه مقــابلاً لمصــطلح دريــدا (Jacques Derrida) « La différAnce« الـذي اسـتعمله فـي تأسـيس نظريّـة »التّقـويض« (La déconstruction) (مـع مـا نعلـم مـن أنّ مصـطلح جـاك دريـدا لَمّـا يـدخل المعاجم الفرنسيّة الصّادرة عام 1997؛ لأنّـه ينساق تحت ما يسمَّى »اللّغـة الجديـدة« (Néologisme)، وهلـمّ جرّاً إلـى آلاف المصـطلحات التـي أمسـت مستعمَلَةً لدى علماء هذا الحقل، جاريةً بينهم، متداوَلةً في تعاملاتهم...

ولَمّـا كـان المصـطلح يسـتدعي معرفـةً مسـبقة باللّغـة، ومعرفـة مسـبقة بالحقـل، أو التّخصّـص المعرفـيّ المـتمحّض لـه؛ فـإنّ العـالمَ غيـرَ اللّغـويِّ، أو غيرَ المتمكّنِ من لغته تمكّنا عالياً على الأقلّ، لا يمكن أن نطمع فيـه أن يـأتي من الأمر ما لم يُقَيَّضْ له؛ فهو لا يعرف اللّغة بالمقدار الذي يجعله يُبدع بها مصطلحاتٍ جديـدةً لآلاتـه المعقّدةِ، وأجهزتـه المتطوّرة. وعلـى أنّ هذا الـنّقص المعرفيّ الذي يُمنَى به العالم العربيّ على عهدنا هذا، لم يكن يمنَـى بـه العالم العربـيّ فـي قـديم الزّمـان إذ كـان العلمـاء علـى تلـك العهـود موسـوعيّين فـي معرفتهم، متبحّرين في ثقافتهم؛ فكنت تُلفي الفيلسوف لغويّاً ونحويّاً وموسيقيّاً وفلكيّاً وأصوليّاً ورياضياتيّاً[10]وطبيباً وفقيهاً ومتكلّماً فـي الوقت ذاتـه (الفـارابي، وابن سينا، وابن رشد مثلاً...). ذلك بأنّنا قبل إنشـاء أيّ مصـطلح جديـد ونقْلـه

من أيّ لغة أجنبيّة حيّة علينا أن نجعله يمرّ بأربعِ مراحلَ لا يمكن الاِستغناءُ عن إحداها بأيّ وجه من الوجوه:

المرحلة الأولى: البحث في الخلفيّة المعرفيّة للمصطلح، واستعمالاته عبر التّاريخ، وما ذا عساه أن يعنيَ في اللّغة الأصليّة التي اختُرع فيها؟ وما ذا كان معناه بين المتعاملين في الحقل المستَعْمَل فيه؟ وكيف تطوّرت استعمالاتُه بين حقل وحقل آخرَ من العلم؟...

والثانية: لا مناصَ من النّظر في أصوله الاِشتقاقيّة التي استُعْمِلَ بمقتضاها انطلاقاً منها في لغة الاِستعمال الأصليّة، والتي غالباً ما تكون إغريقيّة، وبدرجة أدنى لاتينيّة؛ وذلك كيما يكونَ مندمجاً في عبقريّة اللّغة العربيّة، غيرَ ناشزِ الاستعمال فيها.

والثالثة: لا بدّ من التّثبّت من صحّة استعمال المصطلح صرْفيّاً ونحويّاً حتّى لا نشوّه العربيّة ونعيث فساداً في استعمالاتها؛ فنزيد الوضع سوءاً في البناءين: النّحويِّ والصّرفيّ؛ ممّا يُسيء ذلك، في الغالب، إلى الجانب المعرفيّ أيضاً؛ كما يحدث ذلك بالقياس إلى النّسبة، مثلاً، إلى مصطلح »البِنْية« في اللّغة العربيّة المعاصرة حيث أمام ضعف عربيّة النّقّاد العرب المعاصرين، أو تسرّعهم في استعمال المصطلحات الجديدة، تراهم يقولون في النّسبة (أو »الإضافة« باصطلاح سيبويه) إلى هذا المصطلح النّقديّ: »البِنْيَويّة« غيرَ عابئين بأنّ مثل هذه النّسبة كانت تكون سليمةً لو أنّ اللّفظ المنسوب إليه هو »الْبِنْيَيَة«؛ وذلك حتّى تقلب الياء الثانية واواً لدى تحويل البناء إلى النّسبة. مع أنّ هذه المسألة بسيطة كما بحثها أبو بِشْر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر سيبويه (ت. 180 هـ.) في باب الإضافة من كتابه[11]؛ وذلك

استناداً إلى مقرَّرات علماء النّحو أمثال أبي عمرو بن العلاء (ت.154هـ.)، ويونس بن حبيب (ت.205هـ.) منذ ثلاثة عشر قرناً؛ فأنت إمّا أن تقول: »بِنْيِيّ« (كما تقول في النّسبة إلى فِتْية »فِتْيِيّ« على القياس؛ وهو اختيار أبي عمرو بن العلاء)؛ وإمّا أن تقول: »بِنَوِيّ« (كما تقول في النّسبة إلى فِتْيَة »فِتَوِيّ«، على التّخفيف؛ وهو اختيار يونس بن حبيب).

ولقد ينشأ عن ذلك أنّ استعمال »البِنْيَويّة« خطأ شنيع؛ ولا يدلّ على شيء غير جهل بعض النّقّاد المعاصرين بالعربيّة الصّحيحة. ولا يمكن أن يُبرَّرَ الخطأُ بأيِّ حجّة. وأمّا قولهم: خطأ شائع خير من صواب نادر؛ فهو لا يعني شيئاً غير إيثار الصّواب على الخطإ، والفساد على الصّلاح، وترغيب النّاس في الكسل عن التّحصيل. ولو كان لغريم عليك عشرة آلاف دينارٍ دَيْناً، ثمّ جئت إليه لتدفع له خمسة آلاف دينار فقط، على أنّها أصبحت تساوي عشرة آلاف؛ وأنّ النّاس جميعاً أصبحوا يَعدّون خمسةً عشرةً، وعشرةً خمسةً، لَمَا صدّقك، ولرفع عليك قضيّة في الْمَحاكم... فمالَنا نتساهل في الخطإ في مجالي الفكر واللّغة من أجل التّشويه والعبث باللّغة، ولا نتسامح في سَوائِهما؟ ولا يقال إلاّ نحو ذلك في النّسبة إلى اللّسان واللّسانيّات حيث العلماءُ العربُ المعاصرون يقولون: »لسانيّ« ويستريحون والحالُ إنّهم طوراً يريدون إلى اللّسان (La langue) الذي هو نظامٌ من السّمات الصّوتيّة المتمحّضة لقوم ينتمون إلى مجموعة واحدة[12]، وطوراً آخرَ يريدون إلى اللّسانيّات التي هي علْمٌ يهدف إلى دراسة اللّغة والألسنة (Langage et langues)؛ وهما أمران مختلفان اختلافاً بعيداً؛ فكيف أجازوا الخلْط بينهما؟

مـن أجـل ذلـك نقتـرح أن تكـون النّسـبةُ إلـى اللّسـان لسـانيّاً، والنّسـبة إلـى اللّسانيّات لسانياتيّاً.

وعلينـا، أثنـاء ذلـك، أن نتثبّـت لـدى اقتـراح تعريـب مصـطلح بنقلـه إلـى العربيّـة كمـا هـو، مثـل »التّلفـون«، و»البتـرول« مـن أنّ المعنـى الـذي يُحيـل عليـه لـم يكـن مسـتعمَلاً فـي الثقافـة العربيّـة القديمـة الواسـعةِ الغِنـى؛ وهنالـك يمكن الاِلْتِحـادُ إلـى ذلك؛ فـ»الهـاتف«، مثـلاً، يـؤدّي المعنـى الغربـيَّ نفسـه، بل ربما أمثل منه كثيراً؛ أرأيت أنّ »الهـاتف« فـي اللّغـة العربيّـة القديمـة، الجاريـة فــي مجـرى المعتقـدات الأسـطوريّة، يعنــي صـوتاً تسـمعه ولا تـرى شـخص صـاحبه؛ علـى حين أنّـه يعنـي فـي الإغريقيّـة مجـرّد »الصّوت البعيـد« (Télé ويعنــي البعيـد، وphone ويعنــي الصّـوت)؛ مــع العلـم أنّ الشّـخص الـذي يتهاتف معك قد يكون في مكتب مجاور لا يبعد عنك أكثر من بضعِ خطوات، فكيف يُعدّ بعيداً مـا لـيس ببعيد؟... علـى حين أنّ النّـاس كثيـراً مـا يسـتعملون »البترول« مكان لفظ النّفط العربيّ القديم.

إنّنـا لـو لـم نـدقّق فـي استعمالات العربيّـة علـى اختلاف حقـول وظائفهـا الحضـاريّة المعاصرة لتورّطنـا فـي ورطـات لا منجـاةَ منهـا أبـداً. ومـن الأخطـاء التي شاعت في بعض الاستعمالات الإعلاميّة المعاصرة قولهم: »الخوْصَصَـة« (يريـدون إلـى: »الخَصْخَصـة«)[13]، و»الجوسسـة« (يريـدون إلـى »التّجسّس«، و»الشّـروحات«، و»الطّروحـات« (يريـدون إلـى الشّـروح والطّـروح: جمـع شـرح وطرح)؛ وذلك حتّى لا يقعَ القَرْنُ بين جمعين اِثنين مختلفين للَفظٍ واحد: جمعِ التّكسير، وجمعِ المؤنّث السّالم.

وعلـى أنّ أخطـاء الاِسـتعمال شـرّ شـائع فـي جميـع اللّغـات بمـا فيهـا الفرنسيّةُ والإنجليزيّةُ؛ فلا ينبغي أن تتّهم العربيّةُ وحدَها (وبالمناسبة كثيراً مـا يقول النّاس »لِوحْدِها« خطأً، بدلَ »وحدَها«) في ذلك مجّاناً...

والآخرة: أنّ العلمـاء كثيراً مـا يعمِدون إلـى لفظ معروف فـي الاِسـتعمال العامّ للّغة فيُحوّلونه إلى مصطلح دالّ على معنىً جديد لم يكن فيه لدى أصل الوضـع؛ مثـل لفـظ »الإرجـاء« الـذي استعملناه مقـابلاً لمصطلح دريـدا، كمـا سبقت الإيماءة إلى ذلك[14]؛ وذلك مـا كـان العلمـاء العربُ يأتونـه لـدى تأسيس الحضـارة الإسـلاميّة اقتـداءً بسبْق القـرآن إلـى استعمالات نقلت معانيهـا مـن دلالة قديمة عامّة إلى دلالة جديدة خاصّة... كما نجد ذلك لدى علماء النّحو الـذين اصـطنعوا آلاف المصـطلحات فـي عهـد قصـير مثـل الفعـل، والفاعـل، والمفعـول بأنواعـه، والحـال، والمبتـدإ، والخبـر، والنّعـت، والجـارّ والمجـرور، والاِختصـاص، والنّـداء، والتّـرخيم، والمعرب، والمبنِـي، والجملـة... وكـلّ هـذه المصطلحات كانت في أصلها ألفاظاً مطروحةً في الاِستعمال اللّغويّ العامّ... علـى حـين أنّنـا نجـد علمـاء الحـديث يتّخـذون مـن المعجـم العربـيّ العـامّ مصطلحاتٍ لتخصّصـهم فيقولـون مـثلاً: الحـديث، والرّاويـة، والرّوايـة، والمـتن، والسّـند، والمرفـوع، والمكـذوب، والموضـوع، والصّـحيح، والحسَـن، والجيّـد، والمتواتر، والمنقطع، والتّعديل، والتّجريح...

ولقد كان القرآن الكريم سبق إلى ذلك، كما سلفت الإشارة، بإنشاء لغة إسلاميّة جديدة لـم تكن تـدلّ في الاِستعمال اللّغويّ العامّ لـدى العرب علـى مـا أصـبحت تـدلّ عليـه فـي الآداب الإسـلاميّة مثـل المسـلم، والمـؤمن، والكـافر، والمنـافق، والجنّـة، والنّـار، والمسجد، والصّلاة، والنّافلـة، والزكاة، والصّيام...

ولقد ابتكر العلماء عدّة تقنيات استعماليّة لتطوير المصطلح العلميّ، وتيسير الاهتداء إلى إنشائه؛ ومن ذلك:

1.استعمال »اللاّحقة العلميّة« التي كانوا يُطلقون عليها »الياء الصّناعيّة«. وهذه التّقنيّة لم تكن موجودةً في العربيّة لا على عهد الجاهليّة، ولا في أوّل الإسلام؛ ولكنّها جاءت من توليد العلماء للدّلالة على المذهبيّة، والنّزعة مثل قولهم: »السّلفيّة« للدّلالة على طريقة أهل السّلف.

2.ومن ذلك استعمالُهم بناء »فَعْلَلة« للدّلالة على جملة من المعاني الجديدة مثل »تلفزة«. وربما قالوا أيضاً: »تلفَنَ« فيكون المصدر هو »التّلْفنة« (وإن كان هذا المصدر لا تستعمل في اللّغة العربيّة المعاصرة، وهي من أصل أجنبيّ على كلّ حال)؛ كما قالوا: »خصخص« إذا حوّل التّخطيط السّياسيّ النّظام الاِقتصاديّ من القطاع العامّ إلى القطاع الخاصّ؛ وهي فصيحة عالية، على الرّغم من عدم وجودها في المعاجم العربيّة فيما بين يدينا منها على الأقلّ، لأنّها مَقيسة على بناء »حصحص« الحقُّ، وحصحص الشّيء في الشّيء، إذا تمكّن فيه...

3.ومن الاِستعمالات الجديدة الفصيحة السّليمة في العربيّة المعاصرة بناء فاعول الذي يشيع في العربيّة القديمة مثل الفاروق، والجاثوم، والباروك[15]؛ فبنَوْا عليه فقالوا: صاروخ، وناسوخ (فاكس)، وحاسوب. ومن النّاس من يطلق على هذا الجهاز العجيب مجرّد مصطلح »حاسب«؛ مع أنّ هذا البناء لا مبالغة فيه؛ فهل حقّاً جهاز »الحاسوب« مجرّد حاسب؟ (ويجب، هنا، مراعاة الوظيفة التّقنيّة التي تؤدّيها الآلة لاستعمال مصطلح لائق بطاقة

000وظيفتها حقّا؛ ولو خُيِّرتُ أنا في تسميته لكنت أطلقت عليه »العاقول«، لسَعة الذاكرة التي يحتويها...).

ولكنّ معظم الاِستعمالات الاِصطلاحيّة تؤخَذ غالباً من اللّغة العامّة المستعمَلة، ثمّ تحمّل بدلالة جديدة تخرج بها عن نطاق الاستعمال الجاري كما يصادفنا ذلك في مصطلحات الإعلام الآليّ: قُرص، واستكشاف، وحقل، ورمز، وصورة، وحفظ، وفتح، وإنهاء، وإغلاق وملفّ، وتحرير، وتنسيق... فمثل هذه المصطلحات هي في أصلها المعجميّ ألفاظٌ ذات دلالات أخراة؛ فانتقلت الدّلالة من عامّ إلى خاصّ...

ولعلّ الصّعوبة التي تساور سبيل إيجاد مصطلحات جديدة في العربيّة:

1.إنّ النّاس، في عامّتهم، غيرُ متضلّعين في العربيّة القديمة التي كثيرٌ من معانيها يصلح لأن يُحْيَى، ويستعملَ في معانٍ عربيّة جديدة (كما نجد ذلك في أمر الحافلة، والسّيّارة والقطار، وهلمّ جرّا...)، بدلاً من الاِستقاء من اللّغات الأوربيّة التي تستقي، هي أيضا، من الإغريقيّة القديمة، واللاّتينيّة المنقرضة.

2.إنّ المضيّ في نحْت المصطلح من الخماسيّ فقط كثيراً ما يُفضي إلى عرقلة علميّة أكيدة ذلك بأنّ الغربيّين قد يبلغون بمصطلحاتهم العلميّة والفلسفيّة واللّسانياتيّة وسَوائها في الطّول إلى ثلاثة عشر حرفاً كما في الفرنسيّة، وإلى خمسة عشر حرفاً كما في الألمانيّة؛ وذلك على أساس أنّهم يركّبون المصطلح الواحد في الغالب من معنيين اِثنين؛ في حينِ نعمدُ نحن إلى تركيبه، في السّلوك المعاصر، إلى استعمال الوصف؛ فيغتدي المصطلح مركّباً من لفظين اِثنين (أو قل من صفة وموصوف) مثل قولهم: »التّحليل

النّفسيّ«. وهذا أمر غير مقبول في صناعة المصطلح. ولقد عمدنا نحن إلى نحْت مصطلح مركّب من اللّفظين الاِثنين، فاقترحنا أن يُطلق على »التّحليل النّفسيّ«: »التَّحْلِفْسِيّ«؛ ذلك بأنّنا لو صغنا هذا المصطلح خماسيّاً لَما أدّى المعنى المقصود. ولكن يُعاب على استعمالنا أنّه خرج عن البناء العربيّ القائم؛ ونحن نجيب عن هذا أنّ اللّغة العلميّة هي غير اللّغة الأدبيّة. وإذا أصررنا على التّردّد في تطويل المصطلحات العلميّة الجديدة بتقديمها في لفظ واحد كجميع المصطلحات في كلّ اللّغات الحيّة؛ فإنّ العربيّة توشك أن تظلّ تكابد هذا النّقص. إنّ كثيراً من المصطلحات العلميّة الجديدة ننقلها بجملة من الكلام، وفي أحسن الأحوال بصفة وموصوف وإنّما المصطلح يجب أن يكون لفظاً واحداً متّصلاً بسيطاً أو مركّباً، لا جملة من الكلام

وحجّتُنا في ذلك، أوّلاً، أنّه لم يَعُدْ هناك عربيّ واحد على الأرض ينطق العربيّة على السّليقة التي كان الأجداد في الجزيرة ينطقونها عليها إلى نهاية القرن الثالث للهجرة على أقصى تقدير؛ وأنّ كلّ الذين يصطنعون المصطلح هم من العلماء؛ فأين التّخوّف؟ ولِمَ التّردّد؟ إنّ اللّغة العلميّة بدون الاِلتحاد إلى التّركيب المزجيّ والنّحْت وسَوائهما من وسائل الصّياغة العربيّة؛ فإنّ تطوّرها يظلّ في مجال العلوم والتّكنولوجيا محدوداً جدّاً.

ثمّ حجّتنا في ذلك، آخر أنّ اللّغة العربيّة لا ترفض أن يكون في ألفاظها تسعة حروف مثل قولهم: »الْمُسْتَتَشْزَرات«، مع أنّ هذا اللّفظ العربيّ القديم الذي ذكره امرؤ القيس في معلّقته ليس مصطلحا في أصله، ولكنّه لفظ من الاِستعمال العامّ.

ولقد تناقشت في المدّة الأخيرة، أثناء حضري فعاليات ندوة ثقافيّة ببيروت، حول مصطلح »العوربة« الذي استعملته في ورقة ألقيتها بتلك النّدوة العربيّة، قياساً على »العولمة« مع مثقّف سوريّ فزعم لي أنّه كان يجب استعمال مصطلح »التّغريب« بدل »العوربة«؛ فزعمتُ له أنا أنّ »التّغريب« ينصرف معناه، في ذهن المتلقّي، إلى الجهة، أي إلى المحسوس، وليس إلى الذهنيّ المجرّد؛ أي إلى الدّلالة الحضاريّة التي نودّ من هذا المصطلح أن يحتملها. ولقد يمكن النّسج على استعمالنا هذا الذي نطرحه لآراء العلماء لمناقشته فيقال مثلا: »حدْثن« تعبيراً عن تصيير شيءٍ من الأشياء حداثيّاً؛ وذلك على أساس أنّ لفظ »التّحديث« ينصرف معناه لأوّل وهلة إلى مصطلحات علماء الحديث، لأنّه مصدر »حدّث«...

وأيّاً كان الشّأن، فإنَّا لا ننكر الجهود الشّاقّة التي لم يبرح العلماء العرب يبذلونها، في مختلف حقول المعرفة، من أجل تطوير اللّغة العربيّة وإيجاد مصطلحات لائقة لِمَعانٍ جديدة فيها. غير أنّ كلّ ذلك لا يزال مفتقراً إلى جهود إضافيّة مُمَنْهَجة ومتضافرة إذا شئنا أن يكون للعربيّة شأن في المستقبل، كما كان لها شأن في الماضي.

****

مشروع الذخيرة اللغوية العربية وأبعاده العلمية والتطبيقية

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
مدير مركز ترقية اللغة العربية
أستاذ بجامعة الجزائر

هنا كان لي الشرف أن عرضت على مؤتمر التعريب الذي انعقد في 1986م فكرة الذخيرة اللغوية العربية وفوائدها الكبيرة بالنسبة للبحوث اللغوية والعلمية عامة وبالنسبة لوضع المصطلحات وتوحيدها خاصة. وحاولت أن أقنع زملائي الباحثين على أهمية الرجوع إلى الاستعمال الحقيقي للغة العربية واستثمار الأجهزة الحاسوبية الحالية وإشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية لإنجاز المشروع لامتيازه بأبعاد تتجاوز المؤسسة الواحدة بل البلد الواحد. ثم عرضت الجزائر على المجلس التنفيذي للمنظمة العربية والثقافة والعلوم هذا المشروع في ديسمبر 1988 م فوافق أعضاؤه على تبنيه في حدود إمكانيات المنظمة.

وبادرت المنظمة بعد ذلك بمراسلة المؤسسات العلمية العربية والجهات الرسمية المعنية بالتربية والتعليم العالي تطلب منها إدلاء الرأي في جدواه وطرق تنفيذه, فتوالت على المنظمة إجابات كثيرة جدا ومفيدة من قبل

المؤسسات؛ منها المجامع اللغوية كلها والجامعات ومراكز البحوث والجهات المعنية في وزارة التربية وأجمعت هده الإجابات على أهمية المشروع الكبيرة وضرورة الشروع في إنجازه في أقرت الآجال.

وعلى إثر ذلك نظمت جامعة الجزائر بالاتفاق مع المنظمة ندوة أولى لدراسة المشروع واتخاذ القرارات اللازمة مع خبراء المؤسسات العلمية العربية، وساهم في هذه الندوة عدد من الخبراء والمسؤولين، وخرجوا بتوصيات تخص تنظيم العمل والمشاركة وإنشاء اللجان لمتابعة المشروع.

وقد قرر المشاركون في هذه الندوة الأولى أن تعقد ندوة ثانية يجتمع فيها جميع الممثلين للمؤسسات الراغبة في المشاركة في إنجاز المشروع[1]، وتكرم مركز البحوث والدراسات العلمية بدمشق باقتراح استضافته للندوة في دمشق، وستعقد هذه الندوة إن شاء الله في سنة 1995م.

فالمقصود من هذا البحث الذي لنا الشرف أن نعرضه على مجمع اللغة العربية الموقر هو التحديد الدقيق لمفهوم الذخيرة اللغوية، والأهداف العلمية التي رسمت لمشروع الذخيرة والتحديد أيضا لجميع وظائفها والفوائد العلمية التي سيحصل عليها المستثمرون لها وغير ذلك مما يخص كيفية إنجازها وتنظيم العمل والتقني المشترك.

I- [16]أهداف المشروع :

1-1 الذخيرة كبنك معلومات آلي : إنّ الهدف الرئيسي لمشروع الذخيرة هو أن يمكن الباحث العربي أيا كان وأينما كان من العثور على

معلومات شتّى من واقع استعمال العربية بكيفية آلية وفي وقت وجيز. وهذا سيتحقق بإنجاز بنك آلي للغة العربية المستعملة بالفعل؛ يتضمن أمهات الكتب التراثية الأدبية والعلمية والتقنية وغيرها، وعلى الإنتاج الفكري العري المعاصر في أهم صورة بالإضافة إلى العدد الكبير من الخطابات والمحاورات العفوية بالفصحى في شتّى الميادين.

و على هذا فهو بنك نصوص لا بنك مفردات ثمّ إنّ هذه النصوص تمثل الاستعمال الحقيقي للغة العربية فليست نصوصا يصطنعها المؤلفون، بل نصوص من اللغة الحيّة الفصحى المحررة أو المنطوقة وأهم شيء في ذلك هو أن يكون هذا الاستعمال الذي سيخزّن بشكل النص، كما ورد في ذاكرة ألحوا سيب هو استعمال العربية طوال خمسة عشر قرنا في أروع صورة ثمّ هو يغطي الوطن العربي أجمعه في خير ما يمثله من هذا الإنتاج الفكري (زيادة على الكثير جدا من الخطابات العفوية).

1-2- الذخيرة كمصدر لمختلف المعاجم والدراسات: سيستخرج من هذا البنك (المسمى عند المهندسين بقاعدة المعطيات النصيّة) العديد من المعاجم نذكر منها :

1 * المعجم الآلي الجامع لألفاظ العربية المستعملة : وسيحتوي على جميع المفردات العربية التي وردت في النصوص المخزنة قديمة أو حديثة. وتحدد فيه معاني كل مفردة باستخراج هذه المعاني من السياقات التي ظهرت فيها، ثمّ يضاف إلى ذلك تحديدات العلماء. وسيأتي وصف هذا المعجم فيما يلي:

2 * المعجم الآلـي للمصطلحات العلميـة والتقنيـة المستعملة بالفعل : سيحتوي علـى المصطلحات التـي دخلت فـي الاستعمال ولـو فـي بلد واحد أو جهة معيّنة لأنّها وردت في نص واحد علـى الأقل ويذكر مـع كل مصطلح ما يقابله في اللغتين الإنكليزية والفرنسية. أما ما لم يدخل في الاستعمال وورد فقط في معجم حديث فيشار إليه فقط ذكر مصدره. وسيجزأ هذا المعجم العام إلى معاجم متخصصة بحسب فنون المعرفة ومجالات المفاهيم.

وكل واحد من هذين المعجمين آلي مثل الذخيرة في شكلها الأول، ومعنـى ذلك أنّـه يقـوم علـى ركيـزة متّصلـة بالحواسيب فـي أحـدث صـورها مثـل الأقـراص البصرية أو المغناطيسية التـي يمكن أن تحتوي علـى ملايير النصوص. كما يمكن أن ينشر كل منهما وكذا المعاجم المتخصصة علـى الشكل التقليدي. والفضل الذي تمتاز به الذخيرة كبنك آلـي ومعاجمها هو أنّها مفتوحة وقابلـة للإضافة لأي معلومـة جديـدة، ويـدخل فيهـا أي كتـاب جديد هـام أو أي كتـاب يعثر عليه في التراث وهي قابلة لأي تصليح في أي وقت كان.

3 * المعجم التاريخي للغة العربية.

4 * معجم الألفاظ الحضارية (القديمة والحديثة)

5 * معجم الأعلام الجغرافية.

6 * معجم الألفاظ الدخلة والمولدة.

7 * معجم الألفاظ المتجانسة والمترادفة والمشتركة والأضداد.

وغير ذلك من المعاجم المفيدة.

فكما رأينا كل ما يذكر من الألفاظ في هذه المعاجم فهو مأخوذة لا من القواميس الموجودة بل من الاستعمال الحقيقي قديما كان أم حديثا. أما ما لم يرد في نصّ فيشار إلى ذلك حتى يعرف (وهذا يقتضي أن تدخل في الذخيرة جميع القواميس وقوائم المصطلحات التي وضعتها المجامع أو المؤسسات العلمية أو الأفراد).

أما الدراسات العلمية فسنتحدث عنها في الفقرة التالية إن شاء الله.

II- مزايا الذخيرة وفوائدها :

- المزايا الرئيسية للذخيرة وما سيستخرج منها هي كما رأينا :

أنّها هي الاستعمال الحقيقي للغة العربية لا ما تأتى به بعض القواميس من أمثلة مصطنعة.

استفاضتها وشموليتها بتغطية هذا الاستعمال لجميع البلدان العربية وامتدادها من عهد الشعر الجاهلي إلى عصرنا الحاضر.

تمثيلها لهذا الاستعمال بوجود كل النصوص ذات الأهمية فيها المحررة منها والمنطوقة الفصيحة في الآداب والحضارة والدين والعلوم والثقافة العامة والفنون وكذا الحياة اليومية.

اعتمادها على أجهزة إلكترونية في أحدث صورها وهي الحواسيب وما إليها من الوسائل السمعية البصرية وهي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تجمع وتسع هذه الكمية الهائلة من النصوص (الملايير من الجمل والألفاظ) والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تجيب عن مختلف الأسئلة بسرعة النور؛ أي في بضع ثوان، والوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تقوم بعمليات تعالج بها النصوص وذلك مثل الترتيب الآلي الأبجدي لمجالات المفاهيم وفهرسة

الكتب. هذا زيادة عن الاستخراج الآلي لجذور الكلم أو أوزانها الواردة في نص من النصوص وغيرها من العمليات العلاجية المفيدة.

إمكانية طرح الآلاف من الأسئلة على الذخيرة عن بعد وفي نفس الوقت عبر العالم (وسرعة الإجابة كما قلنا) بعرضها على الشاشة وإمكانية طبعها بالليزر وغيرها في وقت وجيز والحصول عليها في أي مكان، وذلك بفضل (مثل شبكة ايترنيت) التي ستخصص للذخيرة إن شاء الله.

4- أما الدراسات التي يمكن القيام بها انطلاقا من الذخيرة وبالنظر في محتواها فيمكن أن تخص اللغة العربية في ذاتها؛ لأن الذخيرة هي بمنزلة ما دون من كلام العرب في عهد اللغويين العرب الأولين؛ فقد جمعوا العدد الهائل من النصوص النثرية والشعرية وأمثال العرب وكلامهم العفوي، بالإضافة إلى النص القرآني وانطلقوا من هذه المدونة العظيمة لاستنباط قوانين العربية وأوصافها من الاستعمال الحقيقي لها، كما استخرجوا منه المعجم العربي. وعلى هذا فإن أنواع الدراسات اللغوية التي يمكن أن تقام على الذخيرة كثيرة جدا مثل دراسة تطور معاني الكلمات عبر العصور، ودراسة ترددها بالنسبة لعصر واحد أو مؤلف واحد، ودراسة تردد المواد الأصلية وأوزانها في كتاب واحد أو عدة كتب ودراسة صيغ الجمل بحسب الأغراض والموضوعات، ودراسة أساليب الكتاب في كل عصر ودراسة اتساع رقعة الاستعمال للمصطلحات في عصرنا هذا، ودراسة الأصوات العربية (من خلال الذخيرة الآلية الصائتة) ودراسة مجالات المفاهيم الحضارية أو العلمية خاصة ودراسة المترادف والمشترك من الألفاظ في الاستعمال في وقت معين، ودراسة الغريب والشواذ إفراد وتركيبا كيفا وكما وبالنسبة إلى كل مؤلف أو نص وكل عصر،

ودراسة صيغ الجمل وظواهر الفصل والوصل في الخطاب، ودراسات في المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من الصور البيانية، ودراسة تطور كل هذا وغير ذلك مما يخص اللغة كلغة قديما أو حديثا وعبر العصور والبلدان.[17]

كل هذا قد قام به الكثير من العلماء قديما وحديثا ولكن مزية الاستفاضة الزمانية المكانية لمحتوى الذخيرة وآليتها يسهل على الجميع الخوض في أعماق الواقع التعبيري والإتصالي، ومن ثم الفكري المعيش للأمة العربية القديم والحديث.

وفيما يخص الميادين الأخرى غير اللغوية فكثيرة جدا أيضا نذكر منها الدراسات التاريخية وخاصة تاريخ الحضارة العربية وتاريخ الفكر العربي الاجتماعي والعلمي والديني وغيرها وكذلك الدراسات الاجتماعية والنفسية الاجتماعية بحصر مجالات التصورات الخاصة بكل فئة (من خلال استعمال الألفاظ والأساليب وغيرها) في كل قطر أو إقليم عبر العصور ودراسة تفاعلها

ومدى تأثيرها وما ترتب على ذلك بالبناء جزئيا على العناصر اللغوية ذات الدلالة ومعرفة مدى اتساع رقعتها ومعرفة ترددها في الخطابات الرسمية وغير ذلك. وكذا الدراسات الاقتصادية والعمرانية والحضارية من خلال استعمال الناس للغة.

III- وظائف الذخيرة الأساسية :رأينا المزايا التي تمتاز بها الذخيرة فماذا يا ترى يمكن أن تقوم به من وظيفة بناء على هذه المزايا، أو بعبارة أخرى كيف يمكن أن تستثمر الذخيرة وتوظف عمليا ؟. إن الإجابة عن هذا السؤال ستفسر لماذا التزمنا بأهم الأوصاف التي سبق أن ذكرت وهوة صفة الحيوية النابعة عن الاستعمال الحقيقي ثم الصفة الآلية في مباشرة الذخيرة

والتفاعل معها. فهذه بعض الوظائف التي ستقوم بها الذخيرة أو أحد معاجمها :

1/ تحصيل معلومات تخص الكلمة العربية عادية كانت أم مصطلحا. الأسئلة التي يمكن أن يطرحها الباحث :

1-1 هل توجد كلمة (س) في الاستعمال (المكتوب أو المنطوق وكلاهما)؟ وأين ظهرت [3] وبأي معنى في كل واحد من مصادر وجودها وما هي السياقات التي وردت فيها وبالنسبة فقط لكل كتاب أو نص أو بالنسبة لكل عصر أو كل بلد ؟

1-2 هل وردت (س) قديما مع نفس الأسئلة السابقة ؟ .

1-3 ما هو المجال المفهومي الذي تنتمي إليه (س) وهل لها مرادفات وما هي ؟ ثم ما هي المقابل أو المقابلات لها بالإنجليزية أو الفرنسية إن وجدت ؟.

1-4 متى وردت لأول مرة بالمعنى الفلاني أو معنى آخر ؟ ومتى اختفت لآخر مرة إن خرجت عن الاستعمال بهذا أو بهذه المعاني ؟ الخ...

2- تحصيل معلومات تخص الجذور وصيغ الكلم :

2-1 هل وردت المواد الأصلية أ ب ج د... في الاستعمال عند مؤلف أو متكلم خاصة، وما هي الكلم التي صيغت عليها واستعملها هذا المؤلف ؟

2-2 نفس السؤال بالنسبة إلى الصيغ أ ب ج د...

2-3 أذكر جميع الكلم التي صيغت على صيغة أ ، أو ب، أو ج، أو د مع الإشارة إلى مدلول كل واحد من هذه الكلم كصيغة فعلة بضم الفاء وسكون العين أة فعالية بفتح الفاء وغير ذلك) [418]

- تحصيل معلومات تخص أجناس الكلم :

3-1 ما هي أسماء الأعلام أو المصادر أو الأفعال الثلاثية أو الرباعية المجردة والمزيدة وغيرها، والصفات الخاصة بمجال مفهومي (الألوان والعيوب وأي حلية) وغير ذلك من أجناس الكلم الواردة في نص معين أو عبر نصوص وعبر الزمان ؟

3-2 ما هو ترددها كل واحد منها بالنسبة إلى نص واحد أو عدة نصوص ؟ وما هي سياقاتها؟

4- تحصيل معلومات تخص حروف المعاني : نفس الأسئلة (وإحصاؤها بالنسبة إلى عصر واحد أو نص واحد أو عدة نصوص).

5- تحصيل معلومات تخص المعرب عامة الذي ورد في الاستعمال : أسئلة عن قائمة المعربات (وميادينها) التي وردت في عصر معين أو مؤلف أو عبر العصور. 6- تحصيل معلومات تخص صيغ الجمل والأساليب الحية والجامدة منها (والصور البيانية العربية) نفس الأسئلة.

7- تحصيل معلومات تخص بحور العروض والضرورات الشعرية والزخرفات والقوافي وغيرها.

8- تحصيل معلومات تخص المفهوم الحضاري أو العلمي (البحث عن ألفاظ عربية لتغطية مفاهيم علمية) وغير ذلك من الأسئلة. وذلك مثل :

1- هل توجد كلمة عربية للدلالة على مفهوم معين (خاص بالطب أو البيطرة أو الهندسة المعمارية أو غير ذلك) المعبر عنه بالإنجليزية أو الفرنسية بكذا، وذلك في الإنتاج العلمي العربي المعاصر؟

2- هل يوجد هذا المفهوم وما يقاربه في نص قديم معين (كتاب من كتب ابن سينا أو ابن الهيثم أو...؟ وذلك من خلال الكلمة العربية التي جاءت في الجواب السابق (ويمكن على هذا أن تبين الفوارق الدلالية بين مفهوم الكلمة العربية عند القدماء والمفهوم الحديث بالسياقات).

3- ما هي الألفاظ العربية التي كانت تدل عند القدامى على مفاهيم ربما لا يكون لها مقابل باللغات الأجنبية (وهو شيء كثير مثل الحركة والسكون وحروف المد في صوتيات العربية).

4- ما هي الألفاظ الدخيلة التي لها ما يقابلها في العربية ماذا كانت درجة شيوع هذه وتلك؟

وفي كل واحد من هذه الأسئلة يمكن أن تكون الإجابة مرفوقة بذكر جميع السياقات التي ورد فيها العنصر اللغوي أو مجموعة خاصة منها في عصر أو مؤلف وذكر مصدر كل واحد منها أو كل مجموعة منها (اسم الكتاب والصفحة والجزء وتاريخ الطبع).

ويحسن ههنا أن نلفت نظر القارئ إلى الأهمية الكبرى التي تكتسيها السياقات وحصرها باستفاضة فإنها تمكن الباحث اللغوي هي وحدها من تحديد مقصود مستعملها في فقرة معينة من نصه أو في أكثر من مكان وقد

يكون مقصوده منها شيئا آخر (مثل كتاب سيبويه). وهذا يتعذر أن يجده الباحث في المعاجم العادية لكثرة المقاصد بل لعدم تناهيها و المقصود غير المعنى المعجمي العادي، ولا سبيل إلى تحديد المقصود أو المقاصد إلا بالرجوع إلى جميع السياقات التي ورد فيها العنصر اللغوي والمقارنة بينها بالاعتماد على منهجية التحليل الدلالي الذي يعرفه بعض علماء اللسان المعاصرين، وعلماؤنا القدامى وخاصة أهل التفسير والبلاغيين الأولين. ولا يمكن أن يحصل الباحث على جميع سياقات المفردة في نص كبير أو في آلاف النصوص إلا باللجوء إلى ذخيرة آلية ليس غير (وإلا قضى الباحث في جمع ذلك عمره كله).

ومن فوائد الذخيرة زيادة على شموليتها هو موضوعيتها لأنها مجموعة أحداث كلامية مدونة كما وردت وهي مثل شواهد اللغة والنحو لا يجوز ردها إذا كانت كثيرة في الاستعمال، وعلى هذا الأساس يمكن أن تكون كثرة الكلمة واتساع رقعتها (بمعنى من المعاني) أو أي عنصر لغوي مقياسا موضوعيا لاختيار المصطلحات وإقرارها. فإن كل المقاييس الأخرى مثل خفة الكلمة في النطق وتركيب حروفها وقابليتها للاشتقاق وعدم تضمنها لمعنى منفور منها أو محظور اجتماعيا وعدم غرابتها وغير ذلك من المقاييس الثانوية فإن كل ذلك تستلزمه كثرة الاستعمال وهو إقبال الناطقين الكثيرين على استعمال الكلمة من أجل كل هذه الصفات الإيجابية فيها. وبذلك تبتعد المجامع وجميع المؤسسات العلمية من الذاتية في اختيار المصطلح الأنسب، بل ويحصل التوحيد المنشود للمصطلحات العربية (وسببه انغلاق كل قطر بل كل

مؤسسة على نفسها وعدم اكتراث أهل البلد أو أصحاب المؤسسة بما يروج وما يشذ في استعمال غيرهم للعربية).

وفائدة أخرى للذخيرة أنها تمكن الباحث من تتبع تطور الألفاظ عبر العصور ولا يمكن أن يتتبع أي باحث هذا التطور من خلال مطالعاته لجميع النصوص التي ظهرت منذ العصر الجاهلي، وأنى له ذلك وقد تستغرق المدة التي يقضيها لتصفح الآلاف من النصوص عشرات السنين ؟ فالحاسوب هو الوحيد الذي يمكن الباحث من اكتشاف تحول المعاني بأن يضع تحت تصرفه كل النصوص التي ورد فيها بالفعل العنصر اللغوي الذي يهمه ولا يعطيه إلا تلك النصوص فهذا الاختيار للنصوص المعنية لا سبيل إلى تحقيقه إلا باللجوء إلى الحاسوب وحده.

ومن ثمّ فإنه لا يتصور أبدا أن يوضع معجم تاريخي للغة العربية إلا بالاعتماد على مدونّة نصيّة تغطي كل العصور وكل البلدان العربية. فكيف يمكن أن نضمن شمولية ما يقرره الباحث من التحولات الدلالية إن لم يعتمد على عدد هائل من القرائن والسياقات تنتمي إلى كل عصر. ولهذا كانت المحاولات لوضع مثل هذا المعجم قاصرة أو جزئية تقتصر على عصر واحد أو على عدد محدود جدا من المصادر.

IV-أوصاف المعجم الجامع لألفاظ اللغة العربية المستعملة : يستخرج هذا المعجم كما قلنا من الذخيرة الآلية فهي المصدر من المعطيات التي ينطلق منها ويعتمد عليها الواضعون لهذا المعجم الكبير فإنه لا يختلف عن الذخيرة إلا بالترتيب الأبجدي وغيره لمحتواها المعجمي وبالدراسات والتحليلات

الخاصة بكل مدخل من مداخلها فكل مفرده ثبتت في الذخيرة (في نصوص معينة) فلا بد أن يحرر لها بحث لغوي مستفيض.

إن لهذا المعجم الآلي عدة أشكال : فهو ينقسم قبل كل شيء إلى مجموعات مرتبة لألفاظ الذخيرة، ثم إلى معجم موسوعي لغوي يخصص لكل لفظة دراسة علمية مستفيضة. أما المجموعات المرتبة فهي عبارة عن جذاذات آلية كل واحدة منها تختص بترتيب معين وهي بحسب الترتيب كالتالي :

1- ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من اللفظ).

2- ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني).

3- ترتيب بحسب تردد الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص) وتجزأ إلى ترتيبات بحسب العصور وفي مرحلة أخرى بحسب المؤلفين وأصحاب النصوص.

4- ترتيب بحسب شيوع الكلمة أي ذيوعها في البلدان العربية في الوقت الراهن وفي كل حقبة (50 سنة) مما مضى.

5- ترتيب بحسب العلوم والفنون.

وعنصر آخر للمعجم وهو الخرائط الجغرافية التي تبين فيها ذيوع الكلم العربية في مختلف الأقاليم (في مرحلة أخرى ذيوع التنوعات الصوتية في الأداء وغير ذلك).

أما المعجم المحرر فسيكون على غرار ما وضع من الذخائر اللغوية الفرنسية أو الإنجليزية فهو موسوعة يحرر فيها العلماء بحوثا حول كل لفظة فكل باب أو مدل من هذا المعجم على ما يلي :

1- تحليل دلالي للفظة انطلاقا من السياقات وحدها ثم تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت وذلك بـ :

2- التوضيح الدقيق لـ:

. المعنى الوضعي للمادة الأصلية (الجدر).

. المعنى الوضعي والمعاني الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين المعاني الفنية وغير الفنية).

. ذكر المقابل الإنكليزي و الفرنسي لكل كلمة إن وجد أو ما يقرب منه. مع بيان الفوارق التصورية.

3- تعليق نحوي صرفي وجيز (وصوتي وهجائي إن اقتضى الحال) بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة قديما (مع ذكر المراجع).

4- تعليق تاريخي للمادة وفروعها (انطلاقا من تحليل النصوص أو المقارنة بينها) :

بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل وتفسير تكييفها :

- ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة في النصوص التي لدينا (الأصلية والدخيلة).

- ذكر تاريخ أول تحول دلالي للكلمة (والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة).

- ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت في الاستعمال.

- وصف إجمالي تفسيري للتطور اللفظي والدلالي للكلمة.

/ بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية (مع ذكر المواد الأصلية).

5- ذكر درجة تردد حسب العصور والبلدان وبالنسبة للآثار العلمية أو الأدبية إن اقتضى الحال.

5- بيان شيوع الكلمة الجغرافي (حسب العصور أيضا).

6- ذكر المتجانسات والمترادفات والأضداد إن وجدت للكمة.

7- ذكر الدراسات التي خصصها العلماء لها قديما وحديثا إن وجدت.

V- كيفية إنجاز الذخيرة : اقتراح منهج معين :

- الكيفية المثلى والأقل تكلفة :

- مبدأ المشاركة الحرة : نظرا للضخامة المهولة التي تتصف بها الذخيرة وبالتالي ضخامة الجهود والتكاليف الباهظة التي يتطلبها إنجاز مثل هذا العمل الجبار، ومن ثم أيضا عدم وجود أي منظمة في العالم تستطيع أن تتكفل إنجاز هذا المشروع فإن المشاركين في الندوة الأولى التي عقدت في الجزائر م أجل إرساء المبادئ الأساسية لإنجاز مشروع الذخيرة (في يونيو 1999م) قد أجمعوا على ما بدا لهم بأنه الحل الأنسب وهو إشراك أكبر عدد من المؤسسات العلمية العربية في إنجاز المشروع على أساس التمويل الذاتي. فكل مؤسسة علمية في الوطن العربي مثل المجامع اللغوية والجامعات بكلياتها ومعاهدها ودوائرها المتخصصة ومراكز البحوث والشركات ذوات النشاط العلمي أو التقني والتطبيقي ترغب في المشاركة في إنجاز جزء من العمل تختص به دون غيرها فعليها أن تخصص في ميزانيتها بندا لإنجاز الجزء المخصص لها في كل سنة حتى ينتهي العمل.

- تكوين الفرق وإعداد التجهيز اللازم: كما اقترحت الندوة الأولى العدد الأدنى من الوسائل البشرية والمادية التي ينبغي لكل مؤسسة متطوعة توفيرها من اعتماداتها المالية وهي كالتالي:

1-إنشاء فريق من الممارسين والاختصاصيين يفرغ بعضهم أو كلهم للمشروع ويمكن أن يتكون من خمسة إلى عشرة ممارسين يكلفون بإدخال المعطيات في ذاكرة الحاسوب (أي تفريغ الكتب والدراسات والخطابات وغيرها في الأقراص الذاكرية). ويشرف عليهم مهندس في الحاسوبيات من الناحية التقنية ودكتور في اللغة العربية، أو متخصص علمي متمكن من العربية.

2- اقتناء مجموعة أجهزة تتكون من خمسة إلى عشرة حواسيب صغيرة(ميكرو) وعدد كاف من الركائز الذاكرية المنقولة (الأقراص) وإن آلة ماسحة للقراءة الآلية للنصوص (سكانير) وهذه الآلة تجعل الفريق يستغني عن الملامس التي يدخل بواسطتها المعطيات مثل الآلة الكاتبة. وبالماسحة ستوفر الكثير من الجهود ومن المال لدخول المعطيات في الذاكرة بكيفية آلية وكلما كثرت الوسائل – في حدود هذه الأعداد الدنيا – كان المردود طبعا أكبر والعمل التخزيني أسرع وأفيد وأصح. وكل هذا قليل في حق لغة القرآن.

3- توزيع الحصص: لكل مؤسسة الحق في أن تختار المعطيات التي تريد تخزينها وهي بذلك أولى ولها أن تختار بعض أمالي أساتذتها ودراسات باحثيها والكتب والمنشورات التي يرتبط محتواها بتخصصها أو اهتماماتها عامة، وذلك لتتمكن من استثمارها وعلاجها كمعطيات علمية للاستفادة منها بمجرد ما يتم لها وهذا سيكون حافزا لها في العمل التخزيني.

ونقترح بهذا الصدد المبدأ التالي:

تتكفل كل مؤسسة تشارك في إنجاز المشروع بتخزين عدد من الكتب التراثية تقترحها اللجنة المؤقتة للمشروع [195] من بين المؤلفات التي تعالج موضوعات لها علاقة باختصاص المؤسسة. وذلك لمدة خمس سنوات وعلى هذا الأساس تقترح اللجنة المؤقتة للمشروع مخططا عاما يشتمل على قائمة عامة للكتب التراثية والمعاجم اللغوية والاصطلاحية وغيرها من الوثائق مما ينبغي أن يخزن في ذاكرة الحواسيب وقوائم جزئية تمثل كل قائمة منها العمل الذي تتكفل به كل واحدة من المؤسسات. أما فيما يخص الخطابات المنطوقة مثل المحاضرات العلمية في الجامعات وغيرها والمحاضرات العمومية الهامة في شتى الموضوعات كالأدب ومختلف الفنون(المسرح والسنيما وغيرها)والرياضة والخطابات السياسية والاجتماعية الهامة مما هو منطوق، فنرجو من المؤسسات المتخصصة الراغبة في تدوين المحاضرات الشفهية وكذا المؤسسات التي تهتم بتسجيل الخطابات الشفهية أن تخبر اللجنة المؤقتة باستعدادها للمشاركة في تدوين المعطيات المنطوقة بعد تسجيلها.

4- تنظيم العمل وتخطيطه وتنسيقه: تنشأ لجنة محلية دائمة في كل دولة من الدول العربية التي تتواجد فيها مؤسسات علمية مشاركة وتتكون من ممثل واحد لكل مؤسسة وينتخب هؤلاء الممثلون رئيسا للجنة لمدة خمس سنوات (حسب مدة التخطيط للمشروع).

وتكون مهمة اللجنة المتابعة العلمية والفنية للعمل والتنسيق بين المؤسسات المشاركة ودورها الرئيسي ينحصر في السهر على استمرار العمل في أحسن الظروف وبالنوعية المطلوبة، وذلك بتبادل الآراء والخبرات واقتراح

الحلول للمشاكل الطارئة وخاصة التقنية منها، وكذا تفادي التكرار لنفس العمل بين مؤسسة وأخرى في داخل البلد الواحد. وتجتمع كل لجنة في كل بلد مرة واحدة في السنة على الأقل، وتقدم على إثرها تقريرا للجنة العامة. وتنشأ لجنة عامة دائمة على مستوى الوطن العربي تتكون من رؤساء اللجان المحلية وينتخب هؤلاء رئيسا لهم لمدة خمس سنوات.

هذا ومن المعروف أن تخزين النصوص في ذاكرة الحواسيب هو عمل قد بادر إلى ممارسته عدد من الباحثين العرب والمؤسسات أو الشركات منذ زمان وذلك مثل الشعر الجاهلي المنشور والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والمعاجم الاصطلاحية وغير ذلك. ولهذا نرجو من المؤسسات العلمية أن تتكرم بإعلام اللجنة إن كانت تقوم بعمل مثل هذا أو قامت بها فيما مضى. وستقوم اللجنة بدورها بإحصاء جميع الأعمال التخزينية التي تمت في الوطن العربي، أو هي بصدد الإنجاز. ونأمل أن نتجنب بذلك تكرار الأعمال إن شاء الله.

وستقام شبكة اتصالية بين المؤسسات لتبادل المعلومات في هذا المشروع وسيخصص مركز البحوث والدراسات العلمية السوري من جهة، ومركز البحوث العلمية والتقنية للغة العربية الجزائري من جهة ثانية جهازا حاسوبيا كاملا لتجميع كل ما سيخزن في مختلف البلدان العربية.

مستقبل اللغة العربية

بقلم الدكتور أحمد بن نعمان
عضو المجلس الأعلى للغة العربية

لا توجد لغة في العالم فيما نعلم – قديما وحديثا – تحمل من مقومات البقاء والصمود في الوجود ما تحمله اللغة العربية، وذلك لأسباب جغرافية وتاريخية وديمغرافية وحضارية واجتماعية ودينية مكنتها من البقاء شامخة أمام مختلف الأعاصير والعواصف، وحصّنتها ضد التبدّل والتحول والذوبان في لغات الشعوب الأخرى وأمدّتها بالقوة الفائقة على التكيّف مع الظروف المستجدّة في الميدان، على امتداد القرون المتعاقبة في الزمان والأقطار المستعربة المتجاورة في المكان، والشعوب المكبّلة والمغلوبة على أمرها في الأوطان...

فإذا كان للغة العربية نظيرات عديدات تشترك معها في الأصل السامي إلاّ أنّها تميّزت عليها جميعها بالمحافظة على أقوى الروابط التي تصلها باللغة الأصل، ويرجع ذلك إلى بقاء العربية في حالة عزلة – شبه تامة – في الجزيرة العربية التي ظلّت إلى حين الدعوة المباركة غير ذات صلات قوية بالعالم الخارجي، مما يمكن أن ينتج عنه تأثير فيها، وبعد انتشار الإسلام الذي كانت اللغة العربية أقوى وسائل تبليغه للشعوب المختلفة شرقا وغربا، عرفت هذه اللغة أول احتكاك فعلي لها باللغات الأجنبية، وكان من المفروض أن تتأثر تأثراً يصل إلى درجة الذوبان في اللغات الأجنبية الأخرى لما كانت

عليه تلك اللغات من رقي في ذلك الوقت كالفارسية والقبطية والرومانية، إلاّ أنّها لم تتأثر أكثر ممّا أثرت هي في تلك اللغات الراقية، مع المحافظة على بناياتها بكيفية تبعث على الاستغراب لولا معرفة السر في ذلك كله، وهو ارتباطها بكلام الله المقدّس الذي حفظها كما حفظته من التبدل والتحول مصداقا لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وجعلها تؤثر ولا تتأثر إلاّ بالقدر الذي لا يمسّ جوهرها وبناياتها الأساسية على الرغم من الصراعات العديدة والعنيفة التي وقعت بينها وبين تلك اللغات التي كانت سائدة في البلدان المفتوحة، وقد أكّد هذه الحقيقة التاريخية أحد العلماء الألمان بقوله: "... إنّ العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي لهذه الحقيقة الثابتة وهي أنّها قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط الإسلامي رمزاً لغوياً لوحدة العالم الإسلامي في الثقافة والمدنية، ولقد برهنت هذه اللغة بما حفظته للإنسانية من تراث حضاري خالد على أنّها أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحتها عن مقامها"[20].

وهذه الشهادة التي أتت من عالم لا يربطه بالعربية إلا الموضوعية والنزاهة العلمية تتفق مع ما ورد بعد ذلك بسنوات في كتاب مجمع اللغة العربية بالقاهرة تحت عنوان اللغة العربية لغة عالمية ما نصه:"تساءل الناس منذ ربع قرن أو يزيد عن موقف العربية من اللغات العلمية الكبرى، فعدها قوم واحد منها، وأنكر عليها ذلك أقوام آخرون، وسبق أن أثبتت أنها كانت في الماضي ولعدة قرون اللغة الوحيدة للعلم والفلسفة في العالم بأسره من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر الميلادي، ثم انضمت إليها اللاتينية

فأخذت منها واتجهت عن طريقها إلى كنوز الحضارات القديمة... وبرهنت على أنها جديرة على أن تستعيد مجدها وليس من طبيعتها ما يعوق مطلقا دون أن تؤدي كل متطلبات العلم والحضارة، ومنذ النصف الأخير من القرن الماضي أخذت تجدد نشاطها وتتدارك ما فاتها، وحظيت أخيرا بإنتاج وفير ومتنوع وأقامت العربية الدليل على حيويتها وعلى قدرتها على البقاء، ولم تجد الهيئات بدا من أن تعترف بها وتقدرها قدرها، وأصبحت العربية في السنوات الأخيرة تقف على قدم المساواة في المؤتمرات والاجتماعات الدولية مع اللغات العالمية الكبرى..."[21].

هذا عن اللغة العربية في ذاتها كأداة حضارية ذات عبقرية فذة فرضت نفسها على الأعداء رغم عقوق وخذلان بعض الأبناء والأشقاء!!

أما عن آفاق هذه اللغة وإمكان انتشار رقعتها في المستقبل عبر كافة الدول والقارات التي يسمع فيها صوت بلال بدأ بالقارة التي ينتشر فيها لونه، وهي القارة السمراء البكر العذراء التي لم تعرف لغة حضارية ذات تراث مكتوب بغير لغة القرآن التي دخلت الديار مسالمة هادية، فانفتحت لها القلوب والأفكار قبل أن يزيل عفافها فلول الغزاة الإفرنج الذي تخصصوا في تحطيم الإنارة، واستئصال الحضارة، واسترقاق التجارة، واستبدال العبارة، وما برحوا يزرعون الفتن والبغضاء بين الأشقاء، ويقدمون أبناء القارة قرابين رخيصة على مذابح المصالح الاستعمارية (الفرنكوفونية والأنجلوفونية) على غرار ما فعلوا في الديار الرواندية والكونغو "الانشطارية" في السنة الماضية!

وحول إمكانية استرجاع اللغة العربية مكانتها الطبيعية في القارة الإفريقية وتبوئها مقعدها في الإدارة والجامعة بعد الجامع والشارع، (رغم

الصراع الأنجلوفرانكوشوني) الذي خلق كل هذه الفضائح والفضائع المريبة والرهيبة التي ما يزال كابوسها جاثما على صدور الأحرار في تلك الأقطار، كتب الأستاذ أحمد بهاء الدين منذ ربع قرن ما نصّه: "... والأمة العربية ليست كيانا سياسيا فقط، بل هي قبل ذلك كيان حضاري لديها فرصة نادرة لأن تكون لغتها سلاحا من أمضى أسلحتها في كل معاركها ووسيلة خلاقة للمساهمة في صراع الحضارات العالمية الراهن... ففي الصومال استقرت اللغة الإيطالية وأريد لها أن تمحو اللغة العربية تماما كما حاولت فرنسا في الجزائر، وإدراكا من تلك الدول الأوروبية أن إقامة حاجز اللغة هو إقامة الستار الحديدي الطبيعي النهائي، بين شعب وجيرانه وصار من قبل ذلك الصومال صومالا إيطاليا وصومالا فرنسيا وصومالا إنجليزيا وصومالا إثيوبيا... وبعد الحرب العالمية الثانية أضيف لإثيوبيا فوق الأقادين- أريتيريا، وعادت فرنسا إلى الصومال الفرنسي (جيبوتي) ووضع الصومال الرئيسي (الإيطالي) تحت وصاية الأمم المتحدة، ومثلت الأمم المتحدة بلجنة ثلاثية (مصري وإيطالي وإنجليزي) وأهم معركة دارت خلال وصاية الأمم المتحدة كانت حول اللغة العربية، فتقرير نوع اللغة التي سيتحدث ويتعلم بها الشعب هو تقرير هويته واتجاهه الحضاري، وتكوينه النفسي، وكان من هم الغرب أن يختار الصوماليون اللغة الإيطالية، فهي لغة أوروبية على أية حال، وبصماتها بعد الاحتلال كانت واضحة (شأن اللغة الفرنسية في بلدان المغرب العربي في الوقت الحاضر). وكل شباب الصومال كانوا لا يتعلمون إلا في جامعات إيطاليا، ولكن الرغبة الشعبية، العارمة كانت اختيار اللغة العربية، ولأن مندوب مصر في لجنة الوصاية الدولية كشف كل المناورات

فقتل اغتيالا* وكانت مطاردة اللغة العربية في هذه البلاد هدفا أهم فأوجد الغرب من يدعون إلى اللغة السواحلية تحت غطاء إثارة نعرة إقليمية ورغم أن الاستفتاء دلّ على تفضيل الشعب اللغة العربية فقد أثار الغرب تفضيل اللغة السواحلية المكتوبة بالحرف اللاتيني!!

وحين دخلت الصومال جامعة الدول العربية سنة (1974) كان يجب أن يطلب منها الارتباط ببرنامج تعريب لأنها جامعة دول (عربية) ومن اتّصل بهذه الحركات وقابل زعمائها وشبابها المثقف يعرف أن اللغة العربية كانت بالنسبة لهم أحد أقوى الروابط والوشائج وحوافز الأمل في التحرر واستيراد شخصيتهم"[22].

ويؤكد هذا التحليل تقرير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة حيث ورد فيه ما نصه: " ... وهناك دول إفريقيا في بلبلة من أمر لهجتها المتعددة، وفي وسع العربية أن تحل محل كثير من هذه اللهجات برغم النزعة الأنجلوفونية والفرنكوفونية ويفد الآن على الجامعات العربية عدد غير قليل من الشباب الأفارقة لتعلم اللغة العربية، ولهم دون شك دور في نشرها في بلدانهم، واستطاعت اللغة السواحلية منذ زمن أن تكون همزة وصل بين كثير من شعوب إفريقيا وقبائلها وهي لغة تربطها بالعربية وشائج كثيرة"[23].

ويؤكد هذا المسعى الاستراتيجي الطيب لنشر اللغة العربية في إفريقيا الإسلامية بكيفية طبيعية وفعالة في إطار الأهداف السامية للعقيدة السمحاء والتي عمت معظم بلدان القارة في زمن قياسي بفضل الدعوة الصادقة للعلماء، والقدوة الحسنة للدعاة إلى دين الحق في سبيل الله بعيدا عن السياسة والاستحواذ والسيطرة والاستبعاد التي تشهدها القارة في الوقت

الحاضر كما سبقت الإشارة... في هذا الإطار الاستراتيجي الثقافي والحضاري المحض ينصح الأستاذ أحمد بهاء الدين الزعماء العرب بقوله: " وإني أسمح لنفسي أن أروي أنني منذ سنوات قلت لبعض زعماء الدول العربية أن هناك خدمة بسيطة جدا، ولكن أثرها الاستراتيجي بالنسبة للأمة العربية لا يقدر بثمن وهو الاتفاق والنضال من أجل نشر اللغة العربية على طوال الحزام الإسلامي في إفريقيا، والتشاد، وغينيا، وشمال غانا ونيجيريا وجنوب السودان المسيحي والصومال بفروعه المبعثرة... فاللغة العربية أقرب إليهم، وأسهل لهم ولم تفرض يوما بالقوة عليهم مثلما فرضت عليهم الإيطالية والفرنسية والإنجليزية، وقد حاولت بعض الدول العربية محاولات في هذا المجال"[24].

هذا عن إمكانية انتشار اللغة العربية في البلدان الإفريقية غير العربية ولكن لغة التنزيل الحافظة للرسالة الخالدة والمحفوظة فيها وبها، لا تحدها حدود على وجه المعمورة، وخاصة في عصر السرعة وطي المسافات الضوئية في لحظات، عن طريق الأقمار الاصطناعية، والهوائيات المقعرة والخطب المنبرية، والدروس الحسنة، والمحاضرات العلمية باللغة العربية في جميع التخصصات والمجالات التي تهم الإنسان المعاصر في أدق تفاصيل حياته الدينية والاجتماعية، والسياسية من "ستوكهولم" إلى "مالبورن" كما نشاهد تدخلات المشاهدين على عشرات الفضائيات العربية التي تلبي كل الطلبات وتغطي كل الأذواق مع المحافظة على القاسم المشترك بينهما، وهو لغة الضاد بقطع النظر عن المحتوى والمستوى!!

مما يدلّ عل أن إمكانية الانتشار للغة العربية في القرن القادم ليس مقصورا على البلدان الإفريقية ذات الأغلبية المسلمة أو التي ليس لها لغات

حية موحدة فحسب، بل تمتد هذه القابلية للانتشار إلى إسلامية أخرى في آسيا وحتى أوروبا التي ينتشر فيها الإسلام بكيفية مذهلة لأهلها، بقدر ما هي مطمئنة ومريحة لأهلنا، في العقيدة هناك، حيث لا نكاد نجد مسجد في تلك البقع الصليبية التي يزداد عددها بالآلاف سنويا، لا ينظم إمامه الناطق بالعربية دروسا في هذه اللغة الوارثة... والتي يتابعها حتى غير المسلمين من الطلبة ورجال الأعمال الذين تستهويهم الصفقات العربية المريحة.

وإذا كان هذا شأن اللغة العربية في القارة التي كانت صليبية إلى حين فمن باب أولى وأحرى أن تتوقع ازدهارا وانتشارا أوسع للغة العربية في البلاد الإسلامية في القارات الأخرى وخاصة آسيا، ففي إيران (وخاصة بعد الثورة الإسلامية) وأفغانستان وباكستان وأندونيسيا وماليزيا (التي تأسست بعاصمتها سنة 1994 جامعة إسلامية عتيدة تدرس باللغة العربية في بعض تخصصاتها) تعتبر اللغة العربية في هذه البلدان ذات مكانة مفضلة بين جميع اللغات الأجنبية بالنسبة للمسلمين على وجه الخصوص، كما أنها تدرس في مراحل التعليم في بعض تلك الأقطار مثل إيران وخاصة باكستان التي يعرف الجميع رغبة هذا البلد الإسلامي النووي الكبير (إثر انفصاله عن الهند سنة 1947) في اتخاذ اللغة العربية لغة أصيلة إلى جانب الأردية ولو أعانتها البلاد العربية حينئذ لكانت اللغة العربية هناك هي اللغة الأولى بدل الإنجليزية السائدة علميا وإداريا في الوقت الحاضر... مع العلم أن هذا البلد مازال دائم الرغبة في التعرب، والمطالبة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإمداده بالخبراء وأساتذة اللغة العربية قصد مساعدته على نشر اللغة العربية على نطاق واسع وتحقيق التعريب الحضاري الشامل في ربوعه مما

يؤكد نبوءة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الذي تحدث عن دور مستقبلي واعدا لهذا البلد الإسلامي الكبير في حضيرة الأمة إثر زيارته له دامت خمسة أشهر قام بها سنة 1955.

هذا المثال عن انتشار اللغة العربية في الدول الإسلامية الآسيوية، والتي تعتبر – كما قلنا – مسألة عادية وطبيعية، ولكن الشيء الملفت للانتباه وغير العادي هو انتشار اللغة العربية في بعض الدول (الأوروبية الشرقية) وكنموذج لذلك نذكر يوغسلافيا سابقا (البوسنة والهرسك وكرواتيا والجبل الأسود ومقدونيا وكوسوفو حاليا) حيث ورد على لسان مفتي الإسلام الشيخ حمدي يوسف شباهيتش وبالعربية الفصحى في تحقيق صحفي حول هذا الموضوع، أجرته مجلة العربي سنة 1978 قوله حرفيا: "يكفي أن أذكر لكم أننا شيدنا في مختلف أنحاء يوغسلافيا أكثر من ستمائة مسجد جديد منذ 1960 حتى اليوم، هذا عدا المساجد التي تمّ ترميمها وتشديدها وهي التي كانت موجودة قبل هذا التاريخ ويزيد عددها على الألفي مسجد وفي كل منها مدرسة أو كتاب لتعليم القرآن باللغة العربية، ومن هنا تبرز الحاجة الملحة إلى نشر لغة القرآن الكريم في هذه الربوع". وورد في نفس التحقيق على لسان الدكتور أحمد اسماعيلوفيتش أحد القيادات الإسلامية في البلاد ما نصه: "إن الحضارة الإسلامية العربية في يوغسلافيا قديمة وهي ليست غريبة ولا جديدة على أوربا... قبل ضياع الأندلس كانت أوربا كلها تتجه للعرب وحضارتهم، وقد أثرت هذه الحضارة في النواحي الفكرية والمادية في أوربا حتى بعد خروج العرب من الأندلس... وعندما زار الرئيس جوزاف بروز تيتو القاهرة سنة 1971، كنت حينذاك مديرا للمدرسة اليوغسلافية في القاهرة

سـألني عمـا إذا كـان أبنائنـا يدرسـون اللغـة العربيـة فـي برنـامجهم الدراسـي فأجبت بالنفي فقال تيتو: لا بدّ من أن تكون ضمن البرنـامج لأنـي أن يتـعلـم أبنـاؤنـا الـلـغـة الـعـربـيـة لأنّها لغة المستقبل[25].

وعن انتشـار اللغـة العربيـة فـي ألمانيـا وروسـيا يقـول الـدكتور إبـراهيم مـذكور: "فقـد قـدر لـي أن أزور ألمانيـا الشـرقية عـام 1969 وقضـيت بعـض الوقت في إحدى مـدنها الكبرى، وهـي مدينـة لايبـزج، فلاحظت الاهتمامـات فـي قسم الدراسات العربيـة بجامعاتها،منصبة فيها على اللغة العربيـة... ويضـيف قولـه وتعمـر بعـض الجامعـات الأوروبيـة والأمريكيـة بنفـر مـن الأسـاتذة العـرب يقومـون علـى أمـر الأدب والثقافـة العربيـة الإسـلامية، ولسـت فـي حاجـة أن أشير إلى تلك المعجميات الثنائية الكثيرة التي ظهرت في روسيا في العشرية سنـة الأخيـرة، وهـي تجمـع بين الروسـية والعربيـة وتنصب علـى اللغـة تـارة أو على العلم والتكنولوجيا تـارة أخرى"[26]. ويقـول من مكـان آخـر: "وعلـى الصـعيد الـدولي اسـتعادت العربيـة مكانتهـا وبرهنـت علـى أنهـا جـديرة بـأن تقـف فـي مصـاف اللغـات العالميـة الكبـرى، فهـي لغـة علـم وأدب وفكـر وحضـارة اتسـع صدرها لكل جديد، وقد استخدمت الحاسبات الإلكترونية في دراستها"[27].

وبنـاء على ما تقدم أقول بأن هناك ثـلاث لغات ستسود العالم أكثر من غيرها في القرن القـادم، وهي الصينية بسبب الـديمغرافيا، والإنجليزيـة بسبب التكنولوجيـا والعربيـة بسـبب الإيـديولوجيا (الإسـلام)، وإذا تحقـق التعريـب الحضاري الـذي يطمح إليـه المخلصون من أبنـاء الأمـة مشرقا ومغربـا، فإنّهـا ستصبح لغة تكنولوجيا أيضا وليس في ذاتها مـا يحول دون ذلك كمـا سبقت الإشـارة بالـدليل القـاطع والبرهـان السـاطع... لتعود إلـى حالتهـا الطبيعيـة التـي

كانت عليها لعدة قرون، كما أقر بذلك رئيس الجمهورية الفرنسية (فرانسوا متيران) بقوله:"لقد تحدثنا عن هؤلاء العلماء العرب الذين كانوا يمثلون همزة وصل بين ثقافتين، ومن المفيد أن نذكر هنا ما تدين به أوربا والحضارة الغربية من فضل للفلاسفة والرياضيين والأطباء العرب وكذا للاختراعات الباهرة التي قاموا بها وقد سجلها لهم التاريخ بأحرف بارزة...

لقد كان دائما لدينا شغف كبير بحضارتكم أيها الأصدقاء العرب وقد قرأت حديثا أنّه وتحت حكم فرانسوا الأول (أي في القرن السادس عشر) كان يوجد في معهد فرنسا منبر للغة العربية، وقد عملنا وسنعمل في المستقبل على تحقيق أحسن من ذل"[28]. هذا من ناحية التكنولوجيا أما من ناحية الديمغرافيا، فهي زيادة عن كونها لغة عقيدة ورسالة خالدة مرتبطة بالعالم العلوي يربو معتنقوها (الذين يزدادون كثرة وانتشارا يوما بعد يوم في جميع القارات) عن عدد سكان الصين أنفسهم في الوقت الحاضر، وما نأمله هو أن يرقى العرب حكاما ومحكومين إلى مستوى لغتهم ويعملوا على تحقيق الكيف بعد هذا الكم المضمون لضمان المستقبل لهذه اللغة المعجزة التي ينتسبون إليها جغرافياً، وتاريخياً، وحضارياً، رغما عنهم ورغما عنها!!

نحو منظور جديد لتدعيم وتطوير اللغة العربية
في ظل العولمة

الأستاذ الدكتور عبد المجيد عمراني
عضو المجلس الأعلى للغة العربية
وأستاذ التعليم العالي بدائرة العلوم السياسية والعلاقات الدولية
جامعة باتنة

على الرغم من شيوع كلمة العولمة واستخدامها في السنوات العشر الأخيرة فإن هذا المفهوم مازال محل اهتمام ومناقشة من قبل المفكرين عامة والمختصين بخاصة، ومنهم من يتنبأ بتوسع هذه الظاهرة وشموليتها في الألفية القادمة في ميادين عديدة، إلا أن العولمة ليست حديثة بالمفهوم الذي توحي به حداثة هذه الفكرة، وذلك لأن عناصرها الأساسية كانت موجودة منذ خمسة قرون على الأقل حيث تطورت وازدادت العلاقات المتبادلة بين الشعوب، سواء المتمثلة في التجارة كانتقال رؤوس الأموال أو في انتشار المعلومات والأفكار والعادات والقيم واللغات وتوسع الثقافات المختلفة مما دفع معظم الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية إلى رؤية تدل على أن هناك عدة عمليات أساسية للعولمة التي تهدف إلى إحداث التغيير المستمر في مجالات عديدة أهمها المنافسة الحرة بين القوى العظمى، والابتكار الثقافي أو

التكنولوجي وانتشار المعلومات وزيادة التشابه بين الجماعات والمجتمعات البشرية عامة والمؤسسات الإنتاجية بخاصة وإزالة أو تذويب الحدود الجغرافية بين الدول، كل هذه العوامل أو العمليات تدعو إلى عولمة العالم أو إلى "الكونية" وتساعد المجتمعات الأكثر تحظرا لتوسيع حضارتها، والأكثر ثقافة لنشر ثقافتها ولغتها، والأكثر فلسفة لتؤثر بفلسفتها، والأكثر صناعة لترويج مصنوعاتها، والأكثر اتصالا لنشر إعلامها عن طريق الأقمار الصناعية عامة وشبكة الانترنيت بخاصة والتي ستؤدي حتماً إلى أكبر ثورة معرفية في تاريخ البشرية وذلك لتدعيم إعلامها وفعالية نشاطها الإعلامي واللغوي.

حقيقة إنّ هذه العناصر الأساسية والإيجابية عند البعض، تنفرد بها الدول الأنجلوساكسونية عن غيرها حيث أصبحت العولمة عندها كإيديولوجيا جديدة. وهذا في رأينا يعود إلى عولمة اللغة الإنجليزية التي دخلت جميع الميادين العلمية وأصبحت تسيطر على أكبر شبكة عالمية في توزيع المعلومات عن طريق الانترنيت إذ تشكل نسبة 88% من مجموع اللغات الأخرى.

وفي هذا المقال المتواضع سأحاول قدر الإمكان أن أتطرق إلى العولمة ومكانة اللغة العربية في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والحضارية من زاوية فلسفية محددة والتي أرى بأنها مكملة للعلوم الاجتماعية والإنسانية عامة والتنبؤات المستقبلية للتاريخ الجديد بخاصة. وفعلا أن هذه الدراسة المتواضعة تقتصر على عدة أسئلة أهمها:

1 – ما هو مصير لغتنا في ظل العولمة؟

2 – هل يمكن للغة العربية أن تكون لغة علمية وعالمية في ظل العولمة؟

3 – لماذا وكيف ندعو إلى ترقية اللغة العربية وتطويرها في الألفية الثالثة؟

وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة يتطلب منا الأمر أن نعرف بمصطلح "العولمة" التي تعني "الشمولية" أي "تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله" [29]. وفعلا منذ عام 1989 والعالم يتغير تغيرا جذريا حيث شهد في هذه السنة أكثر أحداث القرن العشرين درامية ويتمثل في انهيار وسقوط الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية مما دفع البعض إلى التنبؤ باضمحلال وسقوط "الشمولية" كنظام سياسي مرة واحدة للأبد وقيام الثورة العالمية وبداية الصراع "حول مشروع المجتمع العالمي" الذي سيتحمل القرن الحادي والعشرون نتائجه التاريخية. إذن ما هو هذا المفهوم الذي سيدفع بالإنسانية إلى التغيير الجذري نحو فلسفة جديدة! و حضارة جديدة! و ثقافة جديدة! واتصال جديد! وسياسة أحادية جديدة! واقتصاد جديد! إضافة إلى التنبؤات المستقبلية الأخرى نحو التاريخ الجديد للإنسانية.

وفكرة العولمة الذي حدد معناه بالإنجليزية (GLOBALISATION) وبالفرنسية (MONDIALISATION) مازالت محل نقاش وانتقادات من قبل المفكرين والفلاسفة عامة وعلماء السياسة والاقتصاد بخاصة. والعولمة تبدو لنا "كمفهوم في أدبيات العلوم الاجتماعية والإنسانية الحالية وكأداة تحليلية لوصف عمليات وإحداث التغيير في مجالات مختلفة. وهي عملية مستمرة وحيوية في مجالات عديدة"[30] وكان أول ظهور لمفهوم العولمة في الولايات المتحدة الأمريكية وهي تفيد وتسعى إلى تعميم الشيء وتوسيع مجالاته لكي يشمل الكل، وعلى الرغم من أن الباحثين والمهتمين بفكرة

العولمة وحداثتها يختلفون في تعريفهما، إلا أن غالبا ما يرونها وربما دائما، بأنها:"المنافسة بين القوى العظمى، والابتكار التقاني التكنولوجي وانتشار عولمة الإنتاج والتبادل والتحديث"[31]. أما عند محمد عابد الجابري المفكر المغربي فهو يعرفها في كتابه "قضايا في الفكر المعاصر" بأن : "العولمة هي ما بعد الاستعمار باعتبار أن ال (ما بعد) في مثل هذه التعابير لا يعني القطيعة مع ال (ما قبل) بل يعني الاستمرار فيه بصورة جديدة كما نقول (ما بعد الحداثة)[32]. أما بالنسبة لجيمس روزناو (Rosnaw James) المفكر السياسي الأمريكي المعاصر والذي يعتقد بأن تعريفه للعولمة أوضح وأشمل حيث قال: "و إن كان يبدو مبكرا وضع تعريف كامل وجاهز يلائم التنوع الضخم لهذه الظواهر المتعددة، على سبيل المثال، يقيم مفهوم العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة،الثقافة الإيديولوجية، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج وتداخل الصناعات عبر الحدود. انتشار أسواق التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعة المقيمة. بالإضافة إلى ذلك فهو يلخص نتائج تعريفه قائلا: "في ظل ذلك كله، فإن مهمة إيجاد صيغة مفردة تصف كل هذه الأنشطة تبدو عملية صعبة، وحتى لو تم تطوير هذا المفهوم، فمن المشكوك فيه، أن يتم قبوله واستعماله بشكل واسع .[33]ولهذا نجد أن الطريقة التي استعملها جيمس روزناو في تعريفه لمفهوم العولمة تدفعه إلى طرح عدة أسئلة أهمها:

* سيصدر لنا كتاب بعنوان "نهاية الفلسفة وبداية التاريخ الجديد" في بداية القرن الحادي والعشرون يوضح معنى التاريخ الجديد أو الحضارة الجديدة.

أ – ما هي الأسباب التي أدت إلى ظهور ظاهرة العولمة في الوقت الحاضر؟

ب – وهل هذا يعود إلى العوامل الأساسية التي أدت إلى انهيار نظام الدولة ذات الحدود المستقلة؟

ج – وهل الهدف هو توحيد العالم والدعوة إلى العالمية؟

د – وهل العولمة تنطلق من مصادر رئيسية واحدة، أم تنطلق من مصادر متنوعة ومتداخلة؟ وهل تتطلب وجود حكومة عالمية؟

هـ – وهل العولمة تتميز بوجود ثقافات عامة أم مجموعة من الثقافات المحلية المتنوعة؟ [34]وهذه الأسئلة المتنوعة أجاب عنها المحلل السياسي روز ناو بمنهجه الخاص وهي مازالت محل نقاش وانتقادات من قبل المفكرين عامة والمهتمين بخاصة.

أما رؤيتنا المبدئية لفكرة العولمة فهي تعني سقوط الشمولية والسلطوية والاتجاه نحو الديمقراطية الفردية، والدعوة إلى العالمية (Universalism) الجديدة التي تدعو إلى التنافس البشري في شتى الميادين، وتطالب بعولمة الاقتصاد وبعولمة التكنولوجيا، وبعولمة السياسة والتعليم، وبعولمة الحضارة والثقافة، كما تدعو إلى الفكر الفلسفي الجديد في ظل التاريخ المجتمعي الجديد. وهي فرصة للمجتمعات المختلفة لكي تستفيد من خبرات وتطور المجتمعات الأخرى وتنشر ثقافتها وحضارتها وتاريخها

ودينها وتبلغ رسالتها إليهم، وهذا عن طريق "عولمة اتصالية" تبرز أكثر من خلال البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية، وكذلك من خلال شبكة الإنترنيت (INTERNET) التي تربط الإنسانية في كل أنحاء العالم، وهي التي ستحقق أكبر ثورة معرفية في تاريخ البشرية مع بداية القرن الحادي والعشرين. (وسوف نتوسع في هذا المفهوم أكثر مع طرح الإشكالية في دراستنا "لنهاية الفلسفة وبداية التاريخ الجديد" وذلك في كتابنا الذي سينشر مستقبلا إن شاء الله).

وبالرغم من أن العولمة لها سلبياتها المتمثلة خاصة في الشركات المتعددة الجنسيات التي ستهيمن بسياستها على الثروات الطبيعية وتصبح إمبراطورية كبرى إلا أنها تقلص من إمكانات الدولة والقومية والإقليمية والوطنية والطائفية وتذويب الحدود الجغرافية بين الدول، وتدعو إلى السياسة الأحادية أو بمعنى آخر إلى الإيديولوجية الجديدة المفروضة على البشرية.

حقيقة أن العولمة أصبحت لها إيديولوجيا خاصة والتي هي في الحقيقة عبارة عن الإمبراطورية العالمية التي ترتكز على مبدأ "الخوصصة" ومبدأ "المبادرة" و"المنافسة الحرة" و"الثقافة العولمة الجديدة" مبنية خاصة على شبكات الاتصال المعلوماتية الإلكترونية (Cyberspace*)[38] وهذه الشبكة تتطور بسرعة حيث أصبحت هذه الأجهزة تبث وتوزع جميع معلوماتها عن طريق الأنترنيت العصرية أي الشبكة العلمية للمعلومات والاتصال غير مراقبة بواسطة الكمبيوتر وبعض المختصين يعتقدون بأنه ستخترع أدوات أخرى في المستقبل في عالم العولمة أي عالم بدون دولة ودون أمة وبلا إقليم وبغير وطن وسيادة هو عالم الشركات المتعددة الجنسيات والشبكات

المتعددة التي تحتوي على عدة ميادين كالاقتصاد والسياسة والثقافة. مما يدفع إلى خلق ميول ورغبات وأذواق ونزوات مشتركة بين الأفراد لتكون كالأممية في عصر العولمة.

نستنتج مما سبق أن كل شيء في هذا العالم أصبح معولم ويدعو باستمرار إلى التغيير الجذري بسبب الهيمنة العالمية الإمبريالية الجديدة المفروضة على الإنسانية، والسؤال الذي يفرض نفسه علينا هنا نحن العرب هو كيف يكون موقفنا تجاه مستقبل العولمة العالمية الجديدة؟

مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين أصبحت فكرة العولمة محل نقاش وانتقادات من قبل المفكرين عامة والسياسيين خاصة حيث نجد الاختلاف

الحاد والقائم بين معظم الباحثين حول عدة تعاريف ومفاهيم وموضوعات وتنبؤات مستقبلية في جميع الفروع كلها تعالج فكرة العولمة حسب التخصص إذ نجد منهم من يهتم بدراسة عولمة الاقتصاد والسياسية ومنهم من يهتم بدراسة عولمة الإعلام والعلم، والبعض الآخر يدعو إلى عولمة الثقافة وعولمة الأخلاق والقيم وهناك أيضا فريق آخر من الباحثين يؤيد عولمة اللغة الإنجليزية وهذا ما قدمه الملتقى الدولي بالرباط سنة 1997 حول "العولمة والهوية[35]

فعلا إن اللغة التي سيطرت على نشر الأفكار والمعلومات والبحوث العلمية الأكاديمية والسائدة في العالم هي اللغة الإنجليزية التي ستصبح معولمة في الألفية القادمة لأن الإحصائيات الأخيرة تقول إن 88% من معطيات الأنترنيت تبث باللغة الإنجليزية مقابل 9% بالألمانية و2%

بالفرنسية، 1% يوزع على بقية اللغات الغربية [36] وهنا لا يسعنا إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله ونتذكر قول الشاعر العربي حافظ إبراهيم مخاطبا حال العرب والعربية قائلا:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن   فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

وعلى هذا الأساس نطالب وبكل جدية وبإلحاح من الأمة العربية والإسلامية القيام بالنهضة الشاملة وخاصة العلمية منها لمواجهة خطر العولمة والمحافظة على هويتنا لكي لا تزول حضارتنا وثقافتنا باسم العولمة العالمية أو "القرية الكوكبية" على الرغم من أن أعلام العرب والفلاسفة منهم خاصة كانوا السباقين الأوائل في شرح الفلسفة والتراث اليوناني القديم بالإضافة إلى العلوم الأخرى كالطب والرياضيات والكيمياء وعلم الفلك ... إلخ

إذ نجد المناطقة والفلاسفة العرب القدامى اهتموا بالبحث في اللغة وذلك لفهم المصطلحات العلمية والفلسفية مما جعلهم يتفوقون على غيرهم من الشعوب الأخرى وهذا من القرن التاسع الميلادي إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي وفي هذه الفترة التاريخية كانت مختلف العلوم مزدهرة، وهو ما يشبه عصر التنوير في النهضة الأوروبية بالرغم من أن العرب ليست لديهم فلسفة معينة قبل اتصالهم بالحضارات الأخرى كالحضارة اليونانية والحضارة الفارسية، والحضارة الهندية والحضارة السريانية. وهذه الحضارات تعتبر من أهم المصادر الأساسية في تاريخ الفكر العربي والإسلامي والتراث الحقيقي للفلسفة العربية. ولقد صدق المؤرخون العرب الذين يسمون العلوم الفلسفية بالعلوم الدخيلة. وعلى هذا الأساس نجد هذه العلوم المختلفة توسعت وازدهرت وتطورت بمجيء الإسلام الذي لعب دورا فعالا في الحياة

البشرية وحرر النفس والعقل من الخرافات والأوهام كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا دين لمن لا عقل له" والفكر الإسلامي يعود أساسا إلى الرسالة السماوية الخاتمة التي تميزت عن سائر الرسالات السماوية السابقة والتي أنزلت على محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القريشي لقوله تعالى: "يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبيء الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون". (سورة الأعراف الآية 158).

وفعلا إن هذه الدعوة غير محددة بزمان أو مكان وجميع الناس مكلفون بالإيمان برسالة محمد (ص) لقوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" (سورة المائدة الآية).

إذن فالإسلام ليس عقيدة فحسب وإنما هو دين ودولة معا ويدعو إلى عالمية الدين الإسلامي لأن النظام السياسي في الإسلام يختلف عن الأنظمة الغربية والشرقية وحتى اليسارية المتطرفة لقوله تعالى: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون" (سورة آل عمران 104) وفعلا إن الإسلام عند مجيئه دعا إلى عالميته لقوله تعالى: " إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (سورة الحجرات الآية 13).

حقيقة إن تاريخ الفلسفة الإسلامية تأثر بالفلسفة اليونانية ويتمثل هذا التأثير والاتصال عن طريق ترجمة المصادر اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية ومن اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، وهذا التأثير في الحقيقة كان متفاوتا بين الفلاسفة المسلمين حيث نجد الكندي والفارابي وابن رشد يقلدون

أفلاطون وأرسطو بينما الإمام الغزالي وابن خلدون يبتعدان كل البعد عن أصول الفلسفة اليونانية. [37]ولهذا نجد معظم الحضارات القديمة والوسيطة والحديثة مكملة لبعضها البعض سواء عن طريق الفتوحات أو الحملات الاستعمارية أو عن طريق الترجمة والتراث الثقافي العربي أخذ من عدة لغات كالسريانية، والفارسية، والعبرانية، والهندية، والصينية، واللاتينية. وعلى هذا الأساس لقد لعبت الترجمة دورا فعالا وأساسيا في نقل مختلف العلوم إلى اللغة العربية، والعرب كغيرهم من الشعوب استعملوا عدة أساليب للترجمة وذلك للخروج من عزلتهم الثقافية، وأسسوا عدة مدارس للترجمة وخاصة في العهد الأموي والعباسي إذ نجد الترجمة ودور النقل والاقتباس متقدما في تاريخ الفكر العربي والحضارة الإسلامية على دور الابتكار والإبداع [38] إذ أكد الكاتب د.إبراهيم مذكور في كتابه "المنطق الأرسطي في العالم العربي" قائلا: "لقد أدى هؤلاء المترجمون للفكر العربي خدمات جليلة غير التي أدوها له بنقل الكتب فرغبتهم في نشر المعرفة حملتهم على تأليف الكتب في موضوعات مختلفة كالطب والطبيعيات والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة وكانت هذه الكتب والرسائل التي أطلق عليها أصحابها اسم المقدمات تواضعا أول إشعاع أضاء الدراسات العقلية في العالم الإسلامي، وهي مختصرات تزود القارىء بفكرة مجملة عن حالة العلوم المعروفة إلى ذلك العهد وأكثرها ساعد على نشر العلم، ومهد السبيل لدراسات التخصص، والأبحاث العلمية التي قام بها المسلمون أنفسهم في مدارسهم المختلفة"[39]حقيقة إن الدراسات العربية والإسلامية في مختلف العلوم تعتبر الينبوع الرئيسي لجميع الفلسفات والحضارات التي جاءت فيما بعد وهي امتداد للتراث البشري والفكر العربي

القديم الذي استطاع أن يؤثر في الفكر الفلسفي والسياسي في القرون الوسطى والحديثة والمعاصرة، ومازال إلى حد الآن محل نقاش واهتمام من قبل الفلاسفة والمفكرين. وعلى هذا الأساس فإننا ندعو إلى إحياء هذه العلوم ودراستها باللغة الأصلية أي العربية وذلك لمواجهة الحضارات الأخرى والتيارات الفكرية الدخيلة التي أصبحت مفروضة علينا، بطرق مختلفة، أي بإيديولوجيا جديدة وبحداثة الحداثة، فالإمكانات المادية والعلمية والحضارية الموجودة والروح الأممية المتقاربة والعامل الأساسي هو الدين الإسلامي الذي يجعل منا أمة واحدة، واللغة العربية هي اللغة التي ندعو إلى عالميتها لأنها لغة القرآن، ولغة الخطابة والفصاحة والبلاغة، وعالمية اللغة العربية تعود في الأصل إلى تاريخ الدعوة والفتوحات الإسلامية وبعثاتها المستمرة وأيضا إلى تطور علومها الشرعية والأدبية والفلسفية والسياسية عبر التاريخ، وعلى هذا الأساس فإننا نسعى من جديد إلى عالميتها وعولمتها على الرغم من أن العولمة جاءت مفروضة على المجتمعات البشرية.

والعامل الأساسي لمواجهة هذه الإيديولوجيا هو الرجوع إلى الإسلام لأنه هو السلاح الوحيد الذي يدفعنا للوحدة والدفاع عن أنفسنا ومواجهة خطر العولمة وتحدياتها الكبرى وفعلا إذا أردنا أن نطور اللغة العربية وندعو إلى ترقيتها وعالميتها بأساليب مختلفة لكي تصبح لغة العلم والمعرفة يتطلب منا أن تضعها كمشروع أساسي في سياستنا الوحدوية ونجعلها في هرم الأولويات وذلك للدخول في الألفية الثالثة.

ومن بين هذه الأولويات هي:

1) – الإيمان العميق من قبل العرب بأن اللغة العربية هي لغة القرآن وهي قوة ثقافية وحضارية متميزة عن اللغات الأخرى.
2) – الإيمان بالتاريخ الحضاري للإسلام الذي تميز عن غيره بالمواجهة المستمرة التي دامت أكثر من ثلاثة عشر قرنا، لأنه وحدة مؤسسية عميقة وارتباط عضوي قوي بين الدين والمجتمعات البشرية.

لمزيد من المعلومات أنظر كتابنا "محاضرات في تاريخ الفكر السياسي" منشورات جامعة باتنة 1999.

3) – الإيمـان بـمشروع ترقيـة الـلغة الـعربية والـعمـل علـى تطويـرها والـدعـوة إلى عالميتها.

4) – الإيمـان بفكـرة العولمـة وخطورتهـا وكظـاهرة إيـديولوجيا جديـدة تـدعو الإنسانية إلى التغير الجذري وتتنبأ بمستقبل جديد فـي الألفيـة القادمـة، وتـدفع الأفـراد إلـى التنـافس الحـر كالإبـداع والابتكـار وتنقـل رؤوس الأمـوال بطـرق سريعة إضافة إلى التطور الصناعي والتكنولوجي والتجاري الذي سيتحقق فـي ظل الاكتشافات العلمية المتنوعة وبطاقات بشرية مؤهلة في ميادين عديدة.

5) – إنشاء مؤسسات علمية ومركز البحث تهتم بالمناهج والدراسات العلميـة الحديثة المتطورة باللغة العربية في جميع أنحاء العالم.

6) – إنشـاء مجـامع علميـة فـي الـدول العربيـة تهـتم بتطـوير وترقيـة اللغـة العربيـة وجعلهـا ضـمن اللغـات العالميـة لمواجهـة عقلنـة وعلمنـة الثقافـات الأخرى.

7) – التنسيق بين مجامع اللغة العربية وتوحيدها ونشر نتائج بحوثها لكي تصبح في متناول الجميع.

8) – رفـع قيمـة ومكانـة اللغـة العربيـة بـين الأمـم إلـى درجـة اللغـات الأجنبيـة العالمية وجعلها نموذجا في البحث والدراسات العلمية الأكاديمية.

9) – إنشـاء مؤسسـات علميـة تقـوم بتكـوين المتـرجمين ومراكـز للترجمـة فـي العواصم العالمية الكبرى، مهمتها هي الترجمة من اللغات الأجنبيـة إلـى اللغـة العربية والتنسيق مع مجامع اللغة العربية في الدول العربية.

10) – إعـادة النظـر فـي سياسـة البحـث العلمـي فـي الـدول العربيـة وذلـك للدخول في الألفية الثالثة مع الإيمان بوجود عدة تخصصات ومجالات عديدة

باللغات الأجنبية تهتم بالدراسات الحضارية للإنسان والكون، والتطورات العلمية الحديثة التي توصلت إليها البشرية، إضافة إلى توفير الإمكانيات المادية والمعنوية للباحث باللغة العربية.

11) – إنشاء فرق البحث ونواد وجمعيات علمية تهتم بالتوعية والتعريف بالحضارة العربية والإسلامية وأهمية دراسة اللغة العربية وعالميتها في ظل الإيديولوجيا الجديدة.

12) – إنشاء ميزانية خاصة من قبل الدول العربية للغة العربية واستعمالها استعمالا عقلانيا أي توزيعها على المؤسسات العلمية ومراكز البحث في دول العالم.

حقيقة إن البحث العلمي في الدول العربية الإسلامية لم يؤد واجبه ووظيفته العلمية كما هو مطلوب وخاصة المجامع العلمية للغة العربية، وهذا البحث شبه موجود في المؤسسات العلمية كالجامعات ومراكز البحث على الرغم من الإمكانات المادية والطاقات البشرية والمؤهلات العلمية والقدرات الموجودة عندنا، إلا أننا مازلنا نعتمد اعتمادا كليا على الغير مما جعل الآخرين يهتمون بدراسة تطورنا البطيء ويتنبؤون بمستقبلنا.

وعلى هذا الأساس نستنتج مما تقدم من تحليلنا الخاص بأن الإمكانات المادية المتوفرة في الدول العربية والإسلامية من وسائل مادية وطاقات بشرية وقدرات فكرية هائلة تدفعنا إلى التفكير الموضوعي والتخلي عن الأفكار السابقة والاهتمام بالبحث العلمي وبلغة القرآن وتشجيع المبادرات المبنية على أسس علمية دون تمييز وكذلك الاهتمام بالنتائج العلمية

والإطلاع على مختلف المناهج والتقنيات التي توصل إليها البحث العلمي في عالمنا اليوم.

ومن هنا يستلزم علينا أن نهتم بتطوير اللغة العربية أكثر من أي وقت مضى وذلك بترقية الإنسان العربي المسلم وتهيئته تربويا وثقافيا وعلميا لكي يؤثر في الآخرين كما يرى المفكر العربي علي ماضي في كتابه "فلسفة في التربية والحرية" حيث يقول:" ... وكما نشاهد ذلك في التربية البدنية، التي ميزتها ليست في تعلم تمرين معين، بل جعل الجسم بكامله مستعدا: هكذا تكون الثقافة: ما يسمح لإنسان ما باستخدام جميع إمكاناته لمجابهة وضعية جديدة، أول حل معضلة جديدة: إنها تعلم كيف نتعلم" [40]

على الرغم من هذه لاقتراحات والتنبؤات المستقبلية للغة العربية وتاريخ حضارتها في ظل العولمة والتي أعتقد بأنه من واجبنا أن نحاول قدر الإمكان ترقيتها وتطويرها في جميع الميادين إلا أنني ما زلت مقتنعا بأن اللغة العربية غنية من الناحية التراثية والأدبية والفلسفية ولها مكانتها في الألفية القادمة.

بين تفصيح العامية وتعريب الفصحى

بقلم: عبد الكريم بكري

تولي المجتمعات المعاصرة أهمية قصوى للغة المتداولة فيما بينها تستوي في ذلك المجتمعات المتقدمة والنامية ذلك لأن اللغة كاليد، والماء والهواء. لا تساويها أداة أخرى في تمكين الإنسان من ممارسة حياته، لذلك امتن الله على الإنسان بمنحه هذه الأداة المسيرة لأشياء والأحياء فقال تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: "الرحمان علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان" صدق الله العظيم. ولقد ذهب اليونان مذهبا مغاليا في الاعتزاز بلغتهم والاعتراف بفضلها قال: جالينوس: إن لغة اليونانيين هي أفضل اللغات لأن سائر اللغات إنما تشبه نقيق الضفادع. واستجاز اليهود الكذب والحلف على الباطل بغير العبرانية زاعمين أن الملائكة لا يعرفون غيرها ولم تبح اللغة العربية والدفع من شأنها فإنها لا تقف مع نظرة العلماء للغة قديما وحديثا.

وبسبب انفراد وانزواء الأفراد والجماعات نتيجة لعوامل تاريخية وجغرافية والتفاهم حول مفاهيم وتعابير يفرزها الوضع الجديد ينتج ما يعرف بالعامية والفصحى وبسبب من ذلك يتعاظم الشعور بخطر اتساع الشقة بين المستويات اللغوية لما يترتب عنه من سواء اتصال وتباعد فيما بين فئات الشعب الواحد، لذلك يحرص أولو الأمر على أن تكون اللغة أداة قادرة على ربط الصلة مع مختلف طبقات الشعوب، وذلك يجعلها لغة مبسطة وجامعة

معبـرة منسـجمة مـع دورهـا الأساسـي فـي إقامـة جسـور التواصـل وتوحيـد المشاعر الوطنية فيما بين أفراد الشعب الواحد.

وكما شهد هذا العصر تطورا كبيرا في وسائل الإعلام الجماهيريـة. فقد شـهد أيضـا تحـولا فـي النظـرة إلـى المسـتويات اللغويـة باعتبارهـا قنـوات يـتم بواسطتها التـأثير في مشـاعر النـاس وسلوكهم وقناعاتـهم، ونحن فـي عالمنـا اللغوي العربـي نجد أنفسنا أمام لغة فرضت تقسمها على التـاريخ والجغرافيا وأصبحت تربط بين شعوب تعّد بمآت الملايين...

وتعيش علـى مسـاحة شاسـعة الأطـراف تمتـد مـن المحـيط إلـى الخلـيج فهي من هذه النـاحية عامل توحيد وتلاحم، وهي من أجل ذلك مؤهلـة لأن تظل قـوام الثقافـة المشـتركة والتـاريخ الجـامع لكـل هـذه الشـعوب عبـر الحقـب والأزمان، ولكنها قبل ذلك لغة القرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي تتجلى فيها مظاهر إعجازه وما كان للعربية أن تتمتع بهذا المزايا الروحيـة والفكريـة لـو لـم تكن لغة القرآن الكريم.

وقد نرى أن أنباء هذه اللغة يشعرون بأنهم يملكون كنزا عز علـى كثير من الشـعوب والطوائـف التـي تحـاول أن تبـدع لنفسـها جوامـع أو الـروابط بأيـة صورة من الصور فكل التجمعات والكيانـات التي تقوم هنـا وهنـاك قائمـة علـى أسس متبعة اقتصادية أو عسكرية ولا شيء غير ذلك، وهي عوامل يمكن أن تزول أو تغير الحاجة إليها. إذا لا وجود للغة المشتركة وسيلة التواصل فيمـا بينـها.

ولكن اللغة كائن حي يتطور على السنة المتكلمين بها فينشأ عن هذا التطور اختلاف بين لغة عصر وعصر آخر وقد ينشأ عن هذا التطور كمـا

وقع للعربية الفصحى ميلاد لهجات وأشكال في التعبير موازية للغة الأصلية. وإنما لم تتأثر العربية الفصحى بعوامل البلى وتبدل الأزمنة لارتباطها بالقرآن الكريم منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنا.

ولكون اللغة العربية حافظة ديوان العرب، فقد كفل الله" الحفظ العربية عندما كتب الحفظ القرآن الكريم قال الله تبارك وتعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون" غير أن هذا لا يعني أنا ندعو إلى أن تظل العربية متحجرة في قوالب متصلبة أو نرميها بالجمود أو التخلف عن مواكبة التطور الذي عرفته البشرية، إذ سوف نرى أن جسور التواصل والتلاقي لم تنقطع بين الفصحى والعامية منذ قديم الزمن مما أكسبهما الحياة والنماء ووسائل الدفاع الذاتية حيث أصبح من المسلم به عند أهل الاختصاص أن البيئة العربية قبل الإسلام عاشت فيها لهجات مختلفة ولكنها سرعان ما توحدت على أعلى مستوى أي على المستوى الأدبي في لغة قريش التي استأثرت ميادين الأدب شعره وخطابه.

وقد ساعدها على الظفر بهذه الهيمنة عوامل كثيرة لا مجال لذكرها في هذا المقام ولقد جاء القرآن الكريم ليجسد هذه الوحدة، وهو كتاب الله الذي لا يتطرق إليه الشك وما ينبغي أن يناله التعبير أو اللحن، غير أن هذه الوحدة التي نزل بها القرآن لم تلغ لغات البيئات العربية بل جمعها في كل قائم على الجزء فحوى هذا النص الكريم ألفاظا وتراكيب ممثلة لتلك البيئات اللغوية وهكذا عرفت الساحة اللغوية في العصر الجاهلي مستويين من الاستعمال اللغوي، فهناك لسان يخاطب الناس في حياتهم العامة ويتكلمونه بعفوية مطلقة. وهناك لغة أخرى هي التي تنصرف إليها كلمة "لغة" عند إطلاقها

بعفوية وهي لغة أدب وشعر لا يؤتاها إلاّ من أدرك نواحي القوة والجمال فيها، نقول هذا لأن منهم لفريقا من دعاة العامية في عصرنا من يحول لك أمر اختلاف لغة العامة عن الفصحى حتى ليظن أننا في حاجة إلى مترجمين وقواميس مزدوجة عربية / فصحى حتى يفهم لغة أجداده والواقع يقول غير ذلك. فإن وجود لغة عامية بجانب الفصحى ليس بدعا في اللغة العربية وإنما هي ظاهرة موجودة في اللغة الحية الراقية. وذلك لأن جل الدراسات الاجتماعية في البلدان المتقدمة قد أقامت الدليل على خطأ هذا الافتراض حيث تبين أن مستويات العامية في المجموعات الفرنسية، والبريطانية وغيرها تختلف باختلاف المستويات الاقتصادية والثقافية ونجاح الطفل في المدارس يكون تبعا لذلك. وعلى أية حال فإن العامية والفصحى ما فتئتا متعايشتين في كل فترات التاريخ. وأن أرقى درجات الفصحى يختلف باختلاف العصور و بقدرات المتمدرسيين فيها، و بالنسبة إلى اللغة العربية فإن كثيرا من الكلمات العامية المستعملة الآن ورثناها عن لهجات عربية قديمة من ذلك أنا نستعمل " آش و واش" وهي كلمة تفيد الاستفهام بمعنى ماذا؟ لأنها منحوتة من أي شيء تحولت عن أصلها لكثرة الاستعمال. قال ابن يعيش وهو يفسر هذه الكلمة: "و المراد أي شيء وحذفوها تخفيفا" وفي ذلك يقول ابن خلدون:

ومازالت هذه البلاغة والبيان ديون العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتّ في ذلك إلى حرفية النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرة مداولتهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد. ذهبت، وأن اللسان العربي فسد اعتبارا بما وقع في أواخر الكلام من فساد الإعراب الذي يتدارسون قوانينه. وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم، وألقاها القصور في أفئدتهم و

إلا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب، لم تزل في موضوعاتها الأولى والتعبير عن المقاصد بتفاوت موجود في كلامهم لهذا العهد.

ولقد حاول الاستعمار الفرنسي عندنا في الجزائر والمغرب العربي أن يحدث قطيعة في مؤلفات سماها: العربية المستعملة L'ARABE PARLEEضمنها طائفة من النصوص الشعبية والكلمات العامية المبتذلة، وفرض نصوصا أخرى سماها: العربية القديمة L'ARABE CLASSIQUE كما عرفت مواطن في العالم العربي مثل هذه المحاولات الرامية إلى صنع أو اصطناع لغة من أشتات الكلمات العامية. تبناها زعماء يزعمون الغيرة على اللغة العربية من أمثال سلامة موسى في مصر، وأنيس فريحة في لبنان. ولقد ذهب الكيد ببعض المستشرقين إلى حد الدعوة، إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية(إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية) ولكنها محاولات لم يكتب لها النجاح والرواج والدوام، لسبب بسيط، ووجيه في آن واحد، وهو أن العامية في وضعها الراهن عاجزة على استيعاب الآداب الرفيعة. والمعاني العميقة. فهي عبارة عن ثوب البيت عند رفع التكليف كما كان يقول د/زكي مبارك-رحمه الله-. و الدليل على ذلك أن سعيد عقل أحد المشيعين لسيادة العامية كتب مقدمة بالعامية لديوان شعري بالعامية كذلك لصاحبه ميشال طرّاد المطبوع سنة 1947 فماتت المقدمة مع الديوان يوم صدوره.

نخلص من هذا القول بأن هناك لغة واحدة بالمعنى العلمي و الأكاديمي للكلمة هي اللغة الفصحى، وأن هناك لغة عامية مرتبطة

بالفصحى، وليست مستقلة عنها. وإنما هي أداة تعبير تتناسب مع مواضيع، ومستويات اجتماعية بسيطة.

وما يجب أن نؤيده ونتفق فيه مع دعاة الاعتناء بالعامية هو وجوب تقريب الشقة بين العامية والفصحى بكل الوسائل التثقيفية والبيداغوجية بحيث تتمكن الأولى من أن تقترب من الثانية، فتصبح مرآة عاكسة للمستوى الثقافي الذي وصلت إليه الشعوب العربية بمختلف مستوياتها الاجتماعية ولا بأس في أن ندفع بكلمات من الفصحى إلى ميدان التخاطب والتعامل والحوار ومختلف أشكال التعبير الفني لا بأس في أن تخفف هذه الكلمات من بعض الضوابط و القيود المفروضة على اللغة الرسمية ولعل خير مثال تقدمه لصور التقارب بين العامية والفصحى هو ما يحدث في بلدنا الجزائر. حيث نلاحظ أن عامية الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية ليست عامية اليوم إذ ماتت فيها كثير من الكلمات الدخيلة، وحلت محلها كلمات عربية فصيحة نتيجة لانتشار التعليم وتوسع شبكة الإعلام السمعي والبصري وشيوع كثير من الكلمات والمصطلحات الإدارية والسياسية والاجتماعية التي فرضها واقع الجزائر العربية المستقلة.

يقول توفيق الحكيم وهو يتحدث عن اللغة المناسبة لكتابة مسرحياته ما خلاصة: إن الواقع الذي نلاحظه اليوم أن العامية مقضي عليها بالزوال والفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد يوما، ويكفي أن نستمع إلى فلاحنا أو عاملنا في مجلس الأمة ومجالس الإدارة ليتضح لنا أن لغة الكلام العادي قد ارتفعت إلى مستوى الفصحى فهو مثلا يقول"هذا موضوع يهم جميع الفلاحين" أو الأرباح التي تم توزيعها بالنسبة لأغلب العمال.

فإذا تجاوزنا عن الإبدال الذي وقع للذال في اسم الإشارة، فإن العبارة كلها تصبح صحيحة. وهذا النوع من الرخص و الاختزالات موجود في اللغات الحية عند التخاطب.

ففي الإنجليزية مثلا: I am تنطق I'm و في الفرنسية نجد أن IL NE FAUT PAS FAIRE CE LA تنطق FAUT PAS FAIRE CA.

هذا بيان من أحد رواد كتاب المسرح في العالم العارف بواقع اللغة المتداولة فيه يرى ويلمس كيف بدأت العامية تسعى بخطى حثيثة للالتقاء بالفصحى وأعتقد جازما أن إنشاء أجواء مشبعة بالكلمات الفصيحة في مختلف البيان من شأنه أن يفصح كثيرا من الكلمات في العامية و ذلك بنشر التعليم في كل الأوساط ومن مختلف الأعمار، وتوفير وسائل التعليم السمعية البصرية واستعمال العربية المبسطة في وسائل الإعلام لأن السبب في انحراف الألسنة وبعدها عن اللغة هو إصابة الأمة بالأمية إصابات بالغة. إذ لم يستطع العالم العربي إلى الآن القضاء على هذه الآفة الخطيرة، فقد نشرت منظمة اليونسكو إحصائيات في الأيام الأخيرة أن عدد الأميين في العالم العربي قد بلغ واحدا وستين مليونا، عشر هذا العدد من الأميين هو من نصيب الجزائر.

وبعد: فلما كانت العلاقة بين الفصحى والعامية علاقة تواصل، وتقارب وتفاعل والتقاء في نقاط تماس حيوية في أطراف الأوساط الاجتماعية فإن العناية التي ينبغي أن يوليها الباحثون لهذا الموضوع يجب ألا تقل أهمية عن اهتمام بقضايا العربية الفصحى، لأن الجدل الحاصل بين الفصحى

والعامية هو جدل دلالي معرفي إيديولوجي، وسيميولوجي بين مختلفة الفئات في المجتمع الواحد...

سئل كونفيشيوس حكيم الصين عما سيصنع بادئ ذي بدء. إذا ما تكلف بأمر البلاد فأجاب: إصلاح اللغة بكل تأكيد. تم سئل: لماذا؟ فأجاب قائلا: إذ لم تكن اللغة سليمة، فما يقال ليس هو المقصود و إذا كان ما يقال ليس هو المقصود، فما يستحق الإنجاز لن ينجز، وإذا لم ينجز ما يستحق إنجازه فإن الأخلاق والفنون يحل بهما الانحطاط. وإذا ما انحطت الأخلاق والفنون، فالعدالة سوف تنحرف، وإذا ما انحرفت العدالة فسوف يقف الناس مضطربين لا حول لهم، وعلى هذا يجب التخلي عن الاغتباط في القول. وهذا أمر يتفوق في أهميته على كل أمر.

بهذه الأهمية التي أولاها حكيم الصين للغة منذ وقت مبكر، ينبغي أن ننظر إلى الواقع اللغوي بمختلف مستوياته في بلادنا نظرة علمية وذلك باتخاذ جملة من الخطوات نجملها فيما يلي:

- رصد الاستعمالات اللغوية وطرائق التعبير في المدارس والجامعات ووسائل الإعلام والأوساط السياسية، والمصالح الإدارية والمجالات الثقافية والفلكلورية.
- القيام بعمليات سبر يشكل قطاعا واسعا من الفئات والشرائح الاجتماعية لمعرفة مدى الاستجابة والفهم والآثار التي تتركها لغة الإعلام والخطب في الأفراد والجماعات.
- إعادة النظر في النصوص اللغوية والأدبية المقررة في المدارس الابتدائية والثانوية واختيار نصوص أدبية

واجتماعية للغة راقية ومفهومة منتقاة من آداب أمراء البيان فـي القـديم والحـديث ومـن الصـحافة... وغيرهـا مـن المحـيط الذي يعايشه التلميذ.

- القيـام بمشـاريع بحـث تعمـل علـى وضـع رصيد لغوي متـداول ومـأخوذ مـن أصـول لغويـة فصـيحة مشـتركة بـين مختلـف جهـات الجزائـر. ليكـون قاعـدة ومصـدرا لصـياغة تراكيب لغوية مقررة في المدارس الابتدائية.

-وضـع معـاجم ومراصـد لتطـور دلالـة الكلمـات عبـر التـاريخ ولمعرفـة الكلمـة الجديـدة التـي تضـاف إلـى المعجـم العربي.

- نشـر التعلـيم فـي كـل أنحـاء الجزائـر فـي الأريـاف والجبال والصحاري للقضاء على الأمية التي تقف عائقا أمام توسيع دائرة الاتصال والتفاهم والتجاوب لقطاع عريض من هذا الشعب.

- العمل على إيجاد مشروع لغوي تشترك في الخبرات العربية وتؤلف فيه الكتب النحوية لمختلف المراحل الدراسية علـى أن يضـطلع بهـذه المهمـة خبـراء فـي اللغـة والتربيـة والاجتماع اللغوي وعلم النفس اللغوي لكي نكون قواعد اللغة أدوات لتنقل المتعلم بسهولة من التلفظ بالعامية إلى التعبير بالفصحى.

اللغة العربية والتعريب العلمي
آراء وحلول

الأستاذ الدكتور صالح **بلعيد**
عضو المجلس الأعلى للغة العربية
أستاذ بمعهد اللغة والأدب العربي
بجامعة تيزي وزو

المقدمة:: طرح الأستاذ في الحلقة الأولى إشكاليتين:

1- ميدان تعريب التعليم العالي: وخصّه بتحليل دقيق حول وضعية المصطلح العلمي والكتاب العلمي المعرّب.

2- ميدان التجارب التعريبية الناجحة: وفيها طرح لأهم التجارب الناجحة التي شهدتها بعض الدول العربية، وما هي الوسائل المعتمدة لنجاح ذلك.

ويواصل في هذه الحلقة معالجة ميادين أخرى لها علاقة بالتعريب العلمي:

3- ميدان الحوسبة والمعلوميات:

يستدعي الكلام هنا الولوج في القضايا الحاسوبية المعقّدة، ولكن الذي يهمّنا هو مسألة اللسانيات الحاسوبية وتكنولوجيا اللغة في ميدان استغلال المنطق والرياضيات، باعتبار اللغة نظاماً غاية في التعقيد تحتاج من أجل

تحليلها وفهم أدائها واستغلالها وتحصينها إلى فهم هندسي؛ لأنّ الهندسة فنّ السيطرة على النظم المعقّدة.

وتستهدف اللسانيات الحاسوبية تمكين التعامل مع الآليات بلغاتها الطبيعية باستعمال التحليل اللغوي الذي يمكّن من استخلاص المعلومات المحمولة من طرف الإشارات التي تكوّن النصّ، والتي تخضع في تركيبها إلى قواعد اللغة. كما تعمل على أداة التوليد التي تعمل على إنشاء النصوص ضمن لغة معيّنة انطلاقاً من المعرفة المتمثلة في عناصر مربوطة بعلاقات مختلفة قد تكون لها بنية تشكيلية مجردة ومستقلة عن كل تطبيق معيّن[41]. ومن هنا فلسنا في حاجة إلى تأكيد أهمية اللسانيات الحاسوبية التي تعمل على مكننة اللغات، وهي القادرة على إعطاء الوصف الصحيح لنظام اللغة، ولأنّها الوحيدة التي تلاحق العملية الإبداعية التي تبنى عليها القواعد الصورية للغة.

ومن هنا سوف أتحدث عن تلك الوثبات العلمية التي تحققت في ميادين علوم الحاسوب وبخاصة النظريات الآلية في تصميم لغة البرمجة ونظم التشغيل. هذا الكمّ المعقّد يدخل في ظاهرة انفجار المعلومات، وتضاعف معدلات تدفقها، مما خلق ضرورة استحداث وسائل بالغة الكفاءة لتنظيم هذا الفيض المتزايد من المعلومات المتنوعة، وزيادة كفاءة تخزينها واسترجاعها حالة توظيفها.

ومع ظهور النظم الآلية الخبيرة التي تحاكي مهام الخبراء البشريين، وظهور اللسانيات الحديثة وعلوم الحاسوب والرياضيات وعلوم المنطق وفّرت العديد من الوسائل المنهجية، ولقد استغلت من قبل العلماء اللغويين في

نماذج لغوية متطورة تعمل على جعل اللغة أياً كانت تنال نصيبها من المنطق والرياضيات. وكان تشومسكي[42] أكبر مفجر للتكنولوجيا اللغوية بدءاً من سنة 1957، وأضاف طلابه وأتباعه مزيداً من تقييس اللغة ومعالجة قضاياها العميقة والسطحية. وأمام ما حقّقته اللسانيات الحاسوبية تعالت أصوات تدعو إلى العمل على تمثيل هذه النظم في العربية بترسيم المعارف اللغوية في شكل أنظمة آلية لتتعامل بها الآلة باستعمال اللغة العربية.

ولقد لعب الذكاء الاصطناعي دوراً في تمثيل المعرفة العلمية الآلية وفي إقامة نماذج حاسوبية لفهم الأداء الشامل لمنظومة اللغة أياً كانت. ومن هنا دخلت العربية في تعريب الحاسوب والبرمجة وذلك لوضعها الألفبائي ومرونتها وخصائصها الصرفية والنحوية، فكان أن وقع إحلال شبه ميكانيكي للعربية محلّ نظم الإنجليزية، فاستغلّت النظم الإنجليزية البسيطة في العربية، وبُسّطت العربية بالتقليل من عدد أشكال حروفها. ولما رأت المؤسسات العربية ما يقوم به الخبراء اللغويون لتقديم الخدمات لكل اللغات كان عليهم أن يدعو إلى وضع البرمجيات في مختلف علوم العربية، بالتركيز على البحوث اللسانية وفي حقل اللسانيات الحاسوبية بالذات، وبالتركيز على البرامج التطبيقية، وهذا لحصول تعريب الحاسوب. ومن ذلك جاءت مشاريع كثيرة تعمل على تطوير الأنظمة والبرمجيات العربية ونشير في هذه النقطة إلى مشروع معتبر، وهو مشروع الفهم الأوتوماتي للغة العربية المكتوبة، كان هذا منذ 1985، وقد اعتمد فيه على:

1- المعالج الصرفي الآلي المتعدد الأطوار Morphological Processor.

2- المعجم العربي الممكن الذي يشتمل إلى جانب المعطيات الصرفية على تلك المتعلّقة بالنحو والدلالة وذلك باستخدام نظام السمات Features .

3- المعالج النحوي الآلي المتعدّد الأطوار الذي يقوم بإعراب الجمل وتشكيلها تلقائياً.

وهناك مشاريع أخرى تظهر نتائجها في النوافذ العربية المتطوّرة التي يقودها برنامج صخر بالاشتراك مع مايكروفوست، ولكل مشروع تحدّيات كان يجب أن تعالج على مستوى المؤسسات، لأنّ ذلك يحتاج إلى جهود جماعات متكاملة في علوم الحاسوب، وإلى جهد مالي وفير.

وعلى العموم فإنّ هذه الجهود تتطوّر يومياً، ومن الصعوبة ملاحقة ما تدره البرمجيات في هذا المجال، ولا يمكن ملاحقة هذا الجهاز الصغير والمعقّد جداً والذكي في بعض الحدود، فهو يسعى إلى تفسير الظواهر اللغوية وتحليلها منطقياً ورياضياً، بـ:

- إقامة نماذج حاسوبية لفهم الأداء الشامل لمنظومة اللغة العربية.

- الاهتمام بنظم الترجمة الآلية كمختبرات علمية لفهم أداء اللغة العربية وعلاقاتها.

- الاهتمام بالإحصاء اللغوي.

- الاهتمام بقواعد البيانات العربية التي تتعامل مع النصوص الكاملة للوثائق.

- تطبيق أساليب الذكاء الاصطناعي في التعامل مع اللغة العربية غير المشكولة.

– تحليل دقيق لخصائص العلاقة بين اللغة العربية وتقنيات المعلوماتية وتطبيقاتها.

– دفع جهود تقييس المعلوماتية بالوطن العربي.

– إدخال اللسانيات الحاسوبية في الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث العربية وإنشاء لجان متخصّصة في المجامع اللغوية.

– الاهتمام ببحوث استخدام اللغات التطبيقية في برمجة الحاسوب ونظم استرجاع المعلومات.

– إعطاء الأولوية للغة الفصيحة المكتسبة كتمهيد للدخول في مجالات معالجة اللغة المنطوقة"[43]. وعلى كل فإنّ نقائص كثيرة ما زالت عالقة في البرمجيات، وهذا يعود إلى أنّ المؤسسات العربية أغفلت نوعاً ما الجانب التقني من اللغة، كما لم تسدِ الخدمات الحضارية لعلم الحاسوب، فتنتظر ما يجود عليها في لغتها من الغرب. ومن هنا بقيت تحديات كبرى كان يجب أن تسدّ من قبل الفرق العلمية العربية، وهذا لتفعيل اللغة العربية أولاً من حيث جمع الاستخدام اللغوي للغة العربية ورصيدها اللغوي، والعمل على وجود بنوك المعطيات[44] على مستوى كل دولة عربية، وإنجاز الذخيرة اللغوية التي تنتظر التمويل، والمعاجم المتخصّصة، وتدريس اللسانيات والمعلوماتية في الجامعات العربية.

وعلى العموم نقول إنّ هذه التجارب لقيت رواجاً ونجاحاً معتبراً كونها تخضع للمراجعة الدائمة من قبل المختصين، وكذلك تعمل على الدوام بـ:

"1– انقياد القوة العالمة للتدريب بسهولة، وقدرتها على الاستيعاب لدى التعامل مع التكنولوجيات المعقّدة نسبياً.

2- علاقات تجارية وثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، وكل منهما سوق كبيرة.

3- الاستغلال التام للفائدة التقنية الناشئة عن التصنيع بوقت متأخر.

4- القدرة على التكيّف مع البيئة الاقتصادية الدلالية التي دعمتها الحكومة بقوة، وأمّنت للأجانب مناخاً ملائماً للاستثمار"[45].

وهكذا نجد أنّ علم الحاسوب هو من الضرورة بمكان استتنباته في الوطن العربي وتقديم المساهمة العلمية لتفعيل اللغة العربية التي ينظر إليها على أنّها لغة المنافسة، والتي تقود القطب الشرقي الإسلامي في إطار العولمة اللغوية التي تقودها اللغة الإنجليزية.

رابعاً- ميدان الاتّصال وتعريب الإعلام

نتحدّث في هذه النقطة عن علمية الاتّصال الإعلامي، وكيف تحدث تأثيراً في المستمع أو المشاهد ومن هنا يظهر دور وسائل الإعلام في عملية التعريب في المستقبل. وهذه الوسائل تأخذ أبعاداً كبرى في نوع اللغة التي يسمعها التلميذ أولاً، وفي اللغة التي تستعمل في الإعلان ثانياً وفي سلامة لغة الصحافي ثالثاً.

الاتّصال البشري هو الوسيلة التي يتبادل الناس بواسطتها المعلومات والمشاعر والأفكار وأبسط تعريف للاتّصال يكمن في "نقل معلومة من مرسل إلى مستقبل بكيفية تشكل في حدّ ذاتها حدثاً، وتجعل من الإعلام منتوجاً لهذا الحدث"[46]. وتتكوّن العملية الاتّصالية من:

-* مرسل: وهو الباث للرسالة يكون فرداً أو جماعة أو حيواناً أو آلة.

-* متلق: الذي يستهدف من عملية النقل الاتّصالية.

-* رسالة: موضوع النقل الاتّصالي. وبها نبثّ مشاعرنا الانفعالية، ويجب أن تكون ملائمة للمرجع وللمخاطب وللموقف الاتّصالي وتكون مقبولة من طرف المخاطب.

-* القناة: الوسيلة المعتمدة في النقل.

-* المرجع: يتكوّن من السياق/ الموقف الاتّصالي. فلا يمكن أن تحدث عملية الاتّصال إلا بوجود سجل معرفي وقيمي له مضامين ودلالات متعارف عليها.

وأغراض الاتّصال هي:

- الإخبار.
- التعبير عن المشاعر والعواطف.
- التأثير في الآخرين.
- الاستجابة لتوقعات الآخرين.

ولقد ولّى ذلك العهد الذي كان فيه التمجيد للرؤوس المملوءة بالمعارف، وأصبح الهدف التربوي الآن توخي العقول المنظمة وفق تعليم منسجم قائم على تشغيل كافة قدرات المتعلم وقيمه الوجدانية والسلوكية "وفي هذا الاتجاه يمكن النظر إلى الفعلين التربوي والتدريسي وإلى تطوّر النظريات التربوية، كسلسلة من المحاولات الاتّصالية الرامية إلى تجاوز عمليات الترويض والتلقين والنظام الصارم المميّز للطرائق التقليدية، وتبني أشكال اتّصالية قائمة على إشراك المتعلم بكفايته ومهارته في بناء الممارسة التربوية..."[47]. وهكذا يأخذ الاتّصال التربوي أشكالاً متنوعة بالتركيز على المرسل أو على القناة، أو على المستقبل أو على العلاقات المتبادلة في

إطار شبكة عامة باعتبارها تمثل مجموع العلاقات الاجتماعية بين المربي والمتعلمين لتحقيق أهداف تربوية داخل بنية مؤسسية متضمنة لخاصيات معرفية ووجدانية. ومن هنا يمكن النظر إلى موضوع الاتّصال في المنحى النفسي والاجتماعي بدراسة العلاقة بين اللغة والفكر، ولذا كان يجب أن تكون عملية الاتّصال بشكل دائم بالفصحى أولاً ونعرف ما للفصحى من تكوين سليم في لغة التلميذ، وكذا دور الألفاظ التي يدرها التلفاز لملكة التلميذ.

وأما الإعلان فله خصوصياته منذ أن أرسى دعائمه كل من: Shonnon و Weaver و Weiner بحكم اختصاصهم كمهندسين ورياضيين وإحصائيين؛ حيث أولوا الجوانب التقنية المرتبطة بنقل المعلومات ودرسوا عمليات الترميز، وقياس المعلومات ووضعوا ترسيمات للرسالة وكيف تنتقل من بُعد لآخر وتشتغل كل رسالة ضمن ترسيمة ووفق قواعد نحوية وتركيبية ودلالية لحصول التنميط Normalisation ضمن السنن اللغوية والقناة المستعملة في الاتّصال، لحصول ردّ فعل في المتلقي الذي تختلف وتتباين أهواؤه ومستوياته، فكان واجباً أن تتوسّع دائرة دلالات الألفاظ وتحميلها من المعاني الجديدة ما لم تكن تدل عليه من قبل، بلا تكلّف ولا تحمّل، ولا يعني ذلك نقضاً ولا هدماً للقواعد أو الأصول، بل هو أسلوب تقبّل الرسالة دون أدنى جهد. ومن ذلك يحتاج الصحافي إلى حذاقة لفظية في: الاسترسال واختيار العبارة السهلة الخالية من اللفظ الغريب، باستعمال اللفظ البسيط. لأنّ عمدة الإعلان هنا هو التوجه إلى الجمهور الغالب من الناس.

وأمام هذا السرد البسيط لعملية الاتّصال، ونعرف أنّ الإعلام يشكل القوة الرابعة في الأثر الذي يحدثه في بلاغ أو نداء (لاحظ ذلك في: وكل شيء ممكن. أو في الجليس. أو في قول المذيعة: إنّ الرئيس يحادثكم...) نجد اللغة التي هي أبرز وسائط الاتّصال وأبعدها أثراً تصاغ اللغة بكيفيات خاصة في تراكيبها وأساليبها وفي أفكارها ومعانيها. وتارة تخرج عن النمطية المعروفة ويستغلّ اللغوي بذلك بقوله: هذا أسلوب صِحافي.

ومع كل ما يقال فنعرف أنّ الإعلام لم يعش بمعزل عن المحافظة على اللغة والعمل على نشرها حيث يأخذ البعد التأثري في المستقبِل، ويدعوه إلى قبول أمر بعينه، أو يحاول إقناعه بلغة بسيطة لم يقم على صدقها دليل سابق، ولذا تصدق لغة الإعلام أياً كانت محاسنها وهنّاتها لما لها من بسط للحقائق، حيث إنّ ألفاظ الإعلام عادة ذو خاصيتين هما:

"1- كلمات ذات رنة يتداولها الناس بكثرة، وليس من الضروري أن يكون معناها مفهوماً أو واضحاً عند الذين تلقى عليهم.

2- كلمات جديدة ذات سهولة في اللفظ أو غرابة في اللفظ أو قوة لفظية"[48].

وأمام هذه الجدّة والخصوصية نجد لغة الصحافي تعمل على تجديد اللغة وتطويرها من باب إعطاء ديمومة الحياة فيها. فنجد من الصحافيين من يجتهد في مخاطبة الجمهور باللغة المنقبضة ولكنّها لا يفلح في الاستمرار لأنّ المقام يدعوه إلى الاسترسال ومخاطبة كل الفئات ولذا تطلّبت الضرورة النزول باللغة المقعرّة إلى مستوى يقبله المستمع. وهناك من الصحافيين من يفضلون استعمال ألفاظ كثيرة تؤخذ من اللغات الأجنبية، وتطلق بلا تمييز على ما يوافق معانيها أو لا يوافق معانيها. وإنّ اختيار ذلك يعود إلى

الانجراف في تيار الإعلام المدهش ممّا يخلق الخطأ الطارئ، وإذا ترك الخطأ الطارئ دون تصحيح لا يعيق عملية التواصل، وبعد تكرار الخطأ سيحصل التصويب؛ لأنّ الصواب هو الأصل، والخطأ طارئ. فلا مخافة من تلك الأخطاء التي لا تؤدي إلى المساس بالأصول، بل لابدّ منها. وعلماء اللسانيات يحكمون على اللغة بالصحة والخطأ، ولهم في ذلك مذاهب:

"المذهب الأول هو الذي يستهدي بالتاريخ الأدبي، وفيه تقاس الصحة اللغوية بمقدار الموافقة لما كان يجري على ألسنة الشعراء وأقلام الكتاب وآثار الأدباء الأقدمين.

والمذهب الثاني وهو الذي يسترشد بالتاريخ الطبيعي، وهو يرى أنّ اللغة كائن حيّ يتحوّل تحوّل الكائن الحي ويتطوّر دائماً إلى ما هو أحسن، واللغة بهذا الاعتبار تتطوّر وتتحوّل إلى ما هو أحسن وأفضل في جو من الحرية التامة التي لا تقيّدها قوانين ولا تتحكّم فيها ضوابط وعلى هذا المذهب فليس في اللغة صحيح وغلط، ما دام التطوّر يقضي بالجديد في الاستعمال، وتحكم له بالغلبة على الألسنة والأقلام.

أما المذهب الثالث فهو الذي يصحّ أن يطلق عليه المذهب الاجتماعي أو النظرية الاجتماعية. وفيه يحكم بصحة اللغة وسلامتها وفصاحتها وبلاغتها بمقدار ما يؤدي إلى فهم السامع ويصل إليه ويبلغه مراد القائل في دقة وفي سرعة وبمقدار ما في أدائه من يسر وسهولة"[49]. ورغم ما تدره لغة الصحافة فإنّها سيف ذو حدين معلّق فوق الرقاب، ولكن لا نهضة بلا لسان متطوّر. ولذا يجب أن نعرف أن لغة الصحافة كانت دائماً تعمل على تجديد اللغة وإمدادها بفيض من التيسيرات "وإني أعتقد أنّ أكبر تطوّر عرفته لغتنا

العربية في عصرنا الحاضر، كان على يد الصحفيين ومحرري الصحف، فإنّ هذه الطبقة من حملة الأقلام تواجه عملاً راقياً يتطلّب منها إنتاجاً يومياً متنوعاً يملأ أنهر الصحيفة على اختلاف صفحاتها من إخبارية وسياسية وأدبية واجتماعية واقتصادية وغيرها، ومن ورائها آلة الطباعة التي لا ترحم وهي كالغول لا يشبعها شيء، فكلما أطعمتها بما تظن أنّ فيه الكفاية تقول هل من مزيد، وعمل من هذا القبيل ليس كعمل الجامعي في تطلّب المصطلح ولا كعمل المجمعي في تخريج هذا المصطلح على روية في الأمر وسعة من الوقت، بل هو وحي اللحظة وتفكير الآونة، فإن أخطأ فله العذر وإن أصاب فهو يستحق جزيل الشكر، والواقع أنّه مصيب في غالب الأحيان، وخطؤه – إن كان– لا نسبة بينه وبين صوابه الكثير الغامر، بدليل أنّه لا يفطن له إلا الخبير الماهر"[50]. وأما أن نجعل القيود الصارمة في وجه هذه اللغة بفيض من النمطية: قل ولا تقل. هذا ما قالت به العرب. ليس لنا أن نقيس إلا ما قاست عليه العرب. لا يمكن قياس الحاضر على الحاضر. أسلوب الصحافي لا يعتدّ به. لا تقل هذا. الخطأ وشم في وجه المتحدث... إن ذلك تحديد لشساعة اللغة التي لا حدود لها، فهي تخضع في كل مكان وزمان للتطوّر، رغم أنّ المكتوب منها لا يتطوّر سريعاً، ولا يخرج عن الأصل.

إذن لغة الصحافة والإعلام عامة يستحسن حمايتها بالعودة إلى الصواب اللغوي في إطاره المفتوح بقبول توسيع القياس وإجازة توسيع الدلالات وخلق أساليب جديدة خاضعة للبيئة وتوظيف الجمل القصيرة، خاصة الجمل الخبرية[51] التي هي أصلح الجمل لنقل المعلومات. والخبر يكون بالإثبات أو بالنفي أو بالتأكيد، وما عداها فإنّ الجمل الطلبية هي الأصلح.

وهكذا أقول إنّ من يحاول إيقاف هذه اللغة فهو يعمل على إيقاف الاجتهاد والتفتح على العصرنة ومن يرى بأنّ لغة الصحافة هي هدم للغة المدرسة يقف ضد تيار التطوير، لكن أن تحصل مراعاة:

- قصر الجمل.
- فعلية الجملية الخبرية.
- التحكّم في آليات الترجمة.
- استعمال التراكيب المألوفة.

وإذاً القضية ليست في تصحيح وزن صرفي أو اختيار لفظ أفصح من الآخر، أو تأكيد قاعدة نحوية، بل القضية مصيرية وبالتالي تستوجب بنيان أجهزة الإعلام والتثقيف حسب المعايير العصرية باستعمال اللغة المقبولة البسيطة التي لا تخلّ بالأصول.

خامساً- ميدان التحكّم في اللغات الأجنبية:

تنصّ كل خطط التعريب القومية على أنّ التعريب لا يعني الانغلاق على اللغة العربية فإنّ كل لسان بإنسان، والذي يملك لغة واحدة اليوم مثله مثل الأعرج أو الأعور. والتعريب لا يعني مقاطعة اللغات الأخرى، بل هو دعوة لأن تملك الأمة إرادتها وتحترم نفسها، وألا تفقد هويّتها بضياع لغتها وهو حتم علينا أن نتّخذ الخطوة الجريئة من أجل تحقيق التوازن بين الفكر واللسان، وبين المعرفة واللغة، وإلى تحقيق التفاهم بين أفراد المجتمع كافة من حيث الوحدة الفكرية والثقافية والشخصية المتميّزة.

ومن هنا وقع الاهتمام باللغات الأجنبية على اعتبار أنّها المتنفّس على الثقافات العالمية، وبها تحصل المثاقفة العلمية، فكان لازماً تعلّم اللغات الأجنبية في إطار اللغة الأم حتى لا تعطى اللغة الجديدة ولاءً معارضاً للأصل، ولذا جاء أمر إتقان لغة أجنبية أو أكثر أمر جوهري لكل جامعي؛ لأنّ ذلك يفتح للدارس أو الباحث نافذة على منشورات العالم وأحداثه، فتتوسّع آفاق معرفته. وبها لا يكون منقطعاً عن ملاحقة المستجدات. وهذا ما يعطي لنا حق نشر العربية في الشعوب الإسلامية لنعيد لها انتشارها السالف، ولتزوّد اللغات الإسلامية بمصطلحاتها الغنيّة. لكن أية لغة نتعلّم في ظلّ هذا الزخم اللغوي الكثير والذي تنشره وسائل الإعلام، وتبذل من أجلها كل الإمكانات من أجل تمكين لغاتها في المجتمعات الأخرى؟

يبدو لي أن نكون برغماتيين[52] في التعامل مع اللغات الأجنبية، وهذا ضمن خطة متميّزة بالنظر إلى:

* علمية وعالمية اللغة.

** النفع من ورائها.

*** تعاملنا الاقتصادي والثقافي.

علينا أن نعلم أنّ الإنجليزية الآن واسطة علمية وعالمية للاتّصال بالأوساط العلمية وملاحقة الركب وهي اللغة العلمية الأولى في السيطرة على مختلف العلوم، بل لها عولمة اللغات، فهي حاجة ملحة اليوم للعالم من أية لغة أجنبية أخرى نظراً للمواصفات العلمية والعالمية التي تمتاز بها عن اللغات الأخرى، ومن هنا هل يمكن اعتبارها اللغة الأجنبية الأولى في الجزائر؟

أعود لأذكر بالوضع اللغوي الذي مرّت به الجزائر والذي يختلف عن المشرق؛ حيث فرضت اللغة الفرنسية عنوة، ودخلت كل أسرة جزائرية وأصبحت مكسباً عند البعض، فمن الصعوبة التخلّي عنها مهما أبديت له من نقائص. علماً أنّها تحتلّ الرتبة الثامنة في نشرة اليونسكو، وإنّ علمييها لا ينشرون مقالاتهم بها، ولكنّنا نتمسّك بها في المغرب العربي لعوامل جدّ معقدة. والقضية الأهم في هذه النقطة هي مدى الاستفادة منها في التعليم العالي. قلت يجب أن نتعامل مع اللغات بشكل نفعي، فكل لغة وجدنا لها تضلعاً في علم من العلوم علينا اعتمادها لغة أساسية، حيث ندرس بها مواد بصفة إجبارية ونتّخذها اللغة الأولى في ترجمة المواد المتضلعة فيها، ولا يعقل أن ننكر في هذه النقطة قدرة اللغة الفرنسية في مسألة الحقوق والسياسة والسياحة والفنون. وأما جانب العلم بمعناه التقني فهي تأخذ من الإنجليزية والألمانية واليابانية. وهكذا ندرس ونأخذ من الإنجليزية الجانب التقاني، ومن الألمانية الجانب التربوي ومن الإيطالية الجانب البحري، ومن الأسبانية الجانب الجغرافي ومن الفارسية والتركية الجانب التراثي، ومن اليابانية الجانب البزناسي والاتّصالي... وهكذا نجد أنفسنا أنّنا:

- لم نصنّف اللغات الأجنبية.
- نوظّف كل لغة تقدم لنا خبرة تقنية.
- نستعمل لغة ما بصفة مؤقتة، ونحن أحرار أن نتراجع عن تدريسها متى انتهت المصلحة.

لكن ما يلاحظ اليوم في جامعاتنا اعتمادنا الكامل على اللغة الفرنسية على أساس أنّها المرجع، بل نترجم الكتب منها وهي تترجم من اللغات الأخرى، في الوقت الذي يجب أن نأخذ من الأصل. كما نجد توظيفاً أعمى للمناهج الغربية وهي في الأصل أوجدته اللغات الأجنبية لخواصها الذاتية، ونحن نجتهد في إقحامها عنوة على العربية دون تكييف والأدهى من هذا أنّه بعد أن تحررت البلاد العربية من النفوذ الاستعماري لا يزال النفوذ الفكري يزين لأهلها ويغريها بمدارس تقوم على دراساتها وبرامجها على اللغات الأجنبية فضلاً على المدارس الجديدة التي تسمى بمدارس اللغات. وليس لنا القدرة على التّحرر من سيطرة اللغات الأجنبية، و التعريب يستدعي التحرر الكلي من هيمنة اللغات الأجنبية أو إحلالها محلّ اللغات الوطنية، خاصة في الميدان العلمي، كأنّ لغاتنا لا تصلح إلا للمشافهة أما الميدان الاقتصادي والإنتاجي فهو متروك للغة أفضل هي الأجنبية! ومن هنا يحصل الهجوم على اللغة العربية يومياً كونها تزاحم اللغات العالمية في أصالتها وعلميتها، وكتابة أكثر من 80 لغة عالمية بحروفها.

ومع كل الذي قلته، أرفع نداءً حاراً: ارفعوا الحصار على العربية لتصبح لغة الحياة اليومية ولغة البحث.

الخاتمة: إنّ الأمر في تفاقم متواصل بسبب السياسة اللغوية التي لها فجوات معتبرة ومن هنا فإنّنا في وضع لا نحسد عليه، ويجدر بنا التخطيط لتجاوز العقبات دون إضاعة الوقت ولا هدر الطاقات في بعض القضايا التي لا تغدو أن تصبح جزئية مقارنة بالمسار العام. وأريد التنبيه إلى دوامة التخلّف الذي نعيشه بسبب التخلّف اللغوي، والذي كان أحد أسبابه التراجع

عن سياسة التعريب. وإنّ أية نهضة علمية عربية في المستقبل لا تعدو أن تكون وهماً وسراباً، وتحقيقها لا يدخل في باب المعجزات. ولقد آن لنا أن نستكمل الشوط، ونؤدي الرسالة كاملة ولقد أثبتت التجارب الناجحة أنّ السبب الوحيد لتعريب لغة العلم هو الإرادة التي تقهر الصعاب.

وفي الأخير أقول إنّ الدعوة إلى التعريب قضية قومية، ومن هنا فإنّ نجاح العملية التعريبية تكون قومية فوجب أن تتضافر الجهود العربية من أجل عملية التعريب. وأقترح الآتي:

1* الإنفاق بسخاء على تربية الأجيال، لأنّها هي التي تعطي لنا مدرساً جيداً وكتاباً علمياً ومصطلحات علمية، وترجمة مثلى. ولو نعلم ما أنفقته أمريكا على البحوث عامة لدهشنا من الفتات المالي الذي ترصده الدول العربية مجتمعة للبحث العلمي.

2* جمع المصطلحات التي تضعها المؤسسات العربية والعمل على تنسيقها لتوحيدها. ووضعها في البنوك المصطلحية العالمية.

3* إصدار مجلات علمية متخصّصة لاستعمال المصطلحات الجديدة. وفكّ الحدود عنها.

4* تشجيع البحوث التعريبية، وضرورة توحيد التشريع لتعريب التعليم باللغة العربية.

5* العمل على إكمال الجهد في وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغة العربية واللغات الأجنبية

6* توجيه عناية خاصة إلى ترجمة مجموعات متكاملة من أمات الكتب والمراجع العلمية الأجنبية.

7 * ضرورة إعداد ملخصات باللغة العربية لجميع البحوث والدراسات التي تنشر باللغات الأجنبية في المجلات العلمية المختلفة.

8 * السهر على بعث نشاط علمي وجامعي عربي على منوال الجامعات الناطقة بالألمانية.

9 * السهر على تكثيف التخاطب بين الجامعات والجامعيين العرب.

10 * بعث مؤسسات جامعية عربية تعمل على دعوة الجامعيين العرب المهاجرين إلى المساهمة في التدريس فيها.

إشكالية استعمال الكلمات الدخيلة والعامية
في بعض الأعمال الأدبية والصحفية.

الأستاذ الطاهر ميلة
عضو المجلس الأعلى لغة العربية
أستاذ بمعهد اللغة والأدب العربي
بجامعة الجزائر

لقد بدأت اللغة العربية الفصحى، منذ أوائل القرن التاسع عشر، تسترجع مكانتها، كلغة أدبية راقية ولغة التعامل السياسي والإداري والعلمي، بعد أن جمدت تراكيبها وهجرت ألفاظها وأساليبها، وتخلت عن وظائفها كلغة حضارية عالمية ، لعدة قرون. وقد تم الشيء الكثير في إصلاح أوضاعها خلال القرنين الماضيين، بفضل رجال، بعد فضل الله، كانت عندهم أهداف واضحة، وشجعتهم حوافز قوية؛ حضارية واجتماعية وسياسية.وتقدم هؤلاء الرجال الأدباء والصحافيون والمترجمون. وإليهم وإلى غيرهم، يعود الفضل في كوننا نملك اليوم لغة، عمرها يزيد عن سبعة عشر قرنا، دون تغيير كبير في أبنيتها، بعكس ما هو واقع في معظم لغات العالم اليوم، إن لم يكن في كلها ،

وعدد مستعمليها موزع على عشرات من الدول في العالم، زيادة على الدول العربية.

غير أن إصلاح أوضاع اللغة العربية ، لم تتحقق أهدافه كلها، إذ اعترضه، ولازال يعترضه عدد من الصعوبات، نظرا لعدة عوامل منها، الصراع الحاد بين اللغات الحضارية في العقود الأخيرة على وجه الخصوص، ومنها وضع الأمة العربية الحالي بالمقارنة مع الدول المتقدمة.

نتناول في هذا المقال الصغير موضوعا، يمثل صعوبة من هذه الصعوبات، في نظرنا على الأقل، وهو إشكالية استعمال الكلمات العامية والدخيلة(1) في بعض الأعمال الروائية والصحفية.

إن من يطلع على الإنتاج الروائي وعلى بعض الأعمال الصحفية في اللغة العربية يلاحظ وجود عدد من الكلمات العامية والدخيلة. ويمكن أن يتأكد من هذا الحقيقة، كل من يقرأ هذا النوع من الإنتاج.غير أن الذي يدرك حجم هذه المسألة أكثر، هو ذاك الذي يقوم بالجرد المنتظم لهذه الأعمال(2)، إذ يجد أن هذه الظاهرة كثيرة التكرار، خاصة في النصوص الحوارية وفي إعلانات الجرائد، مما يِؤدي في كثير من الأحيان إلى عدم فهم ما يرد في هذه الإعلانات، (3) و عدم إدراك الصور البلاغية الواردة في هذه الحوارات(4)،ولاسيما بالنسبة للناطقين بالعربية من غير ذلك البلد الذي صدرت فيها تلك الأعمال. ولا يعني ما سبق، أن المسألة تقتصر على الحوار في الأدب الروائي أو على الإعلانات في الصحف، بل ترد أيضا في النصوص الوصفية والسردية، وفي صلب المقالات والاستطلاعات الصحفية.

كنا نظن في البداية، أن القضية مرتبطة بعجز في متن العربية الفصيح، فيما يتعلق ببعض المفاهيم الحضارية الحديثة، وهو ما جعل هؤلاء الأدباء والصحافيين، يلجأن إلى استعمال العامي والدخيل من الكلمات، لأنهم كانوا، منذ نهاية القرن التاسع عشر، يشتكون من الصعوبات التي تعترضهم في إيجاد الكلمات المناسبة للمفاهيم الحضارية المتداولة في عهدهم،[5] تلك المفاهيم التي تسارعت حركتها في الظهور بمرور الزمن مما جعل محمود تيمور، بعد ما يزيد عن نصف قرن، يعيد طرح الانشغال نفسه قائلا:" لقد كان أكبر ما نتأذى به – نحن الذين كتب علينا أن نحشر في زمرة الكتاب – أن لغة الكتابة لا تستطيع التعبير الدقيق عن حياتنا العامة؛ فالكاتب يعيا بوصف مخدع أو مائدة أو نحوهما، إلا أن اختار أحد أمرين أحلاهما مر؛ فإما أن يحشد على قلمه الكلمات الأجنبية أو العامية، وإما أن يتخذ للتعبير ألفاظا فصيحة مجفوة، لم تأنس بها الأسماع." [6]

فلما رجعنا إلى المعاجم، القديمة منها والحديثة، وإلى ما اقترحه بعض الأدباء أنفسهم وبعض المجامع اللغوية [7]، ليكون بديلا لما هو متداول من الكلمات العامية والدخيلة وجدنا أن عددا كبيرا من هذه الكلمات العامية والدخيلة المستعملة في الإنتاج الروائي والصحفي، له مقابلات عربية فصيحة، شاع استعمال بعضها، وبقي البعض الآخر ينتظر من ينفض عنه الغبار. أي أن بعض الروائيين والصحافيين، رفضوا استعمال كثيرا منها، وفضلوا كلمات أخرى، أقل منها فصاحة. وهذه أمثلة منها

يقترح محمود تيمور في معجمه " معجم الحضارة "، على سبيل المثال لا الحصر الكلمات الآتية : السرداب، الشرفة، المتكأ، المنضدة أو النضد،

المدفأة، حاجب الضوء البسطة، الفوارات، سيارة أجرة، قطار النفق.ونجد بعض هؤلاء الأدباء والصحافيين يفضلون الكلمات الآتية [8] بالتتابع، بدلا منها : البدروم، البلكونة، كنبة، الترابيزة، الدفاية الأباجورة، جاتو، المياه الغازية أو الكزازة، تاكسي، المترو.

ويقترح مجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجمه " ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون " الكلمات الآتية: الأزياء الحديثة، حلة السهرة أو بدلة السهرة، الحلة النسوية، السترة شغل الإبرة، الطراز العربي، قائمة، كابحة، دراجة بخارية. ونجد بعض صناع الكلمة يرتاحون إلى الألفاظ الآتية بالتتابع: نوفوتيه، سموكن، تايير، جاكيت، تريكوتاج أرابيسك، كتالوج، فرامل، موتوسيكل.

وتختزن المعجمات العربية، القديمة والحديثة آلاف الكلمات الفصيحة مثل: البطال أو العاطل، الخادمة، الحمية، الأثاث وغيرها. إلا أن البعض من كتابنا يرتاحون إلى مقابلاتها في العامية، وهي: حيطيست، الرجيم، العفش، الشغالة...

لو قال قائل إن هذه الكلمات، غير موفقة، لخلوها من كل الشروط التي تمكنها من الانتشار لدى عامة الناس، لكان قولا مقبولا في رأينا، ولو وضعت لها بدائل في الفصحى أكثر اقتصادا،لأجمع عليها المستعملون، لكن أن ترفض ويكتفى بتبني الأعجمي والعامي، فيحتاج الأمر إلى التقصي.

-فلماذا يلجأ إلى هذا النوع من الكلمات؟

_وما موقف مجامع اللغة العربية من هذا ؟

_ ما هي النتائج التي يمكن أن تنتج عن ذلك؟

-ما هي الإشكالية الكبيرة التي تطرحها مثل هذه المسألة؟

حاولنا أن نعرف أسباب الميل إلى هذا النوع من الكلمات، والعزوف عن استعمال المقترحات البديلة في الفصحى، فوجدنا أن المسألة في غاية من التعقيد، إذ تتحكم فيها عدة عوامل ؛ منها اللغوية ومنها اللغوية الاجتماعية ومنها الفكرية ومنها الفنية ومنها مسائل تتعلق بالتنظيم والتنسيق، وسأكتفي في هذا المقال بالإشارة إلى سببين مختلفين في التسمية وفي المحتوى ومتفقين في الغاية، يقدم أحدهما رجال الأدب ويتعلل بثانيهما رجال الإعلام.

إن معظم رجال الأدب، يؤمنون باللغة الفصحى و بضرورة الدفاع عنها، كإطار عام للتعبير الأدبي، غير أن بعضهم، يؤمن في الوقت نفسه بالواقعية في الأدب[9]، وخاصة في بعض الأجناس الأدبية، كالرواية والقصة والمسرح ، مما اضطر هؤلاء، إلى قبول بعض ما هو موجود في هذا الواقع، حتى لا يقع نوع من التنافر بين الوضعية الاجتماعية والمهنية للشخصيات التي يتحدثون عنها، وبين لغة هذه الشخصيات داخل العمل الأدبي، باعتبار أن لكل فئة اجتماعية تأديتها اللغوية الخاصة بها،كما هو معروف ومسلم به في الدراسات اللغوية الاجتماعية، كما أن للكلمات التي يستعملها الأفراد في حياتهم اليومية ، شحنات دلالية وقوة في التعبير، لا تضاهيها الكلمات الأخرى، ولاسيما تلك التي تصنع في المكاتب أو تقترحها اللجان، لأن الكلمة، تعبر عن التجربة، ولكل كلمة تجربة، فولادتها وموتها مرتبطة بظهور هذه التجربة أو زوالها.

ويعني ما سبق، أنهم غير متفقين على نوعية اللغة التي يجب أن تستعمل؛ أ هي اللغة العربية القديمة، بخصائصها المعروفة ، أم العربية الفصحى، كما فرضت نفسها في عصرنا الحال.فمنهم من يتحرج في توظيف ما هو متداول في الاستعمال، ويختار الكلمات التي يراها فصيحة، مما هو موجود في التراث، أو مما اقترحه الآخرون حديثا، أكانوا أفرادا أم مؤسسات، ومنهم من يؤمن بالتطور الطبيعي للغات، ويقبل ما هو شائع في هذا الاستعمال مهما كان مصدره ودرجة فصاحته.

وقد ظهر الخلاف أكثر بين هؤلاء الأدباء في لغة الحوار ، إذ انقسموا إلى ثلاثة أفرقة: يرى الفريق الأول ضرورة كتابة الحوار باللغة الفصحى، ويستند على الحجج المعروفة اللغوية والدينية والقومية، كما يرى – وفي مقدمتهم محمود تيمور – أن الواقع، " عند الكاتب ليس مجرد نقل أصم لما هو في الخارج من مسموع ومشهود، كما تسمعه الآذان وتراه العيون، بل هو في الحق الشعور بالواقع وتمثله، والتعبير عنه بمخيلة الكاتب[10] ". ويميل الفريق الثاني إلى استعمال العامية، لأن" جعل الشخصيات تتكلم في العمل الأدبي كما تنطق في واقع الحياة، إنما يضفي على هذا العمل صفة الواقعية؛ ذلك أن تدخل الكاتب في حوار الشخصيات، بتحويل حوارها العامي إلى حوار فصيح، يؤدي إلى فقدان العمل الأدبي لواقعيته[11] ".

وحاول الفريق الثالث أن يوفق بين الرأيين السابقين، باستعمال ما يسمى اللغة الثالثة، أو الفصعامية، كما يسميها البعض الآخر، وهي مزيج بين المستويين السابقين من التعبير.

أما حجج رجال الإعلام، فتتمثل في ضرورة التواصل والتبليغ مما جعلهم يميلون إلى استعمال اللغة البسيطة الواضحة، بغرض توصيل الرسالة الإعلامية إلى عامة الناس[12]، لأن وظائف وسائل الإعلام متعددة- زيادة على وظيفة الإعلام الأساسية - منها التوعية ومنها التربية ومنها الترفيه...وهذا ما أدى إلى ظهور برامج وحصص باللغة العامية في جميع الإذاعات والتلفزات العربية. فإذا كان لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية، بعض الأعذار، نظرا لنوعية الجمهور الذي تخاطبه والظروف التي تتم فيها عملية البث، فإن للصحافة المكتوبة جمهورا آخر، يختلف عن الأول من حيث النوعية والكم، وظروف أخرى لإعداد النصوص الإعلامية، بحيث يتمكن الصحافي من مراجعة ما يكتب واختيار الأساليب والكلمات التي يراها مناسبة لنوعية قراء صحيفته. وهذا ما يحدث في أغلب الأوقات. غير أن بعض الصحافيين يلجؤون من حين إلى آخر، إلى استعمال عبارات وكلمات دخيلة وأخرى موغلة في العامية، لا مبرر إلى استعمالها ، فيما يبدو لنا، سوى تلك القوة الإيحائية التي يمتاز بها هذا النوع من الكلمات والعبارات، لعمق انغراسها في لغة المجتمع. أما لغة الإعلانات، فهي خالية بوجه عام من الكلمات العامية، إلا أنها مملوءة بالكلمات المعربة والدخيلة إلى درجة مخيفة، بل هناك في السنوات الأخيرة لوحات إشهارية باللغات الأجنبية بكاملها.ولسنا ندري أ رفع الصحافيون في الوكالة الوطنية للإشهار - وكذلك في الوكالات العربية الأخرى - الراية البيضاء أمام مئات بل آلاف الكلمات الأجنبية، لأن كثيرا من المفاهيم التي تحتوي عليها هذه الإعلانات ليس لها

مقابلات في المعجم العربي الحديث، نظرا لحداثتها، أم أن هناك أسبابا أخرى لا نعرفها.

إن موقف المجامع اللغوية من استعمال الكلمات العامية والدخيلة معروف، لأن الدافع الأساسي من إنشاء هذه المجامع هو " المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحديث"([13]). ويقصد بالسلامة هنا، محاربة الدخيل والعامي في الدرجة الأولى، وكذا رفض كل ما من شأنه أن يخل بأصول القواعد النحوية والصرفية التي أقرها اللغويون القدامى، ماعدا ما يمكن تخريجه على ضوء تلك الأصول.ويتجلى هذا الرفض في وضع التعريب – كطريقة من طرق توليد الكلمات الجديدة – في المرتبة الأخيرة ، بالمقارنة مع المجاز والاشتقاق والنحت والتأكيد على عدم اللجوء إليه إلا عند الضرورة. أما الكلمات العامية، فلم تشر إليها قراراتها، لكون معظمها منافية لمبدأ السلامة اللغوية،باعتبارها انحرافا على قواعد الفصحى.

ونتيجة لذلك، يمكن القول بلا حرج، أن لغة هذا النوع من الإنتاج الأدبي والصحفي، غير فصيحة في غالبيته، سواء بالمفهوم القديم للفصاحة، كما حددها اللغويون القدامى في حدودها الزمانية والمكانية المعروفة، أو بالمفهوم الحديث للفصاحة، لأن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، أزال بعض القيود التي وضعها القدامى لهذا المفهوم ، وأضاف بعض الأحكام القياسية التي من شأنها أن تساير الاستعمال الحديث.

يحق لنا الآن بعد العرض الموجز لهذه الظاهرة التي علاقة بالظواهر اللغوية الأخرى أن نبدي رأينا فيها، من الوجهة اللغوية الاجتماعية، وأن

نبين بعض النتائج التي يمكن أن تؤدي إليها ، والإشكالية التي يحتمل أن تترتب عنها.ولابد من القول أن الحديث عن هذه النتائج المحتملة، لم ينطلق من هذه الظاهرة بمفردها، بل هناك مؤشرات أخرى لغوية وغير لغوية، تؤيد ذلك، ستكون مواضيع لمقالات في المستقبل إن شاء الله.

إن استعمال الكلمات الدخيلة والعامية ظاهرة عامة في الأدب الحديث عربيا كان أم أجنبيا، إذ يلجأ الأدباء أحيانا إلى استعمال الكلمات العامية التي تنفرد بها منطقة معينة دون غيرها، وتفتقر إليها في الوقت نفسه اللغة المشتركة. فاللجوء إلى استعمال مثل هذه الكلمات، هو في رأينا إثراء للمعجم العام في تلك اللغة، باعتبارها تعبر عن مفاهيم وتصورات خاصة. كما يلجا الأدباء والصحافيون إلى استعمال الكلمات الدخيلة، ولاسيما تلك التي تطرأ حديثا في لغاتهم، ريثما يوضع لها مقابل مستحسن. وصحيح أيضا، أن الأدباء على وجه الخصوص، والمستعملين عامة، يرفضون في الغالب، ما تقترحه المجامع اللغوية وبعض المؤسسات التي تحاول أن تفرض عليهم معيارا معينا، باعتبار اللغة سلوكا عفويا، ككثير من السلوكات الاجتماعية. غير أننا نجدهم، في الوقت نفسه، يولدون بدائل لما تقترحه تلك المؤسسات، وهو ما قام ويقوم به بعض أدبائنا، لأن توليد الكلمات واستحداث بعض التعابير، هو من عمل رجال الأدب والإعلام والعلماء في جميع فروع المعرفة.

أما اللجوء إلى الدخيل والعامي، والمبالغة فيه، في غير هذه الحالات، باسم الواقعية وباسم ضرورات التواصل، أو بأي اسم آخر، وهي مفاهيم نوقشت ويمكن أن تناقش من جديد فهو في رأينا، استسلام للواقع ورضوخ

لـه، مـن قبـل نخبـة هـي التـي كانـت تثـور علـى هـذا الواقـع وتحـاول أن تغيره بشتى الوسائل.

إن التقصـير فـي كنـز ثمـين، اسـمه اللغـة العربيـة الفصـحى أو العربيـة المشـتركة، اختارهـا أسـلافنا عـن قناعـات راسـخة، ودفعـتهم إلـى ذلـك حـوافز قويـة، لأن أهـدافهم كانـت واضـحة، فـي وقـت، يتوحـد فيـه غيرنـا، بـدون لغـة واحدة، لكنه يفكر بحزم في إيجادها في أقرب وقت، لما للسان المشترك من فضائل في تدعيم هذه الوحدة، [14] يمكن أن يؤدي إلى نتائج غير محمودة على مستقبل هذه اللغة الشريفة، ولاسيما إذا بالغنا في هذا الاستسلام للواقع وفرطنـا فـي توليـد مـا يمكـن أن يثريهـا ويجعلهـا مسـايرة لمقتضـيات العصـر الحديث.

إن الخطورة ليست فيما نحن عليه الآن، لأننا ولله الحمد، لازلنا نجني ثمـار عمـل أسـلافنا فـي القـديم وفـي عصـر النهضـة الحديثـة، وبفضـل تلـك الجهود، تتم عمليات التواصل بين أبناء العالم العربي، على الرغم من بعض الصـعوبات الموجـودة الآن – وقـد أشـرنا هنـا إلـى واحـدة منهـا –، غيـر أن الخطورة الحقيقيـة، تكمـن فـي إشكالية نوعيـة المعطيات اللغويـة التـي تتغذى منها اللغة المشتركة، إذا ما وقع الاستمرار في الانصياع لهذا الواقع. وتتضح هذه الإشكالية في مظهرين:

يتمثل المظهر الأول، في كون اللهجات المحلية تغرف يوميا بلا حرج مـن اللغـات الأجنبيـة عـن طـرق كثيـرة ومختلفـة منهـا وسـائل الإعـلام والسـلع المستوردة والهجرة ونسبة المتعلمين بهذه اللغات إلخ..وفي قلة التوليد في هذه اللهجات ، إن لم يكن منعدما، نظرا، ربما لكثرة المفاهيم التي تظهر،

ولمعطيات لغوية اجتماعية، منها ما يمكن تسميته ب (الحظوة اللغوية " le prestige linguistique ").

ويتمثل المظهر الثاني فيما يطلق عيه الآن اسم العولمة، إذ يحتمل أن تنعدم الجدوى من الحدود التي تفصل الآن بين الدول، فيما يتصل، على الأقل، بتنقل المفاهيم والأفكار والسلع كما يحتمل أن تستقبل الدول الضعيفة، ومنها الدول العربية، الشيء الكثير مما ينتج خارج محيطها، باعتبارها دولا مستهلكة. وإن ربطنا المظهر الأول بالثاني، يمكن أن تكون الإشكالية على النحو الآتي: فإذا كانت اللهجات تتغذى مباشرة من اللغات الأجنبية التي تعتبر المصدر الأول لمعظم ما ينتج في العالم، وإذا رضخت العربية المشتركة لهذه اللهجات بأي اسم كان، فلسنا ندري كيف يصبح مستقبل هذه اللغة الشريفة ؟ وكيف يمكن الخروج من هذه الحلقة المفرغة ؟ فهذان تساؤلان موجهان إلى المهتمين بقضايا اللغة العربية المشتركة.

جهود العلامة موسى الأحمدي في خدمة العربية

بقلم ولده الأكبر مختار
عضو المجلس الأعلى للغة العربية
أستاذ بمعهد اللغة والأدب العربي
بجامعة عنابة

موسى بن محمد بن الملياني بن النوي – ومنه النويوات، نسبة بالجمع– بن عبد الله بن أحمد، ومنه الأحمدي[53].

ولد في 13 من شهر رمضان عام 1317 هـ الموافق 15 جانفي من سنة 1900م. بمشتى الحمائد بالطبّوشة، شرقي المسيلة بنحو 35 كلم.

وهو أصغر اخوته والثاني عشر منهم. ولم يكن أبوه ميسور الحال ولا كان في عنفوان شبابه. إنّما كان يناهز الخامسة والسبعين من عمره يوم رزق هذا الولد، حدب عليه ورعاه وأحبه كما يحب كل والد آخر من أنجب. ولم يرد له أن يكون كاخوته راعي إبل أو شاه أو فالحا لقطعة أرض قليل عطاؤها.

وما إن بلغ العاشرة من عمره حتى حمله إلى "سيدي عقبة" وتركه عند إحدى الأسر الخيّرة يقرأ القرآن بجامع عقبة بن نافع رضه. ثم انتقل إلى برج الغدير[54] بالقرب من برج بوعريريج إلى زاوية آل الأطرش، حيث تابع حفظ القرآن وشرع في دراسة الفقه والنحو. وكان لشيخه الحاج السعيد، تلميذ

الشيخ عليش بالأزهر الشريف، بالغ الأثر وفي غيره ممن حضر دروسه وتخرّج عليه.

وفي سنة 1336هـ/1917 م توفي الشيخ، فانقطع الأحمدي عن الدراسة إلى أن قيّض الله له أن ينتقل إلى قسنطينة قاصدا الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله. فتابع دروسه بالجامع الأخضر مدة سنتين 1345-1346هـ/1926-1927م.

ثم وجّهه الأستاذ ابن باديس إلى تونس ليتابع دراسته بجامع الزيتونة، وزوّده بكتاب إلى صديقه المرحوم الشيخ معاوية التميمي، فلقيه بالبشر والحفاوة ورعاه في دراسته وأشرف عليه إشرافاً علمياً وأدبياً.

تابع دراسته في الزيتونة مدة أربع سنوات غير منخرط في السلك النظامي، إنّما كان يختار أساتذته والحلقات التي يحضرها. درس العلوم الشرعية من أصول وفقه وتوحيد وتفسير كما درس النحو ومبادئ المنطق وعلوم البلاغة والسيرة النبوية.

عاد من تونس سنة 1348هـ/1930م بشهادة تدعى التطويع في ذلك العهد. عاد وهو غير راض بتحصيله وبمستواه العلمي. ذكر لي ذلك مراراً، بل كان يشكوه شكوى. مرة كان يقول لي:لو أمهلت ثلاث سنوات أخرى على الأقلّ لحصلت لي الملكة التي حصلت لغيري. هكذا كان يسميها. لكن الأقدار شاءت غير ذلك. توفي والدي وأنا أحوج ما أكون إليه فانقطعت عني كل إعانة مادية ولحقني من ذلك عنت شديد. فلم أستطع مواصلة دراستي إلى آخر مراحل التعليم بالزيتونة. اضطررت إلى الرجوع اضطراراً.

عاد إلى الموطن برغبة أكيدة في مواصلة دراسته، وفي طلب المعرفة حيثما وجدها وبوسائله الخاصة. ولم يكن له من الوسائل آنذاك إلا بعض الكتب مما كان مقررا في الدراسات الزيتونية، ومما اقتناه قبل ذهابه إلى تونس، في طبعات قديمة تضني الفكر وتجهد القارئ[55]. وبهذه الكتب وبغيرها مما ، ووطن نفسه على التحصيل وعلى توسيع أفقه الثقافي وعلى التأليف.

علم من سنة 1930/1348 إلى سنة 1937/1355 بالقرى المجاورة لقلعة بني حماد ولبرج الغدير، علّم تعليما مسجدياً. درس الفقه والحساب والفرائض والنحو. وكان الناس في ذلك العهد لا يقبلون تدريس الفقه إلا بمختصر خليل وبشرّاحه المعروفين بالمغرب العربي. وكان بالغدير سبعة فقهاء عرفت بعضهم في صباي وعرفهم الشيخ البشير الإبراهيمي وكان يسميهم "الفقهاء السبعة" إشارة إلى فقهاء المدينة السبعة، يدعوهم كذلك بنوع من الدعاية التي لا يعرف سرها وأبعادها إلا هو.

وكان لهؤلاء الفقهاء تأثير كبير في أفكار العامة ومعتقداتهم، رسخوا بتلك الناحية بدعا كان يحاربها ابن باديس ورواد الإصلاح آنذاك. فكانوا بدورهم يحاربون ابن باديس وتلامذته.

بقي الأحمدي بنواحي برج الغدير سبع سنوات بجوار الفقهاء السبعة يحارب البدع ومحدثات الأمور وينشّئ تلامذته على الإصلاح وطلب العلم. وقد عرفت الكثير منهم صبيا وكهلا وأقتصر على ذكر اثنين منهم: المرحومين عبد الكريم العقون الشاعر المشهور وعيسى معتوقي. وقد استشهدا في حرب التحرير رحمهما الله. وكانا من أعضاء جمعية العلماء.

لم يقصر نفسه على التدريس، بل ناضل في صفوف جمعية العلماء. بما كان ينشر من قصائد في مجلة الشهاب وفي جريدة البصائر وبمشاركته في بعض المسابقات العلمية. وكان متطلعا إلى معرفة الحركة الأدبية بالمشرق العربي، يقتني ما يستطيع اقتناءه من كتب ودوريات لا سيما الصادر منها في مصر كمجلة الرسالة.

أذكر أنه كان يدرّبني منذ السابعة من عمري على حفظ أبيات من الشعر، ثم انتقل بي إلى المقطوعات، ثم إلى القصائد الطوال. وأول قصيدة حفظتها ولماّ أتجاوز التاسعة قصيدة الزهاوي نشرت آنذاك في مجلة الرسالة. ومازالت ترن في أذني، لأنّ المشكلة التي عالجها الزهاوي في تلك القصيدة الطويلة مازالت قائمة إلى الآن: مشكلة اجتماعية اقتصادية سياسية فيها يقول متحدثا عن النفط:

لنا ثروة في الشرق أتعابها لنا *** وأرباحها في الغرب نهب مقسم

أردت أن أبيّن بهذا أنه كان في الثلاثينيات مهتما بالحركة الأدبية في العالم العربي وفي الغرب. كان يدرس الفقه والفرائض والنحو لكنّه كان إلى الأدب أميل منه إلى هذه الفنون، رغم بعده عن الحواضر ومنابع الإنتاج الأدبي، ورغم قلة المواصلات ووسائلها.

ومع ذلك راوده حلم التأليف منذ منتصف الثلاثينيات. فقد كان يدرس الفرائض لعدد من الطلبة لا يتجاوز العشرة في مسجد ريفي وفي منطقة جبلية معزولة عن السكان، لأنّ الناس في ذلك العهد لا يقبلون جواراً غير جوار الأقارب، وهو أمر طبيعي، وكان يفصل بين الأسرة والأسرة الميل والميلان. وكانت مواضعها تدعى بالأسر القاطنة لها (الفلانيون، أولاد فلان).

وفي ذلك المسجد النائي الجبلي درس لهؤلاء الطلبة الحساب والفرائض سنتين أو ثلاثا معتمدا ثلاثة كتب أساس:

1) -"بغية الباحث عن جمل الموارث" لأبي عبد الله الرحبي الشافعي (ت 577هـ) وهي منظومة مشهورة عرفت فيما بعد بالرحبية أو الأرجوزة، شرحها كثير من العلماء العرب ونقلت إلى الفرنسية والإنجليزية في أواخر القرن التاسع عشر.

2) – الدرة البيضاء لعبد الرحمن الأخضري البسكري الجزائري (ت 983 هـ) صاحب الجوهر المكنون[56] والسلم[57] والسراج[58].

3) – لباب الفرائض لمحمد الصادق الشطي من أساتذة جامع الزيتونة.

شغف بهذا الفن إلى أقصى حدود الشغف وجدّ في تحصيله إلى أن ملك ناصيته وعدّه مواطنوه من كبار المتخصصين فيه ووكل إليه المجلس الإسلامي الأعلى مراجعة "كتاب الفرائض للميلي" وهو صهر مبارك الميلي.

درب طلبته، بالمسجد الريفي الذي ذكرته، على تذليل صعاب مشكلات الفن بأقسامه الثلاثة الحساب والفرائض والوصايا، وحلّ لهم تمارين "لباب الفرائض" وكان ظهر حديثا في المكتبات، لأن صاحبه لم يفرغ من تأليفه إلا سنة 1353هـ/1934م، وهي السنة التي شرع فيها الأحمدي في تدريس الفرائض.

وكانت ثمرة جهوده بذلك المسجد الكتاب الذي فرغ من تأليفه سنة 1357هـ/1939م ونشره فيما بعد بعنوان "كشف النقاب عن تمارين اللباب" بتقريظ من الشيخ الصادق الشطي والشيخ صالح المالقي شيخ الجامع الأعظم سابقا والمكلف بمشيخة الإسلام المالكية.

وفي سنة 1356هـ/1937م، طلب منه الشيخ عبد الحميد ابن باديس أن ينتقل إلى مدينة برج بوعريريج ليعلم بمدرسة التهذيب، ولهذا الطلب معزاه لأن المدرسة لم تكن تحت إشراف جمعية العلماء. فغادر الريف إلى المدينة والعزلة العلمية أو ما يشبه العزلة إلى المساهمة في حركة ثقافية واسعة أتاحت له من وسائل المعرفة ما لم يجده في المساجد القروية، وتنوعت اهتماماته وتغيرت برامج التدريس وطريقته وأدواته، لكنه سرعان ما تكيف بالبيئة الجديدة.

علم بمدرسة التهذيب إلى سنة 1361هـ/1942م مبادئ اللغة العربية تعليما عصريا أو شبه عصري مع زميلين له درس أحدهما بالمدينة المنورة وثانيهما بجامع الزيتونة. ووجد من الفراغ ما سمح له بنشاطات أخرى لا تقل أهمية عن تعليم الأولاد وتربيتهم، وأوجزها في بعض النقاط:

كانت الحركة الكشفية في عنفوانها في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات، وكانت نشاطاتها الثقافية متنوعة لا سيما المسرحية منها. ووجد كشافة البرج في الأحمدي خير عون لهم، بل وجد فيهم ضالته المنشودة. نظم لهم أناشيد فصيحة عديدة، وألف لهم بالملحون مسرحيات هادفة ضمنها نقد المجتمع والتوعية السياسية بأسلوب مرح راوح فيه بين الجدّ والهزل والنثر والنظم. وكانت الحرب العالمية الثانية قائمة بويلاتها ونقص في المستوى الثقافي

والخلقي ولهو في المقاهي وجوع وعري وأصوات من أعلى خشبة المسرح تنادي:

فيقوا! فيقوا!

فيقوا! فيقوا! ما تناموش يا اللي رقدتو ما فطنتوش
هذا الفعل ما منــّوش فـيـقـوا! فـيـقـوا!
كثرتو كاولاد السمانة القهاوي منكم مليانة
وما قعدتو إلا للهانة فـيـقـوا! فـيـقـوا!
اعمل كيما يعمل جارك وإلا حــوّل باب دارك
يا اللي في النهضة ما شارك
فـيـقـوا! فـيـقـوا!

وتتعدد المسرحيات الهادفة وقصائد الملحون الرامية إلى الإصلاح الاجتماعي وتنمية الوعي السياسي، ولو لم تكن السلطات الاستعمارية مشغولة بوطأة الحرب وهمومها وفتنها الداخلية للحق الشاعر المصلح منها أذى شديد. والدليل على ذلك أنها لم ترحم أحدا عندما وضعت الحرب أوزارها.

ويبلغ إنتاجه في الملحون حوالي التسعين قصيدة أغلبها قومي وأغزرها ما نظم في سنوات الحرب العالمية الثانية وأعذبها ما قيل في العشرينيات.

أما النشاط الثاني الذي ساهم فيه بأوفر قسط وبذل فيه جهودا مضنية، فالحفلات التي كانت تقام بمناسبة المولد النبوي الشريف، وتتنافس فيها مدرستان، الأولى حرة والثانية رسمية، وخمسة معلمين وأكثر من أربعين تلميذا يدربون مدة شهر كامل في السنة على حفظ نصوص أدبية قديمة

وحديثة واستظهارها أمام أوليائهم. وكانت تلك النصوص المنتقاة من نماذج الأدب الرفيع خير ذخر لمن ساعده الحظ على متابعة دراسته. كما كانوا يدربون على أدوار تمثيلية أو شبه تمثيلية يعتمد فيها بعض ما ألف بالجزائر "كبلال" لمحمد العيد رحمة الله و"إسلام حمزة"، وكانت نشرت بمجلة الرسالة، أو محاورات يؤلفها الأحمدي بأسلوب مرح مسجوع يتخلله بعض النظم وتعالج فيها قضايا اجتماعية ثقافية.

وقد برّز في هذا المضمار ونجح فيه نجاحا لم يغفر له. وذلك ما سبب له مشاكل عانى منها الأمرّين، وعانى منها أبناؤه بضع سنين. وقد حاول أن يطبع هذه المحاورات التي ألفها، فلم تساعده الظروف. وأرى لها قيمة أدبية تاريخية ملحوظة.

وأما النشاط الثالث فتأليف "المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي". وهو الفن الذي اشتهر به في الأوساط الثقافية الجامعية وغير الجامعية. وله فيه إلى اليوم قدم راسخة. وما قولكم في رجل لم يأخذ مبادئ العروض عن أحد كائنا من كان ولا جلس بين يدي معلم ليحذقه ولو يوما واحدا، ثم يؤلف فيه تأليفا يناقش فيه القدماء والمحدثين على السواء، حتى المؤصّلين له؟ فعل ذلك مع الشريف الغرناطي (ت 1230هـ) شارح "مقصورة حازم" [59] و"الخزرجية" في العروض، ومع الدسوقي (ت 1230هـ)[60] في حاشيته

على شرح التفتازاني لكتاب التلخيص. تعقبه في خمسة مواضع بأدلة مأخوذة من فن العروض ومن الشعر. وينشر الدراسات العروضية النقدية في المجلات الشرقية مثل التي ردّ فيها على الأزهريين الذين تعقبوا الشيخ

الطاهر بن عاشور في شرحه لديوان بشار بن برد. وقد بيّن في هذه الدراسة ما لشارح الديوان وما عليه وما أصاب فيه أساتذة الأزهر وما جانبهم فيه الصواب.

والذي يميز كتاب المتوسط الكافي التعمق في المسائل الفنية وبسطها بوضوح تام وحسن اختيار النماذج الشعرية التي تبرز في مؤلفها حسا أدبيا مرهفا وشغفا بالشعر لا أحد له تفسيرا في تكوينه بقسنطينة أو بتونس والظاهر أن لهذا سراً لا يعرفه إلا هو.

وكانت الرقابة الاستعمارية شديدة على التأليف الوطني، لا يستطيع الجزائري أن ينشر كتابا إلا برخصة من عامل العمالة (الوالي) بعد أن ينظر فيه أحد المستشرقين. سلم المؤلف كتابه وبقي ينتظر سنوات. وموطل ثم قيل له إن النسخة التي سلمها ضاعت. فاضطر إلى كتابة نسخة أخرى. وتمضي السنوان ويكلف بإدارة مدرسة التهذيب، بعد أن قضى فترة طويلة في تعليم مبادئ العربية للصغار والراشدين في البرج وفي غيره. وأفاد من ذلك تجربة تمخضت عن حس تربوي أكيد وعن قناعة مبكرة في أن المدرسة الجزائرية في حاجة ماسة إلى كتاب مدرسي عصري يستمد مادته من الحياة اليومية ومن البيئة، وبأن التلميذ الجزائري يعجز عن تسمية أبسط الأشياء مما يمارسه يوميا ويستعمله صباح مساء. وبعبارة أوضح تبين له أن المعلم والتلميذ لا يعرفان اللغة الأساس وأن مستحدثات الحضارة في البيت وفي الشارع والمدرسة وعلى مستوى القطر تسمى باللغة الفرنسية. فالسيارة طومابيل، والدراجة بيسيكليت، والجرار تراكتور، وحجرة الاستقبال صالون، وهلم جرا.

أراد أن يرأب هذا الصدع في المجتمع الجزائري وفي المدرسة الجزائرية. فألف كتاب "المحادثة العربية"، وظف فيه بطريقة عصرية ما يسميه مجمع اللغة العربية بألفاظ الحضارة، مما يحتاج إليه كل عربي في لغته اليومية. ألف قبل تعريب التعليم بالجزائر تعريبا كاملا، وجعله للصفوف الوسطى من التعليم الابتدائي.

طبع الكتاب بلبنان مرارا، تارة بعلم المؤلف، وتارة بغير علم منه لرواجه بالبلاد العربية وبعض البلدان الإفريقية.

أشرف على مدرسة التهذيب إشرافا تربويا ثقافيا لا يقل أهمية عن الأول، فكون بها مكتبة تربو على الخمسة آلاف مجلد في شتى المجالات. وكان لأمهات الكتب الحظ الأوفر فيها. ولما تقاعد نقلت هذه المكتبة الثمينة إلى مدرسة المعلمين بمدينة سطيف.

وواصل نشاطه في التأليف والبحث رغم تقدم السن به. فشارك ثلاث سنوات متتالية في المسابقات الرمضانية 1398-1390هـ/1968-1970م. وكان يشرف عليها الشيخ أحمد حماني، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الذي أراد أن تكون لهذه الأسئلة أهمية علمية وثقافية حقيقية، وأن تثير همم العالمين والباحثين. كانت هذه الأسئلة تدور حول سبعة محاور كبرى: الدين من قرآن وحديث وأصول وفقه وعلم كلام، والتاريخ الإسلامي قديمه وحديثه، والجغرافيا واللغة، والآداب العربية، ورجاله، والشؤون القومية المعاصرة.

فاز في هذه المسابقات بالجائزة الأولى ونشر أجوبته في كتاب سماه "شرح الأجوبة الرمضانية" وقرظه واضع الأسئلة الشيخ أحمد حماني. يقول في ثنايا تقريظه:

"ومن يتصّفح أجوبة الأستاذ موسى يقتنع بغزارة مادته، وعلوّ كعبه وسعة ثقافته، وشدة ذكائه، ومهارته، في كشف النقاب عن المعميات. وإني أترك الكشف عن ذلك للقارئ الأديب يسايره في أجوبته ليصل إلى معرفته بنفسه. لقد كانت بعض الأسئلة كالألغاز في غموضها وشدة خفاء إشارتها ولكنها حقائق تاريخية أو أدبية تمتحن بها نباهة الأديب، وسعة اطلاعه، وشدة صبره. وكان الأحمدي – حيث يخيب غيره – لا يخيب وحيث لا يحاول غيره يحاول ويجيب، وحيث لا يصيب غيره ولا يقارب، يسدد ويصيب..." وراح الشيخ أحمد حماني يذكر بعض ما جعل هذه الأسئلة صعبة.

والحقيقة إنّ هذا العمل كلّفه جهودا مضنية لتشعّب مسالكه وتعدد فنونه. وقد أعطانا هو نفسه سرّ نجاحه فيه. يقول في مقدمة كتابه: "وأنا إذ أجيب عن هذه الأسئلة رغم تقدم سني إنما أستجيب لعاطفة رافقتني طيلة حياتي، وهي حبي للمنافسات الثقافية، ورغبتي في تذليل صعوبات البحث العلمي المتقمص للألغاز ..."

هذه الرغبة هي التي جعلته يدرب النشئ على فك الألغاز والمعميات وأوحت إليه النظم في جزء صالح منها على طريقة القدماء، بأسلوب مشوّق. ومازالت مخطوطة.

ولما ناهز الثمانين ألف "معجم الأفعال المتعدية بحرف"، نشر بدار العلم للملايين سنة 1399هـ/1979م. قال في مقدمته: "وللأمانة أنبه إلا أنه ليس لي من هذا العمل المتواضع إلا جمع ما تفرق من تلك المعاجم ليكون في كتاب واحد بدلا من كتب مختلفة وليسهل للباحث مراجعته".

ولكن المعاجم العربية التي يذكرها كلها هكذا من "تهذيب اللغة" للأزهري و"الصحاح" للجوهري، و"لسان العرب" لابن منظور إلى "تاج العروس" للزبيدي، لأنّ اللغة رواية ولا يمتاز فيها مؤلف عن آخر إلا باستيفاء الموضوع وحسن الاختيار وعدم الخروج عن الإطار المرسوم ووضوح العرض وملاءمة العصر.

وأنا أعد هذا العمل مكلّفا لا سيما لابن الثمانين، مفيدا بتبسيطه للمادة وبجمعها وكانت شتاتا وإخراجها في طبعة جديدة.

فإذا أضفنا إلى ما تقدم كتاب "طرائف وملح" الذي نشر سنة 1409هـ/1989م بدار العلم للملايين، وبعض المخطوطات وست قصص للأطفال أتينا على مجموع مؤلفاته وهي سبعة وعشرون مؤلفا.

أما نشاطه التربوي الثقافي، فمستمر إلى يوم وافته المنية. ما زال يقرض الشعر وهو ابن السابعة والتسعين ويدرّس للكبار من زائريه ما يرغبون فيه مما هو من اختصاصه، حبا في التدريس ورغبة في الإفادة لا غير. ويستفتى في القضايا الفقهية فيفتي، ويكتب على آلته الراقنة. ومما رقن في الصيف الماضي صيف 97، قصيدتين نظمهما في حفيدين من حفدته الكثيرين: الأول بمناسبة عيد ميلاد، والثانية بمناسبة ميلاد. وترك في إحداهما بيتا ينقصه شطره الأخير، فحاولت إكماله فلم أستطع إلا بعد الجهد.

هذه رحلته العلمية حاولت أن أنقلها موجزة وبالأمانة التي يقتضيها العلم. ولا أرى ما يلخصها خيراً من كلمة كان يجيبني بها في ظرف متكرر لا داعي إلى ذكره، كان يقول: "يا بني! إنني جئت من بعيد." نعم! جاء من بعيد وبلغ شأواً بعيداً.

إشكالية التواصل اللغوي بالجزائر

الأستاذ إبراهيم سعدي
أستاذ بمعهد اللغة والأدب العربي
بجامعة تيزي وزو

1- اللغة كعامل مؤسس للمجتمع

دأب الخطاب اللغوي في الجزائر على تأسيس أطروحته على نوعين رئيسيين من الاعتبارات : اعتبار الحداثة واعتبار الهوية فالخطاب الناطق بالفرنسية يستند بصورة جوهرية على المطلب الأول، بينما الخطاب الناطق بالعربية يؤسس مشروعيته على المطلب الثاني من غير أن ينفي عن نفسه طابع النجاعة، أي الحداثة. أما النظر إلي اللغة بوصفها عنصرًا أساسيًا للإدماج الاجتماعي للأفراد فقد ظل طرحا غائبا في هذا النقاش، علما أن هذا الغياب نلاحظ وجوده منذ القدم في الجزائر. فالملك ماسنيسا الذي سعى إلى تحقيق وحدة المغرب الكبير في القرن الثاني قبل الميلاد قد حرص بالمقابل على أن يتلقى أبناؤه تربية يونانية وعلى أن يعبد النوميديون آلهة يونانية أيضا. أما ابنه الأكبر مسينيسا الذي خلفه في سيرتا بعد موته، فقد عاش بين الأدباء والفنانين الإغريق. و كان سيفاكس عدو مسنيسا، يقلد في

حياته ملوك اليونان. وفضلا عن هذا كله، فقد كانت اللاتينية هي لغة الدولة النوميدية.

وهذه الظاهرة المتمثلة في اعتماد الدولة المحلية على نموذج ثقافي مستعار، تكررت في جميع الممالك البربرية التي عرفها تاريخ الجزائر القديم، سواء تعلق الأمر بتلك الممالك التي ظهرت في نوميديا أو التي قامت في موريطانيا. و كان من نتائج ذلك الحيلولة دون ترقية الأمازيغية إلى لغة مكتوبة مشتركة تساهم في الحد من دور اللهجات البربرية في إعادة إنتاج النظام القبلي المؤسس للتفرقة، وفي الحيلولة دون قيام حضارة راقية على غرار الحضارات التي عرفتها المنطقة، كالحضارة المصرية أو الحضارة اليونانية أو الحضارة الرومانية. كما كان لهذا التغييب للثقافة المحلية في بناء الدولة و في تحقيق وحدة المجتمع أن جعل النخب البربرية المثقفة تستثمر عبقريتها لفائدة ثقافة الغير وحضارته، و بالتالي تساهم في عملية الاندماج مع الآخر، بدل تعزيز الذات الجمعية للأمازيغ. و هكذا لم تجن الثقافة المحلية أي فائدة من عبقرية أغسطينوس والقديس سبريانو وأبوليوس و يوبا الثاني، وغيرهم من المفكرين ذوي الأصل البربري طالما أنهم كتبوا بلغة الآخر، لغة المحتل الروماني اللاتينية، مع العلم أن هذه الظاهرة كانت المرجع الذي أسس عليه " لوي برتران" وأتباعه من إيديولوجي الدولة الكولونيالية أسطورة الجزائر اللاتينية من أجل إضفاء الشرعية التاريخية والثقافية على الاستعمار الفرنسي للجزائر.

يتكرر الاتجاه نفسه اليوم في بعض الخطابات الإيديولوجية الجزائرية المعاصرة التي تتميز باستبعاد اللغة كعامل إدماج اجتماعي للأفراد وأساس

لبناء الأمة. فنزعة الاندماج مع الآخر ثقافيا وحضاريا تمثل خلفية الخطاب المؤسس على "العالمية" و"المتوسطية"، وعلى تغليب الجغرافي، أي القرب من أوروبا، على العامل التاريخي الذي يحيل إلى الحضارة العربية محل الفرنسية و في اختيار كتابة الأمازيغية بالأبجدية اللاتينية.

هذه الظاهرة الأخيرة جديرة بشيء من التوضيح ذلك أن هناك من يعتقد أن حروف الكتابة مجرد أشكال عديمة الدلالة في حد ذاتها. وهذا بالطبع غير صحيح، فهي تحتوي على قيمة رمزية وعاطفية وتاريخية و حضارية. فمصطفى أتا ترك لما عزم على إلحاق تركيا بأوروبا فان إحدى الإجراءات التي اتخذها بهذا الشأن هو تغيير الحروف العربية التي كانت تكتب بها التركية بالأبجدية اللاتينية. و هذا الإجراء لم يكن مجرد إجراء شكلي، بل تعبيرا عن الإرادة في الانفصال من عالم ثقافي وحضاري و تاريخي معين من أجل الانخراط في عالم ثقافي وحضاري آخر. ويمكن أيضا أن نذكر بهذا الصدد مثال السرب والكروات، فهذان الشعبان يملكان لغة واحدة، لكن العداء القائم بينهما لأسباب دينية (السرب أرثوذوكس والكروات كاثوليك)، أدى بهما إلى كتابة لغتهما الواحدة بحروف متمايزة، فالسرب يكتبونها بالحروف السيريلية (الرموز الروسية) والكروات بالحروف اللاتينية. و عليه لا يمكن أن يكون اختيار كتابة الأمازيغية بالحروف اللاتينية مجرد إجراء شكلي أو تقني، لا دلالة له. إنّه يعبر، حسب رأينا عن إرادة القطيعة، ولو جزئيا، عن الفضاء الحضاري العربي الإسلامي و عن السعي إلى الارتباط بالغرب ثقافيا. و لو تم اختيار حروف تفيناغ لما كان هناك داع إلى افتراض الملاحظة الأخيرة. و هذا يكشف من جانب آخر عن عدم توظيف اللغة كأداة دمج وربط

بين الأعضاء الذين ينتمون إلى مجموعة وطنية واحدة، إذ لو روعي هذا الجانب لوقع الاختيار على الحروف العربية في كتابة الأمازيغية.

2- في العلاقة بين تشكل الأمم و تشكل اللغات الوطنية :

دور اللغة في نشأة الأمم و إقامة المجتمعات قد ازدادت أهميته نتيجة تراجع الدّين في العصر الحديث. فالتأمل في التاريخ الحديث يلاحظ الارتباط بين تشكل الأمم و تشكل اللغات الوطنية. ففي عصر النهضة أفرزت البدايات الأولى للشعور القومي في إيطاليا دعوة دانتي إلى تأسيس لغة وطنية و إلى جعل العامية الإيطالية تقوم بهذا الدور.

وفي فرنسا كان لتوسع النظام الملكي في عهد لوي الخامس على حساب النظام الفيودالي أن أفضى إلى تحول الفرنسية من لغة لا يتجاوز نطاق استعمالها حدود "ليل دي فرانس" إلى لغة مشتركة، أي إلى لغة وطنية للأمة الفرنسية التي كانت في طور التكوين.

وفي ألمانيا أدى انفصال "لوثر" عن كنيسة روما، في القرن السادس عشر، إلى ترجمة الإنجيل للمرة الأولى من اللغة الألمانية. و قد كان ذلك من العوامل التي ساهمت في بلورة الشعور القومي الألماني، و في تحقيق الوحدة الألمانية فيما بعد.

ومن المعلوم، من جهة أخرى، أن تأسيس دولة إسرائيل رافقها اتخاذ اللغة العبرية لغة مشتركة لجميع اليهود الذين استوطنوا أرض فلسطين قادمين من شتى بقاع العالم بلغاتهم المختلفة.

ويدل قيام مؤتمر فرساي (1919) بتقسيم الإمبراطورية النمساوية – المجرية حسب الحدود اللغوية على وجود ارتباط بين الشعور الوطني. و هذا

يعني أن البلدان التي لا توجد فيها لغة مشتركة يكون انسجامها الداخلي ضعيفا. بل قد يصل الأمر إلى حد انقسام الدولة على نفسها كما حدث في جزيرة هايتي الكبرى (1844) التي انقسمت إلى دولتين، إحداهما و هي جمهورية هايتي، التي تنتشر فيها فرنسية مهجنة (لغتها الرسمية هي الفرنسية) والثانية هي سان دومينغ حيث تعم إسبانية محلية (لغتها الرسمية هي الإسبانية). ويلاحظ من ناحية أخرى أن انهيار الإيديولوجية الشيوعية قد أدى إلى توحيد الألمانيتين اللتين تشتركان في لغة واحدة، بينما نفس الانهيار للإيديولوجية الشيوعية قد أدى إلى تفكك البلدان التي كانت لا تتمتع بالوحدة اللغوية مثل تشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا و الاتحاد السوفياتي.

و يكشف النظام الفدرالي هو كذلك عن الدور الهام للغة في تشكيل المجتمع، فالنظام قد فرضته التعددية اللغوية التي تتميز به بعض البلدان كسويسرا و كندا مثلا. فهذا النظام يقوم على مراعاة الخصوصيات اللغوية في التنظيم الإداري للمجتمع للحيلولة دون تطور هذه الخصوصيات إلى نزاعات ذات طابع استقلالي أو انفصالي أو إلى مصدر للتوتر داخل المجتمع. فالتعددية اللغوية إذن يمكن أن تجد لها إطار المؤسسات الطبيعي في النظام الفدرالي ، أما النظام القائم على مركزية الدولة، كما هو الأمر في الجزائر، فهو يقتضي لغة رسمية واحدة.

و لأهمية اللغة كعنصر إدماج و انسجام داخل المجتمع فان بعض الدول (فرنسا والولايات المتحدة مثلا)، تشترط على كل من يطلب جنسيتها أن يكون متقنا للغتها الوطنية. و لهذا لا نتعجب حين تضع جريدة "لومند" يوم

15 يوليو 1978 في مقال لها حول هذا الموضوع عنوانا تعلن فيه أن : " اللغة هي الجنسية".

3- الازدواجية اللغوية و الصراع الثقافي داخل المجتمع :

لا نجد في بلادنا مثل هذا الوعي بالوظيفة الاستراتيجية للغة مع أن الجزائر هي أكثر البلدان معاناة من مشاكل التواصل اللغوي. هذه المشاكل ناتجة عن كون بروز الجزائر كأمة لم يرافقه تبلور العربية كلغة وطنية جزائرية تعرض ممثلوها، مثل سائر الجزائريين للاستلاب الثقافي، لم يأخذوا بعين الاعتبار اللغة كمكون أساسي لهذه الوطنية.

وينبغي التوضيح أن المشكلة لا تتمثل في العلاقة بين العربية والأمازيغية، فارتباط هذه الأخيرة بالشخصية الجزائرية يعطي لها نفس القدر من الشرعية رغم اختلاف الأداء الحضاري و الثقافي لأسباب تاريخية.

إن الثنائية (عربية / فرنسية) المنجرّة عن تدمير البنية الثقافية الأصلية للمجتمع الجزائري من جراء الوجود الكولونيالي هي أساس المشكلة اللغوية المعيشة منذ الاستقلال. أنها سبب ظهور انقسام اجتماعي على أساس ثقافي لا سيما على مستوى النخب. فالانقسام الثقافي المتأتي من ممارسة لغوية قائمة على ثنائية تنازعيه أدى إلى اهتزاز المرجعيات المشتركة للمجتمع. لهذا السبب تقدم الدراسات ذات الطابع الاستراتيجي الجزائر كمجتمع يعوزه الانسجام إذا ما قيس بالمجتمع التونسي أو الليبي مثلا، لكن ليس صحيحا في آن واحد ذلك الرأي القائل بأن سعي فئة من الجزائريين إلى فرض الفرنسية كلغة مهيمنة في بلدهم ينم عن ضعف الوازع الوطني أو انعدامه.

ففي كثير من الحالات يمكن تفسير ذلك بحقيقة أن الإنسان ليس هو الذي يسيطر على اللغة و يتحكم فيها ، بل العكس هو الصحيح؛ فاللغة هي التي تتحكم فينا و توظفنا وتحرر أفكارنا وعواطفنا وتوجهاتنا.

إذا كان اكتساب اللغات الأجنبية أمر لا جدال فيه، فإنه من الأهمية بمكان التوضيح بأن الغاية من ذلك ليس التواصل بين أهل البلد، لأن وظيفة الإدماج خاصية من خاصيات اللغة أو اللغات الوطنية وحدها. إن إغفال هذا المبدأ هو الذي أدى إلى جعل الفرنسية؛ عوض أن تكون مكسبا أو غنيمة حرب على حد تعبير كاتب ياسين؛ تتحول إلى أداة صراع داخل المجتمع. فاللغة الأجنبية إذا ما استعملت لأداء الوظائف المخولة للغات الوطنية وحدها تتحول إلى أداة توتر اجتماعي أي إلى وسيلة تنتج سوء الانسجام في المجتمع.

4- دفاع عن الدارجة :

أن النظر إلى اللغة باعتبار " الرابط الذي يكوّن المجتمع"، كما يصفها جون لوتز يِدي إلى التساؤل عن دور اللغة الدارجة في إطار هذا المنظور. و الواقع أن الدارجة هي الأكثر تداولا في مختلف جهات الوطن فيما يخص الوظائف الشفوية للغة. و لكونها تتميز بسهولة الاكتساب، وبالتالي بالقابلية على الانتشار، فقد جعل منها ذلك أداة اتصال مشترك بين الجزائريين. وإذا ما سلمنا بأن الإدماج الاجتماعي هو إحدى وظائف اللغة، فإن هذا الدور تضطلع به الدارجة أساسا فيما يخص المجال الشفوي المعتمد خارج نطاق المؤسسات الرسمية بمختلف أنماطها. لكن هذا يعني أيضا أن وظيفتها التواصلية تقتصر على فضاء التبادل اللغوي العام، أما على مستوى

الفضاء الخاص، أي النخبوي، فلا تلعب أي دور، و ذلك حتى كأداة تواصل مع الشعب. فاللغة الدارجة ظلت دوما مقصية من الخطاب السياسي و الديني والإعلامي، وذلك بالرغم من أنها تعبر عن الخصوصية الجزائرية كلغة الكتابة والعلم والمعرفة، فوظيفتها تقتصر على المبادلات الشفوية أساسا، وهي مبادلات ذات أهمية على أكثر من صعيد، لكنها للأسف مجهولة أو غير معترف بها.

5 – الخلاصة :

إن التفكير في الجزائر كمجتمع و أمة أمر يتطلب ترقية ثقافة الإدماج دون أن يعني ذلك الإقصاء أو الانغلاق على الذات. فالمجتمع المتماسك داخليا هو وحده القادر على التفتح على الآخر في الحقيقة. ثم إن الديمقراطية لا يمكن أن تزدهر إلا في مجتمع يملك مرجعيات ثقافية مشتركة.

المراجع:

1- Moncel Cohen, Matériaux pour une sociologie langage, T II, Maspéro, P.81

2- ن.م.

3- جون لوتز، الرموز تخلق الإنسان، آفاق المعرفة، مؤلف جماعي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1962، ص 294.

تعريب الذهنيات قبل الألسنة

الدكتور محمد كشود
وزير سابق

يعارض البعض استعمال مصطلح "التعريب" لاعتقادهم أن استعمال المصطلح يعد خطأ، باعتبار أن الشعب الجزائري عربي اللسان في الأصل، وبالتالي لا يمكن تعريبه ولذا فضلوا كلمة تعميم استعمال اللّغة العربية بدلا منه.

ولئن كنا نتفق مع هذا الطرح نسبيا، إذا ما كان الأمر يتعلق بجزء من التعريب لم يتم تعميمه بعد على مستوى مؤسسات الدولة، وبذلك تكون كلمة "استعمال تعميم استعمال اللغة العربية" عوض التعريب هي الأصح، إلاّ أن مصطلح التعريب يبقى قائما، لأننا نعني بالتعريب في المقام الأول تعريب الذهنيات، قبل الألسنة، لأن الذهنيات المتحجرة تمثل في الواقع أخطر الحواجز التي تحول دون تعميم استعمال اللغة العربية في مؤسسات الدولة بمختلف اختصاصاتها، والتعليم العالي، باستثناء الآداب والعلوم الإنسانية، وذلك تحت ذريعة عدم وفرة الإمكانيات.

ويعدّ في اعتقادنا رفض إدخال التعريب في بعض المؤسسات بصفة عامة،وفي بعض مواد العلوم في التعليم العالي بصفة خاصة بحجة قلة

الإمكانيات من مصادر وتأطير وما إلى ذلك، هو ضرب من الأوهام وذهنيات مازالت لم ترقَ بعد إلى ما يجب أن تكون عليه تماشيا مع الحقيقة وواقع الجزائر.

وإنّ الاعتقاد، بأنّ البحث العلمي يرتكز أساسا على اللغة، هو اعتقاد وهمي وهو تهرب من الحقيقة.

لقد قلنا ومازلنا نقول، ونؤكّد ما قاله غيرنا بأن عملية البحث والاختراع والإبداع تنبع من الأفكار، أمّا اللغة فهي وسيلة لترتيب، وتركيب، وتوصيل هذه الأفكار إلى الغاية التي نريد الوصول إليها عن طريق البحث والتجارب. وصحيح أيضا، أن البحوث والاختراعات لا تقتصر على الإدارة، والقدرة على الإبداع فحسب، ولكن قد تصادفنا عراقيل الإمكانيات المادية البحتة التي علينا توفيرها. غير أنّ هذه العوائق لا يجب أن تقف أمام المفكرين كحجر عثرة، بل يجب تخطيها بواسطة الإرادة الصادقة.

وعليه لا بد من تحديد هذه الإمكانيات، والتي لا تخرج في اعتقادنا عن عنصرين أساسيين: أحدهما مادي وثانيهما معنوي. ونعني بالعنصر المادي: ما قد ينحصر في الوسائل بالمفهوم الواسع، كالآلات والأدوات، وغيرها من الإمكانيات المادية الأخرى. أما العنصر المعنوي: فنعني به إرادة الشخص، وإمكاناته الفكرية، والمبادرة في البحث والاختراع وهذه العناصر تدخل في جملتها تحت عوامل مدى قدرة الفكر الإنساني على الإبداع والعطاء بوسائل عديدة، ومنها اللغة لأنها لصيقة بالذات بمساعدة اللغات الأجنبية بطبيعة الحال والتي قد تعد من الضروريات الملحة أحيانا في هذا الشأن، لاسيما في

عصرنا الحاضر. وبهذا يبقى الفكر الإنساني ومدى قدرته على التحدي، هو الأساس في عملية الابتكار.

وإذا عدنا إلى أسباب إهمال لغتنا الوطنية باعتبارها المحور الأساسي كوسيلة للبحث. علينا أن نتعمق في هذه المسألة ونتساءل؟ هل صحيح أن الفكر العربي لا يقبل احتمال البحث بواسطة استعمال لغته الوطنية كعنصر أساسي وكوسيلة يعبر بها، مما يجعله يلتجئ إلى البلدان الأجنبية ولغاتها التي توفر له الإمكانيات الملائمة لمتابعة بحوثه؟ شخصيا لا أعتقد ذلك، لأنه برهن على قدرته وحيويته من خلال تجاربه الناجحة في الاختراعات، مرات عديدة على الرغم من قلة الإمكانيات والأدوات المتوفرة لديه كما ذكرت من قبل. ولو أنّ هذه الأدوات هي نفسها لابدّ أن تخضع للاختراعات والإبداعات، في إطار المخطط الذي يوضع من أجل الوصول إلى الأهداف المحددة، كما فعل غيرنا في بلدان أخرى وبلغات أقل فعالية من اللغة العربية.

وبالنسبة للمخطط المرسوم لذلك: فعلى الدولة أن تعمل من أجل تحديد التوجهات الكبرى للبلاد، وذلك عن طريق مخطط مدروس قابل للتنفيذ سواء في المدى القريب، أو المتوسط، أو البعيد يتماشى ومصلحة البلاد في جميع نواحي الحياة. وفي هذا الإطار يمكن أن يتم توجيه الطلبة منذ البداية للاعتناء بالبحوث، بناء على التوجهات المرسومة بمختلف أنواعها وفي جميع الميادين، مع ترتيب الأولويات وتوفير الإمكانيات اللازمة لذلك.

ونحن عندما نقول لابدّ من توفير الإمكانيات، لا نقصد الإمكانيات التي تخرج عن طاقاتنا، أو نطالب بما هو غير ممكن، وبالتالي نحاول اختراع الصعوبات التي تحول دون تمكيننا من بلوغ أهدافنا. ومن أهم العوائق –في اعتقادنا– التي تواجه الباحث في اعتماده على لغته الوطنية كوسيلة للتعبير هي:

أ- *الذهنيات*: تعد الذهنيات أحد العناصر الأساسية في نجاح أو فشل أي مشروع يهدف إلى تحقيق غايات الأمّة. لاسيما إذا كانت ترفض الامتثال إلى واقع حقيقي ملموس لا غبار عليه، وذلك بسبب:

1- *عدم الثقة في النفس*: بحكم مركب النقص الذي مازال يهيمن على الذات عند البعض، وبالتالي يرفضون المغامرة، والمبادرة، وكأني بهذا الشعب حسب ما يعتقدون بذلك أنه لا يقبل أن يكون متبوعا بل يكتفي بالتبعية من خلال عناصر عديدة، ومن بينها اللغة.

2- *ضعف ثقافة البحث العلمي*: الذي يعتبر –في اعتقادنا– المحور الأساسي في مجال إعادة الاعتبار للشخصية الوطنية عن طريق استخدام لغته كوسيلة في البحث العلمي والتي تعتمد أساسا على الموهبة الفكرية، والثقة في النفس والتفتّح على العالم الخارجي.

3- *التأثير والتأثر*: يلعب هذان العنصران أدوارا هامة في حياة الأشخاص. فبالإضافة إلى التأثر الذي يساير الفرد منذ نشأته عن طريق الأسرة والمدرسة والمحيط، وهذا الأخير يعد أساسا

في الموضوع فإنه أيضا يمكنه أن يؤثر في الغير بما يملك من خصائص الرؤى والاستشراف.

ب – *اللغة*: إن عدم الإيمان بالمكانة الخاصة للغة في حياة الشعوب يعد من العوائق الحساسة، وكذلك عدم توفر الإمكانيات المتاحة للعمل بها في مجال البحث العلمي مما يؤدي إلى اللجوء إلى اللغة التي تمكّن صاحبها من الوصول إلى الغاية النسبية التي يصبو إليها. ومن هذا المنظور فإن التخطيط، وفسح المجال للغة الوطنية حتى تلعب دورها في مختلف الورشات العلمية المكملة هو من الضروريات الحتمية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

ج – *الإرادة العصامية*: وهي أحد العناصر الأساسية والتحفيزية في تكوين شخصية الباحث العلمي مبدئيا، قبل أن يصبح بطبيعة الحال مفكراً عالمياً، لاسيما إذا كانت بحوثه تخدم الإنسانية جمعاء، وليس بلاده بمفردها. وانعدامها قد يضعف شخصيته مهما كانت نيته وقدرته وموهبته.

د – *الوطنية الصادقة*: إن حب الوطن من الإيمان، وترسيخ حب الوطن لدى أفراد شعبنا، يعد من البواعث العميقة لإدخال البلاد مجال العولمة بكل قوة ونجاح، ولغته الوطنية مجال البحث العلمي.

وفي خضم هذه الأفكار المبعثرة نوعا ما، نتساءل عن مدى أهمية هذه الأهداف المرجوة؟

وقبل الإجابة على ذلك لابد أن نعود إلى الذهنيات المؤثرة والمتأثر بها، في مجال البحث.

لابد أن نعترف وأن معظم الذين يشرفون على زمام أمور التعليم العالي، من إداريين وأساتذة، مازالوا لم يتخلصوا بعد من هاجس اللغة الأجنبية وضرورة هيمنتها، لأنهم يرون بأنه وبها فقط، يمكننا حسب ما يعتقدون الدخول في عالم البحث العلمي بصفة جدية والحصول على نتائج معتبرة، وذلك لأنهم يرون في العربية التأهيل لأن تضاهي غيرها من اللغات في قدرات التحكم في البحث العلمي، وبالتالي يتجنبون الخوض في عمقها المجهول حسب ما يرون، وهذا "حق أريد به باطل".

يتذرع أصحاب هذا الرأي بعدم توفر المصادر والأطر التي تعينهم على التعمق في البحث، مما يجعلهم يلتجئون للاستعانة بالمصادر الأجنبية.

ونحن لا نخالفهم في هذا الطرح بقدر ما، نؤكد مطامحنا في التفتح على العالم الخارجي، لأنّ العلم ليس حكراً على جهة معينة.

ولذا نحن من الذين يشجّعون العودة للمصادر والاستعانة بالأطر الأجنبية عند الحاجة، إلا أنه لابد أساسا من الرجوع إلى المصادر العربية وإغنائها، بزيادة التأليف بها لا العكس، مع فسح المجال أمام القادرين على إعطاء دروس باللغة العربية، وإلاّ كيف يتم تطوير هذه اللغة وترقيتها إذا ما بقينا نعتمد على اللغة والمصادر الأجنبية فقط؟

وفي هذا الصدد علينا أن نتساءل عن سبب هذا التعنت عند هؤلاء؟ ولو أن الإجابة على ذلك سهلة والرد عليه بسيط بساطة تفكيرهم في هذا الموضوع.

لاشك وأن اللغة الأجنبية التي يتحكّمون فيها قد أثرت عليهم ولعبت دورا هاما في تكويناتهم الإيديولوجية، إلاّ أنهم يحاولون إخفاءها ويتذرعون

بالمصلحة العليا للوطن وحرية التعبير، والديمقراطية والعولمة. هذا بالإضافة إلى أنهم لا يؤمنون بقدرة اللغة العربية على مواكبة التطورات الحديثة. يقول أحد هؤلاء العادين للّغة العربية: "إني أتصور عندما يحدّثونني على تدريس العلوم باللغة العربية، كأنّ رجلا في الصحراء ينفخ "الناي" رافعا رأسه إلى السماء". وجاء على لسان أحد الأساتذة الغيورين على لغتهم، أنه ناقش أحد الأساتذة - الذين لا يؤمنون بقدرات اللغة العربية- حسب زعمه، وكان مشرفا على تسيير إحدى الجامعات، فقال له: "نحن الجزائريين، نرفض أن نصبح نتكلم اللغة الفرنسية كما يتكلمها...."، وذكر بعض الدول الشقيقة والصديقة.

تصوّروا معي مثل هذه السذاجة حتى لا أقول كلاما آخر، ما ضرّ هذا المسؤول وأن يتكلم الجزائري الفرنسية بطلاقة، وبدون تكسير في نحوها ونطقها عوض تعلمها كي تكون مساعدة له في بحوثه العلمية. أمّا الأوّل فقد اعتقد وأن العالم المتعرّب عبارة عمن ينفخ النّاي في الهواء.

إنّ التفكير بمثل هذه الذهنيات الشاذة، هي التي كانت السبب في ظهور ذهنيات مضادة ومتطرفة مما يستوجب علينا الوقوف ضدّ المغالاة، لأنها تعد أمّ العراقيل.

صحيح أنّ المسألة قد لا تكون بالسهولة التي نراها، ولكن لابد من تكثيف العمل الجاد من أجل تصحيح المفاهيم لدى الأطراف المتشكّكة. وفي هذا السياق، فإنّ الجزائر لا تشذ عن بعض الدول التي مرّت بنفس المرحلة، حيث وجدت بعض أبنائها يتنكرون بطريقة أو بأخرى لهويتهم وعلى رأسها لغتهم، وقد اعتبروا أنفسهم ينتمون حضارة إلى شعوب أوروبا ولا

علاقة لهم بالعالم الذي ينتمون إليه حقا. وذلك نتيجة تأثرهم بما بلغت إليه من أوج حضارتها، ومن هؤلاء على سبيل المثال "سلامة موسى" في مصر، وغيره، ممّن ناصروه في عصره.

ونحن إذ ندعو إلى ضرورة تعريب الذهنيات قبل كل شيء، فإنّنا نعني بتعريب الذهنيات جعلها تتقبل، وتقتنع وتؤمن بأن اللغة العربية كوسيلة يمكن التعامل بها مثلها مثل اللغات الأخرى، وأن قوتها وضعفها يكمن عند العاملين بها. ونعني بالذهنيات أيضا الأفكار، والنفوس، والإيمان، والثقة، والإرادة التي يجب علينا ترويضها، وتهيئتها لاستيعاب أهمية اللغة الوطنية باعتبارها لصيقة بالشخصية لا يمكن الاستغناء، أو الانفصام عنها.

قال أحد كبار مفكري أوربا "ديكارت" "أنا أفكر إذن فأنا موجود". وقال أحدهم للآخر "يا هذا أفي اللّه شكّ؟" مقولة تردّدت كثيرا وستظل تتردّد دائما لأنّ اليقين القلبي الإيماني هو المحيط الواسع الذي يضمّ البرهان العقلي.

فإذا كانت الذهنيات تؤمن بوجودها وإثبات وجودها، وبأنه لم يكن عبثا، فلابد أن تعمل لتحقيق غرضها وذلك بمختلف الطرق. وقد يتلفظ اللّسان بلغات عديدة، وهذا ليس عيبا بل هو محبذ عند الضرورة، ولكن على الفكر والعقل أن يؤمنا بمضمون الشخصية التي من بين عناصرها اللغة الوطنية.

فعندما يؤمن الذهن بأنه مرتبط بمجموعة من التراكيب اللصيقة بشخصيته الإنسانية، فلا خوف من التلفظ بأي لغة كانت وذلك للتعبير عما قد يصعب الإفصاح عنه باللّغة الأم أو للتعامل مع الغير، أو للاستعانة به، بل بالعكس لابد من دفعة لتعلم لغات أخرى للمزيد من التحصيل العلمي.

غير أنّ المغالاة في التعبير باللغات الأجنبية وحتى مع أطفالنا الصغار ويدون مبرر وراء غطاء العصرنة، والعولمة، وما شكلهما من أغراض، ودون إبداء أية محاولة أو جهد للتخلص من هذا النقص، قد يؤدي إلى تأثيرات سلبية أكثر منها إيجابية، وإلى التبعية للغير شكليا.

لقد اندهشت كثيرا عندما سمعت بعض الذين يرددون شعارات عن جهل أو قصد، يقولون: لماذا هذه المغالاة ضد اللغة الأجنبية ونحن جوار أوربا، وحتى مفجري الثورة التحريرية قد حاربوا الاستدمار بلغته؟

ولا ندري بالضبط مغزى هذا الشعار المحير الذي أصبح يتداول على ألسنة البعض بقصد خلط الحسابات التي نحن في غنى عنها. وفي هذا السياق نحذر من محاولة تغليط الشباب، وتشويه الحقائق سواء كان ذلك عن سوء أو حسن نية، ويبقى أمامنا أن نتساءل عن قصد هؤلاء المدعين؟ فإذا كانوا يقصدون عدم التعصب ضد اللغة الفرنسية، فليس هناك جزائري ضد أي لغة مهما كانت، ولم يكن أيّ يفكر بأنه وطني أكثر من غيره لأنه يحسن لغة دون الأخرى، وإذا كانوا يؤمنون حقيقة بهذه الأوهام، أي أنّ مفجري الثورة حاربوا فرنسا بلغتها فقد وجب علينا علاجهم بواسطة التربية المدنية، أو من خلال مواجهاتهم بالحقائق الفعلية إن كانوا عنها ساهين.

إن شبابنا الذي كان له الفضل في تفجير ثورة التحرير، هو شباب جزائري، منه من كان مثقفا باللغة الفرنسية وقد كان تعليمها إجباريا من الاستدمار، ومنه من كان مثقفا بلغته الوطنية والتي كانت تكاد تكون ممنوعة وتعتبر كأنها لغة أجنبية، ومع ذلك تعلمها رغم أنف الاستدمار، كما كان البعض أميين لا يحسنون لا اللغة الفرنسية ولا اللغة العربية، ولكن كانت

قلوبهم مؤججة ضد الاستدمار لتخليص بلادهم منه. أما حجة جوار أوربا، فهذا يزيدنا تأكيدا وحرصا على لغتنا إذا ما تطلعنا إلى تاريخها في هذا المجال وكيف تعاملت هي مع هوياتها على الرغم من تقارب حدودها وقلة عدد سكان معظم دولها ومع ذلك تبقى تعتز كل واحدة بلغتها.

وإنّ مثل هذه المغالطات التي حاول بعض ذوي النفوس السيئة ترسيخها في أذهان الشباب، هي مغالطات مفضوحة لا أساس لها من الصحة، لأنّ شعبنا قام وحرر بلاده لا باللّغة ولكن بالتضحيات الجسام والدماء الزّكية الطاهرة، من أجل استرجاع السيادة الوطنية ومن بين عناصرها اللغة، وقد استخدموا مختلف لغات العالم لبلوغ الهدف، وهذا ليس عيبا، بل العكس.

وما دمنا تطرقنا لهذا الموضوع فمن المجدي ذكر بعض الأمثلة حدثت أثناء ثورة التحرير، وكانت مأساة مؤلمة حقيقية لبعض الشهداء الذين لم يكونوا يحسنون اللغة الوطنية بفعل الاستدمار، حيث بكوا مرات عديدة بالدموع حينما لم يتمكّنوا من تبليغ رسالتهم بلغتهم العربية، أمام الشعب كما فعلوا ذلك بالسلاح.

ومن صوَر الإيمان الراسخ أيضا عند هؤلاء الشهداء الأبرار، وفي – بعض المناطق الجبلية، حيث لم تكن الجماهير تحسن اللغة العربية جيّدا، بل تستخدم لغتها الأمازيغية–، ومع ذلك فقد خاطب أولئك الشهداء الأبرار النساء، والرجال والشيوخ، والأطفال باللّغة العربية، فقد تقبّلوا ذلك منهم بكل فرح وهم يصفقون عاليا، مع العلم بأن المتحدثين يحسنون الأمازيغية والسامعين لا يفهمون العربية، كان ذاك الموقف علامة يرونها من زاوية

الوحدة والتلاحم، فالمتكلم والسامع كانا متفقين على التخاطب بلغة وحدة الشعب بدون أية عقدة ولا نقص. دون نية إقصاء اللغة المحلية.

ومن العجائب التي تبدو للعيان أننا أصبحنا نعيش في حاضرنا ما لا يمكن تصديقه لو لم نعشه كأشخاص فعليين، عندما صادفنا جزائريين يحتجون بعرائض أمام البرلمان الأوروبي على دولتهم التي تقدّمت بمشروع قانون تعميم استعمال اللغة العربية في فترة المجلس الانتقالي والمعمول به حاليا، ويطالبون بمساعدتهم لإلغائه تحت غطاء أن الوقت لم يحن بعد لتطبيق هذا القانون في الجزائر المستقلة، وقد حدث بالفعل أن تدخل البرلمان الأوربي ليعبر عن انشغالاته نحو هذا الموقف الذي أقدمت عليه الدولة الجزائرية حسب تعبيره، وهللت بعض الصحف التغريبية لموقف البرلمان الأوربي في هذا الصدد ياعجباه!!!

فمثل هذه التصرفات لابد أنّها ناتجة عن الذهنيات التي لم تقبل بعد بالتطور الحضاري لبلادنا، ولا تريد التخلص من الأفكار التغريبية المؤثرة عليها.

ويا ليت الذاكرة تعيد النقاش الذي دار بين الراحل هواري بومدين وصنغور رئيس دولة السينغال سابقا فيما يتعلق بالهوية وأمام مجموعة من رؤساء الدول الإفريقية في أحد اللقاءات الرسمية، وفي دائرة ضيقة خاصة.

حينما قال الراحل بومدين: "إنّ من أسباب انحدار الدولة الإفريقية هو عدم الاعتناء بهويتها، وتعزيز انتمائها لغة وحضارة و... ". فأجاب صنغور بقوله: "لك الحق يا بومدين عندما تقول هذا، لأنّ الجزائر لها الحظّ في أن

توحدها حضارة واحدة وهي الحضارة العربية الإسلامية- ولغة واحدة وهي اللغة العربية. أما نحن فلكل دولة ما يربو عن 30 لهجة، وفي بعض الأحيان لكل قبيلة لغتها، أو لهجتها، الأمر الذي دفعنا لاستعمال إما اللغة الفرنسية بالنسبة للدول التي كانت تحت سيطرة فرنسا، أو اللغة الإنجليزية بالنسبة للدول التي كانت تعيش تحت الاستدمار البريطاني، لجمع شتاتنا، فشتان ما بيننا من حقائق ووقائع مرة". وقال أحد أئمة دولة مسلمة لغتها الرسمية ليست العربية لجزائري في زيارة لبلاده: "لقد خصّكم الله بفضله"، فأجاب الجزائري: "خصّنا جميعا كمسلمين، لا فضل لعربي على أعجمي إلاّ بالتّقوى"، فقال: "لا، خصّكم فضله لأنّكم تقرؤون القرآن كما نزل باللغة العربية، ونحن نلتجئ إلى ترجمته التي تكون في كثير من الأحيان عسيرة، ومعقدة".

ومن خلال هذا يتّضح لنا، أن الغير يخصنا باحترام كبير، بينما نحن نريد أن نتخلص من هذه النعمة، ونبحث عن النقمة التي يعيشها، على مضض مجبرا غير مخير. ولهذا نريد أن نؤكد على ضرورة خلق ذهنيات مؤمنة بوجودها، وشخصيتها وبذواتها المتمثلة في مقوماتها الأساسية، ومنها اللغة وخاصة الشباب، كما نؤكد على وحدة التصوّر في التفكير، لجعلها تتقبل التعليم، والتعلم، والتأثير، والتأثر، بما يخدم البلاد أولا وقبل كل شيء.

حدث سنة 1962 أن بعض أبنائنا رفضوا الالتحاق بالأقسام "باللغة الفرنسية" على اعتبار أن هذه اللغة هي لغة الاستدمار، إلاّ أنّ التوجيهات الموضوعية المقدمة لهم آنذاك لعبت دورها الإيجابي بعدما عملنا على

إفهامهم بأن تعلم اللغات هو من مطالب مجتمعنا للتفتح على العالم الخارجي، والاطلاع على ما وصل إليه الغير من علوم وتكنولوجيا وعلى معالمه، والاستفادة إن أمكن ذلك من نتائجه المتوصل إليها والتي لا تتعارض مع طموحاتنا، وثقافتنا، ومبتغانا، لاسيما وأنه بلغ درجة التقدم التي نصبو إليها نحن أيضا وأن تعلم لغات الغير تأمين لشره.

وهكذا نجحت بلادنا في تطلعها للغات الأجنبية ومن بينها اللغة الفرنسية، والتي خدمتها الجزائر أكثر مما خدمتها فرنسا في إفريقيا عامة، لكن حان الوقت لإعادة المياه إلى مجاريها وجعل اللغة الفرنسية لغة حيّة مكملة ندرسها دون أن تحل محل لغتنا الوطنية أو التأثر بها إلى درجة محاولة استلاب هويتنا بفعل بعض ضعاف النفوس.

إن المغالاة التي نلمسها على لسان بعض الحاقدين على لغتهم عن جهل، وعدم تعمق ولا تبصر، ولا مقارنة موضوعية، طغت على مناهجنا، وبالتالي أثرت على أسلوبنا وسلوكنا الأمر الذي أبرز بالمقابل توجها معاديا تماما لهذه اللغة بدعوى اتجاهات مختلفة.

إنّ ما يدمى له القلب، هو أن تجد دول العالم تحترم هذه اللغة لأنها تمثل حضارة عريقة، وتاريخا حافلا بالأمجاد، وآدابا وعلوما أثرت في آداب وعلوم وفنون العالم وخير دليل على ذلك الأديب الإيطالي الذي يعتبر من المؤثرين في الآداب الغربية وهو "دانتي" المؤلف المشهور لـ "الكوميديا الإلهية" والمتأثر في كتابه هذا "برسالة الغفران" لأبي العلاء المعري. كما أنّ "خرافات لفونطين" الذائعة متأثرة بكتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع وأكتفي بهذين المثالين الدّالين على أنّ اللغة العربية كانت لها مكانة تعتز بها جميع

الشعوب الناطقة بها، وأضيف لذلك دليل اعتمادها لغة رسمية في هيئة الأمم المتحدة.

والعجيب في هذا كله أننا نجد منا من يتشكك في قدراتها، في مبناها ومعناها وآثارها، وتأثيرها، ومكانتها في العالم.

كما أنّه من العجيب أيضا أننا نجد أن بعض الدول التي تحترم نفسها تبعث إلينا بممثليها الذين يحسنون اللغة العربية، وهي تعتقد أنها أحسنت غير أنها تتفاجأ عندما تجد من لا يحبذ عندنا هذه التعيينات ويأمل لو كانت تبعث بالذين يتكلمون اللغة الفرنسية حتى ولو بصعوبة.

والغريب أن البعض يتصرفون في بعض الأحيان وكأن اللغة الوطنية لغة أجنبية متخلفة تتعامل بها شعوب متخلفة مما جعلهم عندما يستقبلون الأجانب غالبا يطلبون منهم أن يكون المترجمون من الذين يحسنون اللغة الفرنسية.

ولا نتفاجأ عندما نجد البعض يعاملوننا بالمثل عندما يحضّرون لنا التشريفات باللغة الفرنسية تلاضية لهذه الزّمر، التي لا تعبر عن رأي الشعب بقدر ما تعبر عن نفسها وهي مسلوبة الفكر، والشخصية.

فلمن تعود المسؤولية في هذه الحالة؟

الحقيقة أن المسؤولية وهي جسيمة تعد مسؤولية مشتركة، إما بين ذوي الحل والعقد في بلد واحد، وإما تشترك فيها جميع الدول الناطقة باللسان العربي. فعندما يتعلق الأمر بذوي الحل والعقد في البلد الواحد، فهنا تبدو النية واضحة في عدم محاولة التخلص من اللغات الأجنبية في المعاملة الإنسانية.

أما ما يتعلق بالتخاطب فيما بين الشعوب الناطقة باللسان العربي فهي كارثة أكثر من الأولى، حيث تحاول كل دولة في أحسن الأحوال الاحتفاظ بلغتها العامية المحلية ومخاطبة الغير بها على اعتقاد منها أن هذه اللغة تفهم لأنها كما تعتقد أقرب إلى اللسان العربي الفصيح، مما يحول دون الوصول إلى التفاهم الكلي إلا ما تيسر منه.

هذه الأساليب قللت من حظ توسيع نطاق اللسان العربي الفصيح ما بين شعوبه وفي بعض الأحيان أدّت بأصحابه إلى اللجوء للتفاهم باللغات الأجنبية، وفي كثير من الأحيان يتباهى كل فريق باللغة الأجنبية التي يتكلمها.

ففي المشرق العربي يتباهون بحسن التحكم في اللغة الإنجليزية، وفي المغرب العربي يتباهون بحسن التحكم في اللغة الفرنسية- وتبقى لغتنا يتيمة تترقب من يتفضل باستخدامها بدون خجل، ولا مركب نقص حتى فيما بين الناطقين بها.

ففي مثل هذه الحالات يتجلى دور الذهنيات المتشبثة بما هو غريب عليها في الأصل ولذا نقول لابد من تعريب الذهنيات قبل الألسنة. ومن هنا يحق للقارئ الكريم أن يتساءل عن مغزى الطروحات الآتية: هل يعتبر هذا بمثابة غلو في الطرح؟ أم تشاؤم؟ أم عتاب؟ أم هو جهل بحقيقة الأمر؟ ثم ماذا، هل نعيب الذهنيات بمفردها، أم يشترك فيها اللسان؟ وفي الأخير ما هي الحلول المقدمة؟

ومن خلال هذه الأسئلة المتوقعة عند قراءة هذه المقالة المتواضعة والتي هي في تصوري موضوعية، منطقية، حقيقية لا غبار عليها لأنها غير ناجمة عن التفلسف، بقدر ما هي مأخوذة من الواقع الفعلي.

القول بالغلو في الطرح: لا أعتقد ذلك لأن الأمثلة التي نعتها تعد القليل من الكثير مما هو متداول عند البعض وبكل أسف.

القول بالتشاؤم: لا أبدا، نحن شعب لا يعرف التشاؤم بقدر ما يعيش الأمل، لأن الظروف التي عشناها علمتنا التحدي، وإلاّ كيف نفسر المكانة التي كان شعبنا يحرز عليها وهو تحت وطأة الاستدمار، ولم ييأس، عمل وثابر، وكافح، وضحى، إلى أن بلغ هدفه المنشود.

بالنسبة للعتاب: نعم، لأننا نعتقد أن هذه الأمة لا تستحق كل هذه المحاولات لإدخالها تحت وطأة نكران ذاتها، بدون أي تفسير كان، ما عدا عقدة النفس ومركب النقص وعدم الثقة في الذات، وقدرات هذا الشعب صاحب المعجزات.

أما القول بجهل الحقيقة: فلا أعتقد ذلك على الرغم بأنه لا يمكن لأي كان أن يمتلك الحقائق التي بموجبها يستطيع أن يصل إلى ما يصبوا إليه الشعب. ولكن هناك مؤشرات يعمل بها الجميع منذ الأزل وهي الإرادة، والثقة، والمثابرة، والعمل، وبكل ذلك لا بد من الوصول إن شاء الله إلى الغاية المرجوة.

بالنسبة لعيب الذهنيات: أعتقد أن هناك شركة بينها وبين اللسان، ولكن الأساس تمتلكه الذهنيات لأن اللسان عبارة عن موطن تنفيذي لما تأمر به خلجات الروح، والفكر النابع من الإيمان الحقيقي. وعلى هذا الأساس نرى

من جانبنا كاقتراحات للخروج من هذه الحلقة المفرغة ما يأتي: إن العمل والمسؤولية الأولى تعودان بالأساس إلى أهل التعليم الذين توكل لهم عمليات تخريج الكفاءات للساحة العملية الفعلية، بأفكار تربوية مؤمنة متفتحة، غير قابلة للتنازل، أو الانحناء، ولا للتقهقر أمام الغير شريط أن تكون هي نفسها مشبعة بالطروحات ولعمري، أن شبابنا من خرجي المدارس الجزائرية يتمتع بكل هذه الصفات الحميدة الوطنية وفاء لروح وتضحيات شهدائنا الأبرار.

إن شبابنا ينحدر من أمة عرفها التاريخ، وساهمت في صنع التاريخ، وليست هي ممن صنعها التاريخ. وعليه:

1- لابد من إدخال تعديلات على برامج التدريس، وإعطاء أهمية للتربية المدنية والوطنية، مع التركيز على المآثر والتاريخ المشترك.

2- لابد أن تخصص برامج السنوات الابتدائية لتعليم اللغة الوطنية فقط حتى نمكن تلامذتنا من التحكم فيها، والتحصين الفكري والشخصي والتأمين من مخاطر التأثر السلبي.

3- إدخال لغة أجنبية ابتداء من السنة الأولى بعد الشهادة الابتدائية أو عند الانتقال إلى السنة السادسة، على أن يكون تعلمها مركزا خاضعا "لمعامل أساسي" مقدر بعلامة محددة في الامتحانات، حتى نمكن أطفالنا من دراسة اللغة الأجنبية دراسة وافية، معمقة، تسمح للطفل بالتحكم فيها جيّدا، لتساعده عند الحاجة.

4- إدخال لغة أجنبية ثانية بعد الانتقال إلى السنة الأولى ثانوي على أن تكون لها نفس الالتزامات على الطالب لتمكنه من التحكم فيها بعد نيله

البكالوريا، وبالتالي يصبح الطالب الجامعي يتحكم في ثلاث لغات إجباريا مع التركيز على لغته الأمّ، وترك الباب مفتوحا لمن يريد المزيد من تعلم لغات أخرى إن كانت له قابلية لذلك.

5- التنسيق ما بين الجامعات العربية لمقاربة مختلف المفاهيم وتصنيفها، ووضعها في بوتقة مشتركة جامعة لتنظيمها، وتوظيفها لتطوير وتنمية وخدمة البحث، دون ترك العنان للمحاولات الانفرادية التي لا طائل من ورائها والتي تشتت ولا توحد.

6- ضرورة استخدام اللغة العربية المهذبة عند المخاطبة والابتعاد عن اللغات المحلية لاسيما إذا تعلق الأمر بوسائل الإعلام في مختلف البلدان العربية حتى يتمكن السامع العربي من فهم الخطاب.

ونعني باللغة المهذبة أي اللغة التي يمكن أن يفهمها المتوسط، مع الحفاظ بطبيعة الحال على سلامة اللغة.

إن طلب استخدام اللغة العربية السليمة لا يعني التعامل بالألفاظ الغريبة والتراكيب المعقدة ولا مطالبة غير المختصين من الناس العاديين بإتقان لغة أشعار "المهلهل" أو "امرئ القيس"، ولكن تقديم اللغة الراقية، والمفهومة لدى الجميع عوض اللغة المحلية، لا سيما عندما تستخدم في الفضائيات الإعلامية- ولا بد من الابتعاد عن الأنانية، أو محاولة التأثير في الغير بنظرة ضيّقة، لأنّ ذلك لا يخدم لا اللّغة ولا الوحدة في المفاهيم التي خصّنا بها التاريخ دون غيرنا.

7- ضرورة تعريب المحيط، لأنه يعتبر الواجهة المعبرة عن الشخصية الوطنية، ولا بأس أن تسمح الجهات المختصة باستعمال اللغة الأجنبية

كإضافة جزئية، في بعض الأماكن السياحية وما يشابهها. وإنّ الإشهار في الملاعب باللغة الأجنبية، ولوحات المحلات وغيرها لا نجد له أي مبرر ولا تفسير يعقل مثلا.

8- وبالنسبة للإدارة فلم يعد هناك مبرر للإبقاء على اللغة الأجنبية، إلاّ إذا كانت هناك خلفيات مضمرّة.

نحن لا نستطيع أن نغير واقع تاريخنا المشترك، الذي حدد قواعده، ورسخها في أذهان أمتنا، وإن محاولة إدخال تغييرات سلبية عليه- يعمل البعض على تحقيقها- سوف يكون مآلها الفشل، كما كان ذلك لدى أمم سابقة، بقي ذهنها خال من الأوهام، وكذا سلم لسانها من الشوائب ومحاولة التخلي عن أحد المقومات الأساسية.

إن الاستهانة بتطبيق اللغة الوطنية والرسمية في مجتمعنا قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه آفاقا. وأنّ أمثلة الشعوب التي تتخبط في دوامة الحروب الأهلية في العالم حاليا لسبب أو لآخر دليل على ذلك .

ولهذا الغرض فإنّ تحكيم العقل، والمنطق، والموضوعية، والوحدة الوطنيّة، ومصلحة البلاد تبقى أسمى من كل شيء.

ويقيني أنّ هذه الأمنيات لا تتحقق إلا إذا سلم الذهن من عوائق النقص قبل اللّسان وعليه لا بد من تعريب الذهنيات قبل الألسنة.

واقع المعجم العربي المعاصر
و آفاق المستقبل

د/ حلام الجيلالي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة سيدي بلعباس / الجزائر

تمهيد

تطرح هذه الدراسة إشكالية / معاجمنا اللغوية العربية المعاصرة، وتسعى إلى معالجة قضية مواكبة المعجم لمستجدات العصر من حيث الرصيد المفرداتي للألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية والتقنيات الفنية المتصلة بالتعريف و الإرشاد المعلوماتي، والأمثلة التوضيحية. و تتمحور حول نقلات ثلاث لمسار أجيال المعجم اللغوي : معجم ابتكاري استهدف أول نشأته جمع اللغة وحفظها من الدثور والتحريف، مبتدعا نظريات طريفة، ومعجم تقليدي استثمر لاحقا في حصر اللسان وتفسيره لفهم التراث، ومعجم تجديدي أصبح اليوم أداة عمل لتحقيق البحث وتسهيل التواصل، وشتان بين صيانة اللسان وحصره والعمل به من أجل صناعة الخطاب التقني لمواكبة الثورة العلمية والمعلوماتية.

نعتقد أن أهم ما يعمل على تشكيل العقل البشري –ونحن نلج فضاء الألفية الثالثة، ونظام العولمة – هو بروز أشكال التواصل المعلوماتي الذي

بلورته اللسانيات المعاصرة. ولا مندوحة من أن التنمية اللغوية ترتبط ارتباطا وثيقا بالتنمية الوطنية الشاملة، وهي عملية واعية تهدف أساسا إلى أحداث ترقية لغوية تواكب التحولات التواصلية الطارئة في جميع المجالات الحيوية لأي مجتمع من المجتمعات.

وإذا كان تطور اللغة ظاهرة طبيعية، ورقيها يتأتى بجهود أبنائها؛ فإن مناط الصراع المتمظهر بين اللغات العالمية، إنما هو صراع على القيم الحضارية المتصلة باللسان القومي، وأكثر ما يتجلى هذا الصراع في قضايا المعجم، باعتباره ديوانا لأساسيات المعارف ومفردات العلوم في اللسان الرسمي، وأداة للتوصيل، ومفتاحا للمعلوماتية، في اللسان الرسمي؛ وبخاصة ونحن نخطو على عتبات عصر ينقلنا من المعجم الورقي إلى المعجم الحاسوبي وإذا نحن (لم نطوع الحاسوب لإدخال لاستعمال اللغة العربية في كل طبقاته، فسنضيف إلى التبعية الاقتصادية تبعية ثقافية تهمش لغتنا) .(1)

وتتأكد أهمية المعجم م منظور الحصيلة المفرداتية التي تمثل الوحدات الأساسية في تشكيل اللغة. ومن الثابت أن كل ما أبدعه الإنسان من مظاهر حضارية في الآداب والعلوم والفنون والمعارف المختلفة، تكاد تعود أسبابه إلى ما يتمتع به الإنسان من قدرات لغوية، فهي أساس التواصل بين الأجيال ونقال المآثر ووسيلة التعبير ومناط الفكر والإبداع، حتى وكأن الحضارة هي اللغة! ومن النتائج المحققة في البحوث اللغوية، أن محاولة الوصول إلى معرفة ما توصلت إليه أمة من الأمم في مجال العلمي والعطاء الفكري،

والأدبي والفني أو الحضاري عامة، يكون بالوقوف على مفردات معاجمها في لغتها الأم.

ولا شك في أن العلاقة بين مستويات اللغة والعلميات العقلية : الإدراك والتفكير والذكاء.. وغيرها تتجاوز كونها تعبيرا عن التجارب اللغوية والحسية لأنواع المفاهيم والمعارف والخبرات، لتصبح علاقة تكامل طردية بين هذه المستويات اللغوية والقدرات العقلية بحيث كلما نمت وتطورت لغة الإنسان وزادت حصيلته المفرداتية، ارتفعت قدراته العقلية، واتسع نطاق تفكيره الإبداعي ونما معدل ذكائه.

وقد عبر علماء الغرب عن هذه الظاهرة بنظرية الحتمة اللغوية، كما جاء على لسان الفيلسوف الألماني ولهام همبولت W/HUMBOLDT (1767-1835)، وبعده اللغوي الأمريكي إدوارد سابير E.SAPIR سنة 1929، حيث ترى النظرية أن الناس إنما هم تبع في تفكيرهم وإحساسهم ومشاعرهم ونظرتهم إلى الكون وللعادات التي اكتسبوها من خلال ممارستهم للغة قومه "(1)

مسار أجيال المعاجم العربية :

1-الجيل الأول / المعاجم الإبتكارية :

وتعد معاجم هذه المرحلة التي تبتدئ بظهور أول معجم لغوي شامل المرجع الأساس للسان العربي الفصيح حتى قبيل نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

وقد سار الرصيد اللغوي لهذه المرحلة طبيعيا وخضع لسنة التطور والنمو منذ العصر الجاهلي، واستجاب لأكثر مستجدات العصر الإسلامي في

الألفاظ والدلالات المولدة غالبا (19) كما تميزت هذه المرحلة بعدة خصائص نجملها فيما يأتي:

أ- اكتمال النظريات والمناهج العاجمية المبتكرة في الجمع والترتيب والتعريف وبخاصة، مثل : نظرية العين الصوتية الحصرية للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) التي حاول فيها حصر الطاقة التوليدية للغة للوقوف على ما يمكن تشكيله من ألفاظ وكلمات في حدود الحروف الهجائية العربية، حسب نظرية التوافق والتباديل في الرياضيات، مع تمييز المهمل والمستعمل والمعرب والدخيل عن طريق الائتلاف الصوتي قبل السماع أو الرواية غالبا. ونظرية جمهرة اللغة لابن در يد (ت321 هـ) التي تقوم على مبدأ إثبات الشائع المستعمل من اللغة أو ما يعبر عنه بالآني المستقر (synchronique) وأبعاد المهجور والحوشي والغريب. ونظرية صحاح اللغة أو ما يعبر للأزهري (ت 370 هـ)؛ وهي نظرية معيارية تقوم فكرتها على أساس أن اللسان العربي قد اكتمل في نموه ونطوره، فيجب الالتزام بما صح عن العرب وإغلاق باب الوضع والتوليد والاجتهاد. و نظرية المقاييس التأصيلية التاثيلية لأحمد بن فارس (ت 395 هـ)، التي تسعى إلى استنباط الأصول المعنوية لجذور الكلمات وما يتفرع عنها من دلالات تعود بالضرورة إلى الأصل العربي الأول.

ب- التنافس على رواية اللغة وجمع مفرداتها مع التأكيد على الصحة والضبط والتوثيق كما ظهر ذلك في أسماء معاجمهم (الصحاح، التهذيب، المحكم، المقاييس...الخ)

جـ- الوقوف باللغة في حدود زمانية لا تتجاوز المائة الثانية من الهجرة لعرب الأمصار، وآخر المائة الرابعة لعرب البوادي، وحدود مكانية لا تتعدى شبه الجزيرة العربية.(20)

د- كما تميزت بعدد من النقائص نذكر منها :

1- صعوبة ترتيب المداخل والمشتقات والدلالات، وانعدام الاحالات.

2- وجود ثغرات في المواد اللغوية وبخاصة ما استجد في الحصيلة المفرداتية.

3- تضخيم الثروة المفرداتية نتيجة تسجيل المهمل إلى جانب المستعمل.

4- قصور التعاريف والشروح، وندرة الأمثلة التوضيحية من سياقات وشواهد.

5- إهمال اللغة الوظيفية والجانب الإستعمالي والبيداغوجي للمعجم بما في ذلك المعرب والدخيل والمولد. نتيجة تركيزها على الوجهة المعيارية للغة والجري وراء البحث عن الصحة فيما جاء عن العرب القدماء من اللسان الفصيح.

6- كثرة التوثيق والشواهد التي تؤكد صحة اللغة لا تعريفها.

2- الجيل الثاني / المعاجم التقليدية :

وتشمل هذه المرحلة مسافة زمانية طويلة تبتدئ بالقرن الخامس الهجري، وتمتد إلى نهاية القرن الثاني عشر تقريبا مع الزبيدي (1205 هـ) في معجمه تاج العروس، بل ويمكن تمديدها إلى بداية القرن العشرين الميلادي مع سعيد الشرتوني (1849-1919 في معجمه أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، وقد تميزت هذه المرحلة بركود الابتكار المعجمي وتقليد القدماء فالتزم اغلب المعاجميين بالنظريات والمناهج والمصادر القديمة التي لا تواكب التطورات الحضارية، وما لذلك من أثر في الرصيد اللغوي من حيث التغير الدلالي وزيادة المواليد، وبذلك تأخر المعجم العربي (عدة قرون عن النهضة المعجمية الحديثة)(21)، وضيّعوا على المعجم العربي الكثير من الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية المبتكرة وما تميزت به العصور العربية من مظاهر الحضارة الجديدة، حتى أصبحت مصطلحات لغوية أو علمية من مثل (الزاوية، الجبر، المقابلة، الحجم، معادلة، مساحة... وغيرها من المصطلحات الرياضية التي استعملها الخوارزمي (235 هـ) صاحب كتاب الجبر المقابلة في القرن الثالث الهجري، لا يجرؤ صاحب لسان العرب الذي عاش في القرن الثامن الهجري، ولا صحاب تاج العروس الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري أن يسجّلها ! فيظل لفظ مثل (الجبر) كلّ هذه القرون خارج المعجم العربي، في حين نجد المصطلح نفسه يدخل مجال الاستعمال في أوروبا في القرن العاشر تقريبا (22).

وتتميز معاجم هذه المرحلة بالخصائص التالية :

أ- الحرص على جمع اللغة من المعاجم القديمة المختلفة دون تجاوزها والتنافس على جمع أكبر عدد من الألفاظ فبلغ بها الفيروزابادي إلى 60 ألف مدخل وإبن منظور إلى 80 ألف مدخل والزبيدي إلى 120 ألف مدخل. ولعل ما ينمّ عن هدفهم الاستقصائي للمفردات، أسماء مؤلفاتهم (لسان العرب – العباب – القاموس – تاج العروس... الخ).

ب- الوقوف باللغة عند الحدود الاحتجاجية التي التزم بها القدماء، فأهملوا المولدات من الألفاظ والدلالات المستحدثة، وبذلك دخلت المعاجم في فترة (صار اللاحق يقلد فيها السابق، ولم تعد المادة المعجمية مادة يجمعها اللغويون من الناطقين بها بلسانهم) (23) في العصور اللاحقة.

جـ- صعوبة الترتيب وبخاصة الترتيب الداخلي وحشو المعاجم بالإعلام وبالقصص والأساطير والاستطرادات غير اللغوية مما ضخم حجمها.

د- يضاف إلى هذه الخصائص جملة النقائص مثل : قصور التعريف، وقلة الأمثلة التوضيحية من سياقات وشواهد مقيدة ورسوم توضيحية، وإهمال الجانب التعليمي.

3- الجيل الثالث / المعاجم التجديدية :

تعتبر بداية القرنين الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي ميقاتا في الوطن العربي علة عدة أصعدة ضمنها خوض تجربة تجديد المعاجم اللغوية، وقد جاء ذلك نتيجة ضرورات حضارية علمية وتربوية دعت بإلحاح إلى سلوك طريقة عملية في تأليف المعاجم لمسايرة التطور اللغوي والعلمي وسد

حاجة الباحث العربي من الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية والتعريفات الدقيقة.

وإذا كان المجال لا يسمح في هذا الصدد بذكر أهم الضرورات والأسباب والدواعي التي طرحت قضية تجديد المعجم العربي مثل التعليم المبرمج وظهور الطباعة ونشوء المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية، فإن مثل هذه الدواعي وغيرها كانت كفيلة بالإعلان عن انطلاق محاولات تجديد المعجمية العربية، وهي انطلاقة سارت اتجاه تراثي تقليدي : لم يستطع التخلص من أسر النظرة التقليدية إلى اللغة في بعدها المعياري وتقديس التراث، إلى درجة عدم الجرأة على الحذف منه أو الزيادة عليه أو التصرف في ضبط دلالات ألفاظه، وقد ظل أصحاب هذا الاتجاه متمسكين بالمعاجم التراثية باعتبارها الحصيلة اللغوية الأصيلة التي لا يجوز تجاوزها، وقد ظهر في هذا المنحى عدد من المعاجم حاول مؤلفوها نفض الغبار عن التراث المعاجمي وبعثه في معاجم حديثة، تواكب العصر وتجيب المستهلك العربي – تلميذا وطالبا وباحثا – في أقصر وقت وبأقل جهد، عما يعترضه من تساؤلات لغوية وعلمية وثقافية.

ومن بين معاجم الجيل الثالث التي تنتمي إلى هذه المرحلة : محيط المحيط لبطرس البستاني، صدرت طبعته سنة 1870م، وسعى فيه إلى تجديد القاموس المحيط، ثم ظهر أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لسعيد الخوري الشرتوني الذي نوع في مصادره و كاد يأتي على جميع الأمهات من المعاجم العربية، محاولا الدقة في ترتيب المداخل مشيرا إلى

قصور التعاريف في المعاجم القديمة وبخاصة في الأشياء والنبات والحيوان، ليسنّ بذلك طريقة جديدة في الجمع والترتيب و التعريف.

ومن أهم معاجم هذا الاتجاه : معجم (متن اللغة) للشيخ أحمد رضا الذي صدر في خمسة أجزاء سنة 1377هـ – 1958م بتكليف من المجمع اللغوي السوري.

ويتميز هذا المعجم بغلبة النظرة التراثية؛ حيث أن صاحبه استقى مادته من المعاجم العربية القديمة المشهورة، وكان يهدف بالدرجة الأولى إلى جمع أكبر قدر ممكن من المادة اللغوية المقيدة في التراث العربي القديم دون التمييز بين الوظيفي والمهجور، إذ يصرّح في مقدمة المعجم قائلا :

(حرصت على أن لا تفوت كتابي هذه مادة ذكرت في لسان العرب وتاج العروس، وهما أكثر كتب الأئمة المعروفة لدينا جمعا لمواد اللغة، فكان كتابي هذا جامعا لكل ما يمكن أن يطلبه طالب اللغة، فلا تمرّ به كلمة من كلماتهم إلا ويكون لها تفسير فيه).(24) وهذا يعني أنه لم يراع انتقاء المادة اللغوية الوظيفية وإهمال تلك التي هجرها الاستعمال، وإن وجدناه يضيف بعض الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية التي أقرتها المجامع اللغوية آنذاك، بالإضافة إلى ما اقترحه المؤلف نفسه.

وقد طبّق المؤلف أهمّ التقنيات التي توصلت إليها المعجمية في جمع الرصيد المفرداتي القديم بخاصة، وترتيب المداخل، أما من حيث التعريف فلم يحاول صاحب المعجم أن يستعين بأي منهج حديث، واكتفى بالتعريف الاسمي على غرار من سبقه، فجاءت أكثر التعارف مبهمة يغلب عليها

الشرح الدوري والترادفي، مثل (الشطاط : طائر) – (أشطنة – أبعده) (الشقر : الديك – الكذب) (25).

وأما الأمثلة التوضيحية، فإن المؤلف لم يعتدّ بالسياقات الوظيفية ولا بالشواهد المقيدة، كما أن الصور التوضيحية المثبتة لا تفي بالغرض؛ نظرا لقلّتها وعدم وضوحها.

ونخلص من هذه التوضيحات إلى أن صاحب معجم (متن اللغة) لم يتمكن من التوفيق بين التراث والحداثة؛ فجاء معجمه تراثيا تقليديا لا يفي بحاجة الباحث العربي المعاصر، نتيجة التزامه بما وضعه القدماء من قيود تتصل بجمع المادة وتعريف المجداخل.

4- الجيل الرابع /المعاجم المعاصرة:

وقد سار هذا الجيل من المعاجم في اتجاه تراثي حداثي، حاول في ضوئه أن يوفق بين التراث والحداثة، فنظر إلى اللغة نظرة وصفية في ضوء نظريات علم اللغة الحديث، مع مراعاة الفروق و الاختلافات الموجودة بين اللغة العربية واللغات الأجنبية من حيث التأثيل والاشتقاق والإعراب.

وفي ضوء هذه النظرة استطاعت معاجم هذا الاتجاه أن تكسر قيود العصور الاحتجاجية للغة/ الزمانية والمكانية، وتبيح الاعتداد بالألفاظ المولدة والمحدثة والمعربة والدخيلة، بهدف سدّ الحاجات العلمية للباحث والطالب. كما حرصت على استثمار الوجهة التعليمية من حيث انتقاء الرصيد المفرداتي الوظيفي، والاستعانة بالأمثلة التوضيحية في تعريف المداخل (السياقات والشواهد المقيدة والصور والرسوم التوضيحية)، وهذا دون تجاوز مقاييس العربية من أجل المحافظة على سلامتها وتطويرها.

وقد ظهرت في هذا الاتجاه الوصفي المعاصر، كوكبة من المعاجم اللغوية التي تمثل الجيل الرابع في مسار المعجم العربي، وتجسد واقعه اليوم، من أهمها: المنجد في اللغة والإعلام ومعجم اللغة العربية وغيرها، نقدم فيما يلي قراءة لأهم عناصر معجمين منها هما / المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، والمعجم العربي الأساسي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

أ- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية :

وهو معجم لغوي موجه إلى المثقف الاعتيادي في الوطن العربي، ظهرت طبعته الأولى عن مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة 1961/1960م في جزئين كبيرين، أشرف على طبعته عبر السلام هارون ولجنة من الباحثين العرب/ إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجّار، ثم ظهرت طبعته الثانية المنقحة سنة 1972م. ويحتوي المعجم على 1067 صفحة من ثلاثة أعمدة ويشتمل على نحو 46600 مدخل و 847 صورة وشكل توضيحي.

ويعتبر الوسيط أول معجم يصدر عن هيئة مختصة وتأليف جماعي، ويمتثل لعدة قرارات مجمعية تنصّ على خدمة اللغة العربية والحفاظ على سلامتها وجعلها وافية بمطالب العصر، وقد استطاع المعجم الوسيط في إطار ما أقره المجمع من قرارات أن يوفّق – إلى قدر كبير – بين التراث والحداثة على مستوى عناصر المعجم، فكان من بين القرارات التي تبنّاها على مستوى جمع المادة /(29)

- فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة؛ من اشتقاق وتجوز وارتجال.

- تحرير السماع من قيود الزمان والمكان.

- إطلاق القياس؛ ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس.

- الاعتداد بالألفاظ المولّدة، وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء.

- فكان لهذا الاتجاه في جمع الرصيد المفرداتي تحولا في مسار المعاجمية العربية من النظرة المعيارية، إلى الوصفية التي تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية قابلة للنمو والتغير والتجديد؛ وبذلك فتح باب الوضع ليثري المعجم بآلاف الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية التي تلبّي حاجة القارئ العربي المعاصر. ومع ذلك لم يتمكّن المعجم من سدّ كثير من الثغرات المفرداتية، بسبب عدم اعتماده نظرية الحقول الدلالية في حصر الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية الوظيفة. كما أنه عمد إلى الأخذ من اللهجة المصرية دون سواها من اللّهجات العربية، حتى وإن كانت بعض اللّهجات العربية الأخرى أقرب إلى الفصحى منها.

- وعلى مستوى تعريف المداخل حاول المزاوجة بين التعريفيين الاسمي والمنطقي؛ إلا أنه غلّب جانب التعريف الاسمي؛ فجاءت كثير من التعاريف قاصرة. أمّا من حيث الأمثلة التوضيحية، فأتخذ السياق والشواهد المقيّدة التي جاءت قليلة، ولا تتوزّع على كلّ العصور الأدبية. واستعان ببعض الصور والرسوم التوضيحية إلا أنها لم نؤد هدفها لقلتها وعدم وضوحها وكثرة الأخطاء بها؛ فكثيرا ما تظهر الصورة مخالفة

للتعريف كما في (الضب، القطاة، الحرباء القدمة... وغيرها). ويضاف إلى هذه المآخذ، إهمال قضايا التأثيل والتأريخ للمفردات والدلالات مما أدّى إلى تداخل بعض الجذور العربية بالجذور المعرّبة والدخيلة، مثلا، وجود المدخل(غرام) ذي الأثل الأجنبي بمعنى وحدة الوزن في الأسرة الاشتقاقية للجذر العربي الأثيل (غرم)(30).

د- المعجم العربي الأساسي :

وهو قاموس شبه موسوعي يشمل اللغة إلى جانب الأعلام، شارك في وضعه جماعة من اللغويين المختصين في العالم العربي (33) تحت إشراف المنظمة العربية للتربية و الثقافة والعلوم، صدرت طبعته الأولى عن مطبعه (لاروس) سنة 1989 م، في جزء واحد من القطع المتوسط في 1384 صفحة، ويشتمل على نحو 25 ألف مدخل بما فيها اللغة والأعلام مرتبة ترتيبا ألفبائيا انطلاقا من جذر الكلمة وفق نظرية المداخل المفقرة.

ويميّز بأنه قاموس وظيفي شبه موسوعي موجّه لغير الناطقين بالعربية ومتعلميها وعامة المثقفين من العرب والمستعربين (34). كما يعدّ محاولة جماعية تستند إلى هيئة عربية وتسعى إلى إثبات اللسان العربي الوظيفي المعاصر.

وقد أخذ المعجم – في مجال جمع الرصيد المفرداتي – بنظرية الشيوع الاستعمالي للمفردات وإهمال الكلمات التي هجرها الاستعمال. وعلى الرغم من أن الحصيلة اللغوية كانت ضئيلة، وبها كثير من الثغرات، إلا أنه قد استطاع -إلى حد ما- أن يحافظ على الرصيد العربي الوظيفي بنسبة كبيرة،

وحاولت لجنة المعجم أن تربطه بالنظام اللساني فصدّرته بمقدمة صرفية نحوية كما خصّت الحروف الهجائية بدراسة صوتية ضمن المداخل.

أما التعريف فلم تسلك فيه اللجنة منهجا محددا، رغم استعانتها بجملة من المناهج (المنطقي والبنيوي والسيمي...)، إلا أنها غلّبت التعريف الاسمي مما أدّى إلى القصور في الشرح كما هو الشأن في المعاجم العربية الحديثة والمعاصرة عامة، وذهب المعجم في الشرح إلى الاختصار فلم يذكر كل المعاني المكررة للمدخل الواحد بل أشار إلى بعضها بأرقام متسلسلة. وأتخذ المعجم من وسائل التعريف / السياق المأخوذ من الواقع الإستعمالي والشاهد المقيد من قرآن وحديث ومثال وشعر، في حدود ضيقة. ولم يستعن بالصور والرسوم التوضيحية.

ومن المآخذ التي يمكن أن توجه إلى هذا المعجم كثرة الثغرات في الرصيد المفرداتي المعجم بسبب هدفه الموجه إلى غير الناطقين بالعربية، مع أن الهدف البيداغوجي يقتضي أن يكون شاملا للحصيلة اللغوية الوظيفية عامة دون النظر إلى الهدف الخاص. كما أن التعاريف جاء بعضها قاصرا وموجزا من حيث الشرح وبخاصة ما تعلق بالأعلام والآثار. و من ذلك أيضا إهمال التأثيل والتأريخ للألفاظ والدلالات ومجالات الاستعمال ومستوياته.

معاجمنا وآفاق المستقبل :

إن القراءة السابقة تشخص لنا واقع المعجم العربي اليوم، وتؤكّد في الوقت ذاته أن المعاجم العربية المعاصرة من الجيل الرابع، وبخاصة المعاجم ذات التأليف الجامعي، قد استطاعت فعلا- في بعض جوانبها – أن توفّق بين التراث والحداثة، وتتغلّب عبر مسيرتها التطورية على كثير من النقائص

الموضوعية والتقنية، بيد أن القصور ظلّ يلازم بعض عناصرها، وهي تسعى جاهدة من أجل الوصول إلى معجم لغوي وظيفي، بواكب العصر ويمد القارئ بكل ما يحتاج إليه من ألفاظ حضارية ومصطلحات علمية، مرتّبة ترتيبا عمليا مشفوعا بالإحالات، ومعرّفة تعريفا دقيقا ومعاصرا، موضّحا بالسياقات والشواهد المقيدة والصور والرسوم التوضيحية، دون إغفال مسألتي التأثيل والتأريخ للألفاظ والدلالات.

وذلك مطلب بيداغوجي ممكن التحقيق في ظلّ مشروع علمي هادف، يخضع إلى منهجية مدروسة، ويتولّى مهامه فريق متخصّص، بعدما مهّدت المعاجم الحاسوبية طرائق الأعداد، ويسّرت سبل البحث، وفتحت آفاق مستقل المعجم العربي للسان المعاصر.

ولعل أهم المآخذ التي يمكن تفاديها مستقبلا هي :

1-وجود ثغرات مفرداتية ودلالية في الرصيد اللغوي المعجم، وقد عمق هذه الثغرات التطور السريع الذي يشهده العالم في جميع المجالات العلمية والثقافية والمعلوماتية، وهي قضية شعر بها القارئ العربي منذ أوائل القرن العشرين، حين صرّح إبراهيم اليازجي المتوفي سنة 1906 م قائلا. (لو أراد الكاتب أن يصف باللغة العربية حجرة منامه لم يكد يجد فيها ما يكفيه لهذه المؤونة اليسيرة)(36)، ومن أمثلة هذا القصور المفرداتي، أننا لو أخذنا حقل وحدات قياس الأطوال في المعجمين المذكورين آنفا لم نكد نظفر سوى ب(50/) أو أقلّ بالنسبة إلى المعاجم الأجنبية، فالمعجم الوسيط مثلا، يثبت من بين هذه المداخل (المتر والكيلومتر) في مقابل عشرة مداخل في معجم لاروس الفرنسي وهي (الانغستروم – الميكرومتر – المليمتر – السنتمتر –

الديســمتر – المتــر – المتــر المربــع – الــديكامتر – الهيكتــومتر – الكيلومتر)(37)، وفي حقل الأحذية لا يثبت المعجمان المذكوران معا سوى (5) مداخل بالنظر إلى نوعية التعريف، في مقابل لاروس أو روبير ب7 مداخل (38)، مما يِكد وجود ثغرات مفرداتية كبيرة وبخاصة في الرصيد الوظكيفي المعاصر.

ويعود سبب وجود هذه الثغرات – حسب اعتقادي – إلى عدم استثمار نظرية الحقول الدلالية في جمع الرصيد المفرداتي بالمقارنة مع رصيد المعاجم الأجنبية وجرد الحصيلة اللغوية الوظيفية في البرامج الدراسية والمجالات المعرفية والفنية والصناعية في المجتمع المعاصر.

2- عدم الحرص على التوفيق بين التراث والحداثة من حيث التمييز بين الرصيد المفرداتي العام والرصيد الوظيفي الخاص، بما في ذلك المهمل والمهجور وشبه المهجور الذي يرتبط بنصوص أدبية أو فكرية تراثية غير مستثمرة في هذا العصر.

3- كثرة التعاريف القاصرة، نتيجة الاكتفاء بتقديم المقابل التقريبي أو المرادف أو الضد في ظل منهج التعريف الاسمي وهو تعريف لا يفي بالغرض في كثير من الحالات ويؤدي إلى التداخل والترادف الوهمي واللفظية (استخدام الكلمات دون معرفة معناها الدقيق) والتراكم اللغوي.

فلو أخذنا مثلا المدخل (سار) لوجدنا المعجم الوسيط يعرفه ب (مشى) (39) وهو تعريف قاصر لأن معنى السير هو (الانتقال من مكان إلى آخر بأرجل حقيقية أو مجازية بإرادة أو بدونها) بينما المشي هو (الانتقال من مكان إلى آخر بأرجل أو أقدام حقيقية بإرادة) حتى يصحّ القول (مشى الرجل

والحصان وسار القطار والجبل). ومن ذلك أن الوسط يعرف (الحذاء) بأنه النعل و(النعل) بأنه الحذاء أو الجلد (40) ويعرف الدوري بأنه (العصفور) بينما يعرفه الأساسي بأنه (عصفور غريد جميل الألوان)(41) وهي تعاريف قاصرة ومتداخلة. ويرجع سبب هذا القصور إلى عدم الأخذ بمناهج التعريف الحديثة مثل التعريف المنطقي والتعريف البنيوي والتعريف السيمي والتوزيعي وغيرها، مع استحضار الحقل المفرداتي للكلمات المراد تعريفها؛ إذ أن (الكلمة لا تكتسب تعريفها إلا عن طريق العلاقات وأوجه التباين التي تكون لها مع بقية الكلمات الأخرى (42). وتوضيحا لقصور التعاريف في المعاجم اللغوية المعاصرة، سواء من حيث دقة المعلومات أم حجمها، نورد النموذجين الآتيين؛ أحدهما من المعجم الوسيط (43) والآخر من المعجم العربي الأساسي (44).

المدخل	التعريف المعجم الوسيط	التعريف المقترح
جورب	لباس الرجل (ج) جوارب. (معرب)	لباس من نسيج يلبس في القدم إلى الساق قبل الحذاء (ج) جوارب.
حذاء	النعل	لباس الرجل خارج البيت لا يتجاوز العرقوب ارتفاعا، بنعل مقاوم، (ج) أحذية

نعل	الحذاء أو الجلد يوقى به الخف (ج) نعال.	1-حذاء خفيف لا يغطي سوى أسفل القدم، به أسيار للشدّ (ج) نعال. 2- قطعة من الجلد أو المطاط أو نحوه، تشكل القسم الأسفل للحذاء. 3- قطعة تقص من الجلد أو الفلين أو القش، توضع داخل الحذاء أسفل الرجل.

المدخل	التعريف في المعجم العربي الأساسي	التعريف المقترح
حسّون	عصفور غرّيد جميل الألوان.	طائر غرّيد من فصيلة الشرشوريات، به من الألوان؛ البنّي والأصفر والأبيض والأسود، والجزء الأمامي من الرأس أحمر، يقتنى للتربية في أقفاص، يكثر في منطقة شمال إفريقيا، طوله 12سم، (ج) حسونات / الشوكي.

ابل	الجمال والنوق، مؤنّث لا واحد له من لفظه.	جنس حيوانات مجترّة، من ذوات الخفّ، كبيرة الأجسام، لها سنام أو سنامان على ظهرها، تتحمّل الظمأ مدّة طويلة، ينتفع بها في التنقل عبر الصحاري، ومن لبنها ووبرها ولحومها وجلودها. وهي مؤنث لا واحد له من لفظه/ الجمال والنوق.
مفكّ	ج- آت ومفاكّ. آلة تفكّ بها المسامير اللوّلبية ونحوها (محدثة).	ج- آت ومفاكّ؛ آلة من المعادن الصلبة؛ يدوية وكهربائية؛ تثبّت أو تفكّ بها البراغي والمسامير اللّولبية (محدثة).

4- عدم الالتزام بمستويات التعريف من حيث حجم المعلومات والشروح التي يجب تقديمها؛ إذ يعتبر التعريف أهمّ نشاط تظهر فيه قدرة المعاجمي على توفير المعلومات الدقيقة والكافية، وهو من هذه الوجهة يطرح جملة من القضايا.

أ- ربط المدخل بأنظمة اللسان (الصوتي والإملائي والصرفي والاشتقاقي والنحوي).

ب- تحديد الدلالة المركزية والدلالات السياقية والاصطلاحية.

ج- الإشارة إلى مجالات الاستعمال ومستويات المفردات (فصيح، عامي، لهجي.)

د- استثمار السياقات الاستعمالية المعاصرة والشواهد المقيّدة من جميع العصور الأدبية.

هـ- التفصيل غير المسهب في شروح مداخل الأعلام والآثار.

و- إعطاء المعلومات الكاملة والكافية والمعاصرة أثناء تعريف المداخل. وذلك بالاستفادة من العلوم الحديثة (الفيزياء والنبات والحيوان والجراحة...) وما توصلت إليه من حقائق علمية تثري تعريف المداخل وتجدد مضامينها.

5- إهمال الترتيب الداخلي للدلالات، حيث هناك ثلاث طرائق – أو أكثر – مشهورة يمكن استخدام إحداها لترتيب الدلالات.

أ- الطريقة التاريخية التأثيلية وفيها يتم الانتقال من الدلالة الأقدم أو الأصل التأثيلي للكلمة ثم ينم التدرج من الأقدم إلى الحديث فالمعاصر.

ب- الطريقة اللغوية الاصطلاحية وفيها يتم الانتقال من الدلالة اللغوية العامة إلى الدلالة السياقية فالدلالة الاصطلاحية.

ج- طريقة الشهرة والمعاصرة وفيها يتمّ الانتقال من الدلالات الأكثر استعمالا أو شهرة آنيا إلى الدلالات الأقل استعمالا أو شهرة.

6- ترك الجانب التأثيلي والتاريخي للألفاظ والدلالات، فلا بدّ في أيّ معجم لغوي أصيل من الاشارة إلى أثل الكلمة واللسان الذي انحدرت عنه (أصيلة – دخيلة – معرّبة – معجّمة..). وكذا التاريخ لدلالاتها بالسنوات أو العصور.

7- قلة الصور والرسوم التوضيحية، وعدم دقتها، فهناك مثلا عشر صور يثبتها معجم لاروس الفرنسي – أخذناها عشوائيا – لمداخل صعبة التعريف هي (جرثومة – غواصة – عظم الحوض – ملعب كرة السلة – علبة توزيع الكهرباء – علبة السرعة – المحرك – الفرامة – الخلية – النوتة الموسيقية)

لا يثبت لها المعجم الوسيط أية صورة أو رسم توضيحي (45)، ومن حيث نسبة اثباتها؛ فإنها لا تتجاوز في المعجم الوسيط مثلا، بالنسبة إلى عدد مداخله (1,80/)، في مقابل معجم لاروس الصغير للسان الفرنسي بـ (4,25/). أما عن عدم دقتها فإن بالوسيط مغالطات كبيرة حيث أن أكثر الصور المثبتة عبارة عن رسوم تقريبية وبعضها يدلّ على مسميات أخرى مثل المداخل (الحرباء–القطاة – الكناري – الكوب – الضب – البلبل...) (46). كما يتضح من اللوحة الآتية*/

ولا شكّ في أن هذه النقائص – وغيرها – التي وقفت دون تحقيق المعجم، العادي والحاسوبي – وبالتالي جعلت المستهلك العربي، طالبا أو باحثا يعزف عن استعماله ما دام لا يمدّه بما يحتاج إليه من ألفاظ حضارية ومصطلحات علمية وظيفة، وتعريفات شاملة ودقيقة؛ وهي معلومات تؤسس لديه أوليات المعارف ومفاتيح العلوم – لم تعد اليوم حاجزا أمام تأليف المعجم العربي الوظيفي المعاصر (العادي الحاسوبي)، القادر على استيعاب حضارة العصر ومواكبة مستجداته، وامداد الباحث العربي بكل ما يلبي حاجاته العلمية والثقافية، ولا سيما وقد أثرت اللسانيات الحديثة الدرس المعاجمي بنظريات وتقنيات وضوابط جديدة، ومهّدت طرائق الأعداد وسبل الإنجار.

الهوامش والتعليقات :

1- محمد مراياتي – الحاسوب في خدمة اللغة العربية. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق /م73/ ج3 يوليو 1997 –ص 506.

2- الشادلي الفيتوري –اللغة العربية والوعي القومي، مركز دراسات الوحدة العربية / بيروت 1984 / ص .159

19- أنظر / أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة /ب – مصطفى الشويمي، بيروت، مؤسسة بدران للطباعة 1963، ص .57

20- مجمع اللغة العربية / المعجم الوسيط .م.س.ص .13

21- محمد المنجي الصيادي – التعريب وتنسيقه في الوطن العربي – بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1982 ص .250

32- أنظر /

PETIT ROBERT –r/ R/A REY ET J/REY DEBOVE6 PARIE /LE ROBERT / / P * 48 (ALGEBRE)..

23- حسين نصار / المعجم العربي نشأته وتطوره – دار مصر للطباعة 1968ج2 ص 8

24- الشيخ أحمد رضا – معجم متن اللغة / بيروت دار مكتبة الحياة 1958 – ص 76

25- م.س. انظر هذه المواد في أبوابها.

29- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. م.س. ص ص ،13

30- مجمع اللغة العربية / م.س. مادة (غرم).

المصطلح اللغوي في ألفية ابن معطي

الدكتور عبد الحمن خربوش

تعد الألفيـة مـن أبـرز مؤلفـات ابـن معطـي، ضـمنـها أبـواب النحـو و الصرف، و إن كان النحو قد نال منها حظا موفورا إذ لم يشمل الصرف سوى المقالات العشر الأخيرة، و نلاحظ أن مقالات الصرف قد أخذت مكانها في آخر الكتاب كما هو الشأن في معظم المؤلفات النحوية.

و تمتـاز ألفيـة ابـن معطـي بالسلاسـة والإحكـام فـي صـياغة القواعـد النحويـة، و لا غرو في ذلك، فـابن معطي اشتغل بـالأدب درسا و تصنيفا، و جل مصنفاته تدور في فلكه .و قد انعكس ذلك في معالجته لقضايا النحو نظما. فلذلك قال ابن الخباز :"إنـه ليس فـي لفظها فضلة كما فعل الحريري، فإنه يذكر نصف بيت أن ثلثه من غير فائدة تتميما للوزن" و قال أيضا في ختـام شرحه: "إنـه فـي هذه الأرجوزة قد حـاز قصب السبق حيث جمع بين اللفظ القليل والمعنى الكثير و كيف لا يكون ذلك و قد كان في العربية نسيج وحده" و قال الشريشي [61]: "وهذه الأرجوزة البديعية الفصيحة شاهدة له بسعة

العلم و جودة القريحة، إذ نظم فيها علم العربية نظم الجواهر في السلك، و خلصها من الحشو تخليص الذهب عند السبك، فهي كما قلت فيها :

و تسمى الدّرة الألفية في علم العربية و عدد أبياتها 1020 بيتا. انتهى ابن معطي من نظمها سنة 595 هـ بدمشق أو بالقاهرة[62]. و يعتبر الرائد في استعمال لفظ "الألفية" حيث قال :

هذا تمام الدرة الألفية نحوية أشعارهم المروية

و بالإضافة إلى انفراد ابن معطي بتسمية الألفية فقد امتاز بشيء ثان حيث اعتاد الناس أن ينظم الشاعر قصيدته على بحر واحد إلا أن ابن معطي قد خرج على هذه القاعدة ونظم ألفيته على بحرين هما : الرجز و السريع الأمر الذي جعل المشتغلين بالنحو و الأدب يثنون على مقدرته الفنية في توفيقه بين البحرين و اعتبروها دليلا على مقدرته الفنية العالية، إذ هناك تقارب كبير بين الرجز و السريع لا يميزه إلا من أوتى أذنا موسيقية مرهفة.

و يمتاز أسلوب ابن معطي بالسلاسة في المأخذ و السهولة في الإدراك و القرب في الاستيعاب، و لعل ذلك راجع إلى أنه كما وصفه ياقوت و ابن خلكان. أديب يجيد صناعة الأدب و صياغة العبارة و استعمال اللغة، فألفيته على سعتها تكاد تخلو من كلمة تنافرت حروفها أو ثقلت مع كلمة أخرى تجاوزها، أو غير ذلك إلا ما ألجأته إليه الضرورة القصوى.

لقد استعمل ابن معطي مصطلحات المدرسة البصرية و هذا من خلال متابعة لأستاذه الجزولي و غيره من أئمة البصريين كما سأبرز ذلك من خلال النماذج الآتية :

1- يستعمل ابن معطي المصطلحات البصرية في ألفيته كمصطلح التمييز و الجر و التي يستعمل الكوفيون بدلها التفسير و الخفض.

و إذا أمعنا النظر في الألفية نجد مصطلحات أخرى يستعملها البصريون مثل : الممنوع من الصرف، الظرف، العطف، الجار و المجرور، النعت، البدل المتعدى و اللازم، ضمير الفصل، البناء، الإعراب، ألقاب الإعراب.

2- العطف على المضمر :

قال ابن معطي :

والمضمر المجرور إن عطفتا عليه جيء بما به جررتا

نحو مضى به بالغلام وشذ منه بك والأيام

أجمع البصريون على منع العطف على المضمر المجرور إلا بإعادة الجار نحو :

مررت بك و بزيد. و قد ورد في القرآن الكريم : }منك و من نوح{[63] و هو المراد بقول المصنف : "جيء بما جررتا"، أي بالحرف الذي جررت به المعطوف عليه في المعطوف . وأجاز الكوفيون العطف مطلقا بدون وجود الجار فيجيزون : بك و الأيام. و احتج البصريون بأمور لتأييد رأيهم و ابن معطي في رأيه هذا يؤيد رأي أبي القاسم الزجاجي[64] أستاذ أستاذه.

03- الترخيم :

قال ابن معطي :

ثم إذا زاد المنادى العلم على ثلاثة فقد يرخم

اشترط البصريون شروطا لترخيم المنادي :

أ- أن يكون علما.

ب- أن يكون مفردا، أي لا يكون جملة في الأصل.

جـ- أن يكون زائدا على ثلاثة أحرف لأن الثلاثي أقل الأصول في المتمكن و أخفها.

د- ألا يكون مستغاثا به لأنه معرب في النداء.

هـ- ألا يكون مندوبا، لأن المراد من الندبة مد الصوت، و من الترخيم حذفه و قطعه.

و قد ذكر ابن معطي في البيت السابق شروطا ثلاثة، أيدهم فيها و سكت على الباقي.

4- لكن العاطفة :

اشترط البصريون لمجيء لكن عاطفة أن تكون مسبوقة بنفي و هذا ما اشترطه ابن معطي في فصوله[65].

و يقول ابن جمعة القواس[66] في حديثه عن لكن... و إنما لزم أن يتقدم لكن نفي، لأن الاستدراك يقتضي مغايرة ما قبلها لما بعدها و المغايرة إنما تحصل إذا وقع بعدها مفرد بالإثبات بعد النفي ... و لهذا قدرت إلا في الاستثناء المنقطع بلكن و الكوفيون يجيزون العطف بها في الإيجاب قياسا على بل

5- الاختلاف في الأصل : المصدر أم الفعل

يقول ابن معطي :

واشتق كوفيون أيضا المصدرا من فعله نحو نظرت نظرا

واشتق منه الفعل أهل البصره وذا الذي تليق به النظرة

إذ كل فرع فيه ما في الأصل وليس في المصدر ما في الفعل

فنراه يعرض الرأي الكوفي ثم الرأي البصري و يقول : و هو الذي يليق بالإنسان أن ينصره. و يعلل ذلك لأن كل فرع فيه ما في الأصل.

و المصدر ليس به ما في الفعل إذ إن الفعل يدل على الحدث و الزمان بينما المصدر لا يدل إلا على حدث دون اقتران بزمن معين.

6- الاختلاف في اشتقاق الاسم :

عرض رأي البصريين و الكوفيين ثم أشار لتأييده للبصريين فقال :

واشتق الاسم من سما البصريين واشتقه من وسم الكوفيون

والمذهب المقدم الجلي دليله الأسماء والسمي

ثم يأتي ابن جمعة[67] شارحا هذا فيقول : فقد ذهب البصريون إلى أن الاسم مشتق من السمو، و هو العلم و وزنه إما فعل كعدل و إما فعل كقفل فحذف لامه اعتباطا. وجيء بهمزة الوصل توصلا إلى النطق بالساكن و وزنه حينئذ رُفع بحذف لامه. و ذهب الكوفيون إلى أنه من السمة و هي العلامة؛ لأن الاسم علامة على المسمى و أصله عندهم و سم فحذفت فاءه وعوض عنها الهمزة. فوزنه حينئذ اعل. و الأول أظهر الأمور ثم يذكر ذلك.

7- اسم لا النافية مبني أو معرب؟

اختلف العلماء في اسم لا النافية : هل هو مبني أو معرب. فذهب ابن السراج إلى القول بأنه مبني إذا كان مثنى و نسب هذا القول إلى سيبويه و الخليل، و لذلك يقول سيبويه[68] : تعمل لا فيما تنصبه بغير تنوين، و ترك التنوين لازم لأنها مع ما بعدها بمنزله خمسة عشر. أما ابن معطي فيقول :

و ابن على الفتح الذي قد وردا منكرا غير مضاف مفردا
مركبا مع لا كخمسة عشر مضمنا من نحو قولي لاوزر

و يقول ابن جمعة القواس[69] : "و اختلف النحاة فيه من جهة أنه معرب أو مبنى. فالأكثر على أنه مبنى اللفظ منصوب المحل، و ذهب الزجاج و السيرافي و الرماني إلى أنه معرب، و فتحته فتحة إعرابية. و إليه ذهب الكوفيون".

ثم يقول و أشار المصنف ابن معطي – إلى علل البناء فقال :

أحدها : أنها مركبة مع اسمها، و التركيب يوجب البناء بدليل امتناع الفصل بينهما بالظرف. و إليه أشار بقوله : مركبا مع لا، أي أنه يليها بلا فاصل.

ثانيها : أن اسمها متضمن معنى الحرف الدال على عموم النفي.

و قال أبو علي الفارسي[70] : قولك : لا يدين بها لك بمنزلة : لا حول لك و لا قوة إلا بالله. ألست ترى أنه ليس مضافا إلى شيء، و إذا لم يكن مضافا كان في حكم المفردة المبنية في هذا الباب.

8- (إما) حرف عطف :

اختلف النحاة في إما، هل هي عاطفة أولا، فذهب ابن كيسان و ابن عصفور وابن مالك و يونس و أبو على الفارسي و الجرجاني إلى أنها غير[71] عاطفة لملازمتها لحرف العطف – الواو – إذ لا يمكن الجمع بين حرفين.

وقال ابن معطي : إنها حرف عطف حيث أشار إلى ذلك بقوله :

و أو و أما فيهما مشهور   الشك و الإبهام و التخيير

و قد أيد ابن معطي في هذا الرأي أكثر النحاة كما قال ابن هشام[72] : و إنما عاطفة عند أكثرهم. و يقول المبرد[73] : و أما إما "فإنها تكون في موضع أو. و معروف أن أو هي حرف عطف، فعرف أن إما عاطفة عنده.

10- مراتب النداء :

قسم ابن معطي النداء إلى مرتبين هما : القريب البعيد. فقال

يا للبعيد و هيا، و إن قرب   نودي بالهمز و أي نحو : أرب

و قال غيره من النحاة : إن للنداء ثلاث مراتب كابن برهان[74] بن جمعة الموصلي حيث يقول[75] : و الأولى أن يقال مراتبها ثلاث :

الأولى : أيا و هيا للبعيد مسافة و حكما كالنائم و الساهى لزيادة لفظها الحاصل منه الصوت المحتاج إليه لأجل البعد. فإن نودي بها القريب فلحرص المنادى على إقبال المدعو...

10- القول في مذ و منذ :

اختلف النحاة فيهما : هل هما اسمان أو حرفان ؟

فسيبوية[76] يقول : و أما منذ فهي حرف جر و قد ضمت لأنها للغاية. و ابن معطي يقول إنها تأتي اسما و تأتي حرفا فيقول في ألفيته :

و اجرر بحتى نحو "حتى مطلع"   و بعد مذ و منذ إن شئت ارفع

تقول ما أكلت مذ يومان   و منذ يومان و هما ظرفان

و يقول ابن جمعة القواس[77] : يستعملان تارة اسمين و تارة حرفين جارين. فإذا ارتفع ما بعدها فهما اسمان. و الكلام معهما جملتان و لا موضع للثانية من الإعراب على الأصح. ثم يؤيد رأي سبويه بأن منذ تكون حرف حر، وأن مذ يغلب عليها الاسمية لأنها محذوفة العين بدليل ردها في التصغير إذا سُمِّيَ بها نحو مُنَيْذٌ. و يؤيدهما بذلك ابن الصرّاح حيث يقول : يجوز أن يأتي كل واحد منهما اسما و يجوز أن يكون حرفا جارا، و الموضع الذي يكونان فيه اسمين يكونان على ضربين : أحدهما أن يكون بمعنى الأمر من أول الوقت إلى آخره، و الآخر أن يكون أول وقت فقط، فأما الأمر فقولك : لم أرك مذ. يومان أي مد ذلك يومان : مبتدأ، و ما بعدها خبر لها و لا تستعمل اسما إلا في الابتداء خاصة.

أما أول الوقت فقولك : ما رأيته من يوم الجمعة. و المعنى ابتداء ذلك و أول ذلك يوم الجمعة، فهذا الضرب الثاني لا يجوز فيه إلا التوقيت و الإشارة إلى وقت بعينه[78].

و يعبر ابن القواس عن هذا القول : و لأنهما مقطوعتان عن الإضافة مع إرادة المضاف إليه في المعنى أول المدة أو جميع المدة.

و قال الفراء : إن أصلها من ذو[79].

11- إعراب الأسماء الستة :

اختلف النحاة في إعرابها. فابن معطي يقول في ألفيته :

و ستة بالواو رفعا إن تضف   و الياء في الجر و في النصف الألف

فيعتبر الألف و الواو و الياء حروف إعراب، و الإعراب مقدر عليها لثقله على الواو والياء، و لتعذره على الألف. و هو بهذا يتابع سيبويه[80] في رأيه و يشاركهما في هذا الأخفش في أحد قوليه.

أما ابن السراج فيقول[81] : إنها حروف إعراب، و أن الإعراب فيها ليس ظاهرا و لا مقدرا و على هذا فهي دلائل الإعراب بهذا التقدير.

و قال الزجاج و السيرافي : "إنها معربة بحركات مقدرة في الحروف التي قبل حروف العلة، و منع من ظهورها كون حروف العلة تطلب حركات من جنسها[82]. و بهذا يظهر لنا رأي ابن معطي و موافقته لإمام النحو سيبويه[83].

و رغم كل ما ذكرته فلم يكن ابن معطي متعصبا للمذهب البصري، فكانت له شخصيته المستقلة، يوافق البصريين في كثير من القضايا، و لكن كان يبيح لنفسه أن يأخذ برأي غيرهم بما يراه أقرب من الصواب من وجهة نظره لذا نراه قد أخذ من الكوفيين وأيدهم و من هذه المواقف :

1- استعماله لبعض المصطلحات الكوفية و منها على سبيل المثال:

عبارة الجحد بدلا من النفي الني يستعملها البصريون. و ما لم يسم فاعله بدلا من المبني للمجهول و الصفة بدلا من النعت و غيرها[84].

2- ذهب ابن معطي في الفصول[85] إلى أنه يجوز أن نقول : كذا درهم. بالإضافة و هذا ما يؤيد رأي الكوفيين.

و قد فرق ابن هشام[86] بين كذا و أي فقال : إن تمييزها (كذا) واجب النصب فلا يجوز جره بمن اتفاقا، و لا بإضافة خلافا للكوفيين؛ حيث أجازوا في غير تكرار و لا عطف أن يقال : كذا ثوب، و كذا أثواب قياسا على العدد الصريح و لهذا قال فقهاؤهم إنه يلزم بقول القائل له عندي كذا درهم مائة، و كذا درهم ثلاثة، و بقوله : كذا درهما، أحد عشر، و يقول كذا درهما : عشرون، و بقوله و كذا درهما و بقوله كذا و كذا درهما : أحد و عشرون حملا على المحقق من نظائرهن من العدد الصحيح.

و قد وافقهم على هذه التفاصيل ما عدا مسألتي الإضافة : المبرد و الأخفس و ابن كيسان و ابن عصفور. و قد أيد السيوطي[87] هذا حيث قال أن ابن معطي قد تابعهم على ذلك في فصوله.

3- ذهب ابن معطي إلى أن هاء التأنيث تمال عند حروف معينة قال في الألفية :

و الهاء للتأنيث قد أميلت بعد حروف بعد قد أبينت

في ذود كلب نهر شمس جثث كخيفة وقفا وقد تبينت

و قال ابن إياز : قد شبهت هاء التأنيث بألفه فأميلت الفتحة ايت قبلها في الوقت وذلك في قراءة الكسائي و جمعها ابن معطي في قوله (ذود كلب نهر شمس جيئت) لكنه زاد الهاء و لم يحرك إمالتها غير الكسائي و ليس ببعيد في القياس و مثاله نبيهه[88] .

4- سكران و منعها من الصرف :

منع ابن معطي صرف سكران لعلتين : الوصفية و الألف و النون و لذلك يقول :

و زائد الوصف كمثل سكران   مقابل سكرى لذا أصرف
عريان

فهو برأيه هذا يؤيد الكوفيين الذي يقولون إن المانع من الصرف لسكران هو الألف و النون و الوصف[89]. و هذا غير صحيح، فهناك كلمات توفرت فيها الوصفية و زيادة الألف و النون و مع هذا صرفت مثل ندمان و عريان.

و يقول البصريون[90]. إن سكران قد منعت من الصرف لمشابهته ألفى التأنيث و قد أتى ابن جمعة بأدلة تثبت بطلان الرأي الكوفي فقال : و هذا باطل لتحققه في ندمان و عريان مع كونهما مصروفين بالاتفاق. و حول هذه النقطة هناك كلام طويل، و الظاهر أن ابن معطي قد اتبع أستاذه الجزولي.

أما بغدادية ابن معطي فلم تكن ظاهرة أو واسعة. و قد برزت ملامحها في تأييده لمذهب أبي علي الفارسي و ابن جني و الزجاجي.

1- تقديم خبر ليس عليها :

اختلف النحاة حول تقديم خبر ليس عليها بين مجوز و مانع لهذا التقديم فالذين منعوا التقديم : احتجوا بأن ليس فعل غير متصرفا. فلا يجرى مجرى الفعل المتصرف. فلما كان متصرف في نفسه فينبغي ألا يتصرف في عمله.

ومن الذين مانعوا التقديم : الكوفيون، والمبرد، و الزجاج، وابن السراج.

وأما الذين أباحوا التقديم مثل : قائما ليس زيد فهم : أبو على الفارسي و ابن برهان و غيرهم، و قد احتجوا بقوله تعالى : }ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم{[91] فإنه قدم معمول خبر ليس عليها. فقوله : يوم يأتيهم متعلق بمصروف الذي تقدم على ليس و لما تقدم معمول الخبر على ليس فمن باب أولى أن يتقدم الخبر. و قد أجاز ابن معطي التقديم فيقول :

.... أصبح ظل صار بات ليس

و السبعة الأولى تقدم الخبر فيها عليها و على اسمها اشتهر

و قد احتج من أباح التقديم[92] بالآية الكريمة المذكورة سابقا.

2- القول في "مع" :

كان لابن السراج وجهة نظر في مع. فقد عدها اسما مستدلا على أن حركة آخرها مع ترك ما قبلها. و قد علل الزجاج نصب معكم في قوله تعالى : }إنا معكم إنما نحن مستهزئون{[93] على أنها كالظروف منصوبة. و أشار ابن معطي لذلك بقوله :

و دون منها وكذا عند ومع فهذه وشبهها انصبها جمع

و يستدل ابن القواس[94] على اسميتها، وأما مع فمعناها المصاحبة. و يدل على اسميتها تنوينها و دخول حرف الجر عليها. فالتنوين كقول الشاعر :

تقول و قد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا أمرأ القيس فانزل

و أما دخول حرف الجر عليها فكقولهم : جئت من معه. و عد ابن السراج أن الظرف و الجار و المجرور قسم مستقل برأسه و ليس من قبيل المفرد و لا من قبيل الجملة. و هذا هو رأي أبي على الفارسي[95] و وصفه بأنه مذهب حسن.

3- أقسام الخبر : يعتبر ابن معطي أن خبر المبتدأ يأتي على أربعة أقسام[96]

1- الجملة من مبتدأ أو خبر

2- الجملة من فعل و فاعل

3- شرط و جزاء

4- ظرف أو جار و مجرور

و تقسيمه هذا مأخوذ من أبي علي الفارسي[97].

لقد كانت لابن معطي حصيلة علمية متميزة جعلته يكوّن لنفسه مسارا خاصا في بحث بعض المسائل، فاستطاع أن يستخدم مصطلحات خاصة به، وفي الوقت نفسه تأثر بمصطلحات لغوية تفنن في استخدامها البصريون و الكوفيون و البغداديون.

إشكالية المصطلح الإداري

الدكتور سعيد مقدم
الأمين العام المجلس لاتحاد الشورى
المغرب العربي

إن اللغة، كما هو معلوم، مقوم مقومات الأمة وضميرها الحي، وإرادتها الفكرية، وأداة توحيد لأبنائها.

كما أن صحة اللغة وسلامة بيانها، وقوة بنيانها، مؤشر على القوة و التقدم، وأن الاعتناء بتطويرها، والسهر على دقتها وعلى تكيفها في قطاعات استعمالها، من الاهتمامات الدائمة للمجتمعات الحديثة.

فإعطاء المصطلح مكانة في البيان، أمر طبيعي، لأن التسمية الصحيحة الدقيقة هي أصل وضع المصطلح، وأهم جزء في التعبير، وفي دقة الدلالة.

فالفكر في المصطلح، يتجه فيه من التصور أو المعنى، أو الشيء الجديد الناجم، إلى البحث في اللفظ المناسب للدلالة عليه ولتخصيصه به.[98].

إن عصرنا الحاضر، يتسم بتكاثر وتفاقم المصطلحات، وغزارتها، ولذلك نحن مطالبون، بانتقاء وضعها الملائم وضبطها، قبل نقلها واستعمالها، فالتعريب والترجمة العربية، بإمكانهما المساهمة في ضمان دقة حسن استعمال المصطلحات، على أساس التحري في النقل والتنسيق وتحديد الدلالات، وصولا إلى إعداد المعاجم والقواميس، تيسيرا، والطلاب وللمستعملين من الموظفين والباحثين من المهتمين، أو عامة الناس من تقبلها وتداولها بطرق صحيحة وسليمة.

فالمعالجة المصطلح الإداري أو العلمي، يقتضي الإلمام بثقافة واسعة في اللغات الأجنبية، واللغة العربية الفصحى السليمة.

لقد عملت الجزائر، منذ استعادتها لسيادتها الوطنية بدء بأول مجلس تأسيسي وطني، Ass. Constituence. وفي العديد من المؤسسات الوطنية، وفي المدارس والمعاهد، على استعمال اللغة العربية، كتابة وتبليغا، وصياغة لعبت وسائل الإعلام المختلفة في ذلك دورا معتبرا، وكان للترجمة مكانة مرموقة.

فالفضل يرجع إلى المشرع الجزائري، من خلال إصدار الجريدة الرسمية التي تتضمن مجمل النصوص التشريعية والتنظيمية، التي ساهمت بقدر كبير في تكوين خزان للمصطلحات، تعد بمثابة، قاموس كامن، وليس بارزا في المتناول، خدم كثيرا اللغة الوظيفية الإدارية والتقنية، باللغة العربية.

وهذه المساهمة، يمكن اعتمادها كمرجع عملي في إعداد قاموس أو معاجم، مزدوجة للمصطلحات النوعية لمختلف القطاعات الحيوية في مجتمعنا.

فالمادة الخام، متوفرة، وعلينا جميعا باستغلالها، وتوحيدها، وتفريغها في شكل قواميس ومعاجم علمية عملية. وهذه المهمة تقع على عاتق السلطات العمومية المعنية، باشراك الباحثين، من أساتذة وخبراء مختصين، جامعيين ومهنيين. وهو العمل الذي يعرف تأخرا كبيرا يأسف عليه، ومن شأنه تعطيل مسيرة تعميم وترقية استعمال اللغة الوطنية وفك عزلتها.

فما أحوجنا إذن إلى الشجاعة العلمية لذوي الاختصاص في مجال الإبداع ونحت المصطلح الملائم الذي تفتقر إلية العربية، كل في ميدان تخصصه وقطاع نشاطه، "فالمسؤولية جماعية".

فنحن مطالبون إذن، بتحرير العديد من لمصطلحات العربية، مما يثقل كاهلها من مفاهيم في اللغات الأخرى ولاسيما الفرنسية، فعلى سبيل المثال مصطلح قانون، يفهم منه في اللغة الفرنسية.

Loi. Code. Règlement, Statut, Instrument de musique. بالإضافة إلى مصطلحات أخرى لا تؤدي بتاتا الغرض منها، كاستعمال مصطلح شهادة السوابق العدلية، كترجمة لمصطلح، casie judiciaireفي اللغة الفرنسية، إلى غيره من الأمثلة العديدة المتداولة في اللغة الإدارية العربية....

فيجب أن يعطى للكلمة مدلولها الدقيق بالعربية، ليتحول بعدئذ إلى مصطلح متفق عليه، وهذا يتطلب إنشاء معاهد متخصصة في الترجمة(2)99

علما بأن الترجمة لا تكفي كعلم مستقل بذاته، فنحن مطالبون بتكييف منظومتنا التعليمية والتكوينية. بما يضمن التكوين الرفيع في اللغة العربية،

بمراجعة محتوى برامجها، تيسيرا للتلميذ والطالب لاستعاب اللغات الأجنبية الأخرى، كما يؤكد ذلك علماء النفس الحديث.

أننا مطالبون بالتبسيط والتسيير، وإلغاء "ظاهرة التعدد المصطلحي". لاسيما في المصطلح التقني النوعي، كما فعل اليابانيون، وغيرهم من قبل.

فالترجمة يجب أن تحترم سليقة لغتنا العربية. Le géné de notre langue Arabe. وتبتعد عن الترجمة الحرفية كما هو شائع اليوم في الأسماء التجارية لمحلاتنا، " boucherie des Amis " مذبحة أو مجزرة الأحباب، مثلا، وهو أمر غير مقبول على الإطلاق,

كما أننا مطالبون باختيار الإعلام المكانية topo nyme; بما يتفق والإحساس الجمالي والحضاري لمجتمعنا.

فلما نعرب، يجب أن نعرب وفق ظوابط علمية غير ارتجالية، ولا ينبغي أن نترك الاجتهاد لغير أهله، فهناك مرجعيات حضارية يجب مراعاتها...

كما أن فك العزلة عن اللغة العربية، يتطلب منا التفتح أكثر على اللغات الأجنبية في قواميسنا، لإزالة الاحتكار المسلط منذ الاستقلال على لغتنا.

إن العديد من الدوائر الوطنية، ساهمت كثيرا في خدمة اللغة العربية ومنها قطاع العدالة، والمجلس الوطني الشعبي، ووزارات السيادة، والوظيف العمومي، والأمانة العامة للحكومة، ووكالة الأنباء الجزائرية، والحركة الجمعوية، ودور الجامعات، وكذا العديد من الكفاءات والمهارات المكونة باللغة العربية، التي تساهم في إخراج تراثنا الوطني من الدهاليز، ونشرة، وتعميمه بين الناس.

إن الممارسة الميدانية، في مجال تعميم استعمال اللغة العربية وترقيتها، أظهرت، بأنه كلما كان للمسؤول عناية حضارية، لغوية، كانت المساهمة راقية، تطبعها الجدية والجودة.

فتدهو العمل، باللغتين في بلادنا، مرده لضحالة ورداءة مستوى المسيرين المسؤولين باعتبارهم المؤطرين للموظفين وللعمل الإداري.

فاللغة العربية، هي مظهر من مظاهر سيادتنا، وعنوان، ولسان، لدولتنا.

فكلما زاد شأن الدولة من خلال احترام وتنفيذ تعليماتها وأوامرها وقوانينها، زادت مصداقيتها وقوي ساعدها.

فالإدارات والمؤسسات، باختلاف طبيعتها القانونية، مطالبة أكثر من أي وقت مضى، بالقيام بمهامها وتحسين مردودها، }ولا سيما المكلفة منها بتعميم وترقية اللغة العربية، كأكاديمية اللغة العربية، والمجلس الأعلى للغة العربية، والهيئات القطاعية المقحمة مباشرة في العملية{.

إن ملتقانا هذا، يدشن ولوجنا لمرحلة ثانية جديدة في مسيرة تكريس اللغة العربية، كلغة وطنية ورسمية للبلاد، فبعد عملية التعميم، ننطلق اليوم في مرحلة، الترقية، ترقية استعمال اللغة العربية، من خلال، انتقاء وتوحيد المصطلح اللغوي، وصولا إلى إعداد قواميس فرعية وقواميس أم، جزائرية، وحتى باللغة الفرنسية التي نستعملها كلغة ثانوية أو مكملة، بل وحتى باللغة الإنجليزية.

فالشروع في إعداد، المعجم أو القاموس الإداري، متيسر، كما قلت، اعتمادا على مخزن المعلومات المتوفر لدى الأمانة العامة للحكومة،

والاستئناس برصيد المؤلفين باللسان العربي المبين في شتى المجالات لما له من دور في توحيد المصطلحات وتيسير استعمالها في محيطها.

حقيقة أن المهمة ليست باليسيرة، ولكنها أيضا ليست مستحيلة. فهي تتطلب الصبر والثبات.

فعلماء الاجتماع يؤكدون على أن الأفراد بطبيعتهم الإنسانية ميالون لمقاومة التغيير، لا سيما محاولات التغيير التي لا يستطيعون فهمها، لغموضها أو لشكوك حولها، أو لاعتبارها موجهة ضد مصالحهم، ورغباتهم.

غير أن التغيير، غالبا، ما يستمال بالأفكار والتوقعات الجديدة و الخلاقة ويصبح جذابا، إذا كان ثمرة الأفكار، وتوقعات تحمل الأفراد احتمالات التطور والتحول إلى أوضاع أفضل، وتكون أكثر مغزى إذا توفرت له الآليات والوسائل التي تساعد على تأكيد تلك الاحتمالات وتحويلها إلى معطيات واقعية.

إن موضوع المصطلح الإداري هام جدا، ينطوي على ضرورة التغيير، وتبني منهجية علمية جديدة، والتخلي عن منهجيات شائعة، وبالتالي فنحن أمام تغيير حقيقي، وفي مواجهة تفاعلاته الارتدادية، وهي في اعتقادي أصعب أنواع التغيير، بالنظر إلى ما تقتضيه من تغيير في المواقف، وفي الاتجاهات، والقناعات، فهي عملة تنصب على تغيير السلوك الإداري اليومي. من أجل ذلك نرى أن تأسيس المجلس الأعلى للغة العربية لمجموعة عمل الإعداد دليل المصطلح الإداري أمر عظيم الأهمية حيث سيفضي إلى توحيد المصطلح الإداري في الإدارة الجزائرية.

لسانيات الخطاب

حوار مع باتريك شارودو (+)

ك. لوبيز ألنسو وأسيردي ألموس

ترجمة : د. محمد يحياتن (الجزائر)

بدأ باتريك شارودو **Patrick Charaudeau** مسيرته الجامعية في 1967 بجامعة بو Pau حيث كلف بتدريس الفرنسية بوصفها لغة أجنبية إلى غاية 1969. في سنة 1969، عين معيدا بجامعة ليون حيث درس لسانيات اللغة الإسبانية إلى غاية 1972. كما كلّف بالإشراف على مجموعة من الباحثين بالمعهد الوطني للبحوث التربوية Institut National de Recherches Pédagogiques وهو المنصب الذي شغله إلى غاية 1980. ابتداء من 1972 وإلى غاية 1978، شغل منصب أستاذ للسانيات الإسبانية بجامعة باريس XIII وانتدب إلى المركز الوطني للبحث العلمي CNRS. بعد مناقشة رسالة الدكتوراه حول "الشروط اللسانية لتحليل الخطاب" Les conditions linguistiques d'une analyse de discours في 1977، أصبح أستاذا للسانيات بجامعة باريس XIII . بالموازاة مع ذلك، كلّف بين 1980 و1986 بمهمة لدى أمانة الـ "AUPEL" (جمعية الجامعات التي تعتمد إن جزئيا أو كليا اللغة الفرنسية).

حاليا، يمكن القول بأن نشاطات الأستاذ شارودو متنوعة : حيث يدرّس بجامعة باريس – الشمال "علوم اللسان"، يشغل منصب مدير مركز تحليل الخطاب Centre d'Analyse du Discours بجامعة باريس XIII كما يشرف على سلسلة "اللغات والخطابات والمجتمعات" لدي دار النشر المشهورة Didier Erudition. هذا مع وجوب الإشارة إلى المهام العديدة التي اضطلع بها في العديد من البلدان الأوربية وأمريكا الجنوبية وإفريقيا الشمالية (تونس، الطوقو) وكندا.

للباحث مقالا عديدة نشرها في أشهر المجلات المتخصصة مثل : Cahiers de Lexicologie, Etudes de Linguistique Appliquée, Le Français dans le Monde الخ. فضلا عن الكتب الفردية والجماعية التي نذكر منها : Dictionnaire de didactique des langues (مع آخرين)، – Langage et Discours Eléments de sémiolinguistique (1983) La presse écrite (مع آخرين).

هلاّ تفضّلتم بتحديد موقعكم في صلب التيارات اللسانية المعاصرة؟

أجيب فأقول بأني أتراوح بين لسانيات اللغة وتداوليات الحديث / التلفظ pragmatique énonciative وسيميائيات الخطاب، محاولا بذلك تحديد موقع مزدوج من تمازج الاختصاصات في صلب هذه المجالات الثلاثة : موقع داخل الدراسات اللغوية وموقع خارجي بالنسبة إلى علوم مجاورة مثل علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع إن اقتضى الأمر ذلك والأنتروبولوجيا

و الإتنولوجيا. لا يتعلق الأمر بمازج في تجميعي للعلوم بل ب "تمازج للعلوم مركز" interdisciplinarité focalisée .

انطلاقا من إشكالية لغوية، أحاول إقامة غدو ورواح بين النموذج النظري الذي أجتهد في بنائه و المقاربات اللسانية الأخرى أو مقاربات أخرى داخل العلوم الاجتماعية التي تعني بمشاكل اللغة في الواقع أنا شبيه بأكل اللحم البشري anthropohage،لا أتناول مفاهيم التخصصات الأخرى كما هي، بل أبتلعها وأهضمها كي أرى إلى أي مدى يمكن أن تخدم إشكالية تحليل الخطاب.

ما هي النصوص والشخصيات اللسانية أو غيرها التي تعتمد عليها؟

أودّ في البداية إبداء ملاحظة فأقول لا يوجد سؤال أصعب من هذا. وبما أنني في مفترق طرق، فيما يتعلق بالدراسات حول اللغة، فإنّ ما أما بحاجة ماسّة إليه هو دراسات الدلالتين sémanticiens والتداوليين pragmaticiens، وأبحاث كل أولئك الذين يعنون بعلم دلالة الحديث / التلفظ sémantique de l'énonciation ودلك بالعودة المنتظمة إلى بنفنست Benveniste.

إنّ بنفست من الناس الذين أقرأ لهم بانتظام لأنّه أول من أعمل النظر في حديث اللغة l'énonciation de la langue ولا أحد قيّض له التوفيق في استعادة التمييز الذي اقترحه بين علم الدلالة والسيميائيات.

أما فيما يتعلق بالجزء الكامل الخاص بالحديث conversation، فهناك أبحاث جارية بالولايات المتحدة وجنيف وفرنسا وخاصة حول فريق ليون l'équipe lyonnaise. أقرأ كذلك لعدد من علماء النفس وعلم

الاجتماع الذين يهتمون باللغة الموجودين في باريس ونانسي وكان Caen. أعتقد أن ثمة شيئا ذا بال سيتمخض عن التمفصل بين اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع، وإنّي لأنحو هذا النحو.

أمتح من السيميائيين وبخاصة من والسيميائيات الأدبية التي تشحذ مفاهيمها دون مغالاة في الصياغة الصورية؛ فيما يتعلق بالأدب أعود باستمرار إلى بارت Barthes وبنفست حينما يتعلق الأمر باللسانيات. فحين أعود إلى بارت، أجد دوما أشياء تلهمني، وكذلك عند جونيت Genette؛ أرى بأنه إن أردنا الاشتغال حول ما اصطلح عليه بوجهة نظر الراوي، يجب استلهام أعمال جونيب الذي أتى بأشياء كثيرة يمكن تسخيرها حينما نتساءل حول وجهة نظر المتحدث / المتلفظ énonciateur.

ماذا تقصدون بـ "النظرية اللسانية" ؟

ماذا تعني النظرية بوجه عام ؟ يمكننا القول بأنّها مجموعة من المفاهيم وأنواع من العمليات التي تسمح بوصف الاشتغال وتفسير سبب وجو د الظواهر الحاصلة في العالم. أما فيما يتعلق باللسانيات، فإنّي أقول بأن النظرية هي مجموعة من المفاهيم وأنواع من العمليات التي تسمح بوصف اشتغال اللغات وتفسير سبب وجود الظواهر اللغوية. إذن نحن دائما بازاء بناء مفهومي يأخذ في التبلور يصحبه لغة صورية، أي اللغة الواصفة Le létalangage، بحسبانه إجابة عن التساؤل العام حول أسرار الظاهرة. لا وجود للعلم إلاّ حينما مسعى إلى الإبانة عن هذه الأسرار، فالأمر يتعلق ببناء جهاز مفهومي يحاول الإجابة عن تساؤل ما، وهذا الجهاز يتكوّن في الواقع من سلسلة من الفرضيات. ردا نحن انطلقنا من هذا التحديد، فإنّنا سنواجه

عددا من المشاكل : إنّ الظاهرة في ذاتها أمر هجين، إذ تتكّون من عدد من الموضوعات. ويجب علينا في مرحلة أولى التمييز بين الظاهرة والموضوع. إذن، الظاهرة اللغوية أمر مركّب من عدة موضوعات –لغة –objets langage. كل موضوع منها ينبني إذن في علاقة دائمة وجدلية بواسطة الأدوات التي تصطنع لدراسته. عن الموضوع لا وجود له في ذاته، بل ينتصب وجوده عبر المساءلة والأدوات المفهومية التي نشحذها قصد دراسته.

أما فيما يتعلق باللغة، فإنّ هناك عدة موضوعات ومن التوهّم بمكان الاعتقاد بأنه لا يوجد سوى نظرية لسانية "واحدة"؛ هناك بالضرورة نظريات لسانية عديدة. أما عن الفرق ما بين الظاهرة والموضوع phénomène/objet ، فإنّي أقول بأنّه هو ذلكم الذي يميّز التناول العلمي عن التناول الفلسفي. فالتناول الفلسفي يجتهد في الإبانة عن الظاهرة برمتها في حين أن التناول العلمي يحاول دراسة الموضوعات التي تشكل هذه الظاهرة. هذا أول مشكل : ما هي العلاقة التي تقوم بين الظاهرة والموضوع في صلب الظاهرة. إنّ هذا الأمر ذو أهمية لانّ الفلسفة نعنى منذ زمن معيّن باللغة ولئن كان ذلك يفيدنا، فيجب أن ندرك أنّ وجهة نظرها ومقاربتها مغايرتان للمقاربة العلمية. المشكل الثاني يمكن في كون التفكير التنظيري في مقدوره أن ينحو منحيين اثنين : المنحي الأول تفسيري يسعى إلى الإحاطة بكنه الظاهرة. حينئذ تشحذ الأدوات التي تمكن من البحث عن شبكة السببيات causalités بقصد الإجابة عن السؤال : لماذا وجدت هذه الظاهرة ؟ والذي يجب أن سفضي إلى إجابة مثلى من الوجهة المبدئية تسمح باستشراف اشتغال الظاهرة في ذات الوقت. وإن نحن وفقنا في الإجابة على سؤال الـ

"لمـاذا"، فإنّـه يجـب أن يكـون فـي مقـدورنا فـي الوقـت عينـه التنبـؤ بكيفيـة تطورها.

أمـا المنحـى الثـاني فهـو بـالأحرى منحـى وصـفي : وصـف اشـتغال الموضـوعات. حينئـذ توضـع الأدوات الخليقـة بالإبانـة عـن كنـه الإواليـة mécanisme و"كيف" comment الظاهرة.

إذن نحن حقّا حيال اتجاهين : أحدهما بسعي إلى الإجابة عن الـ"لماذا" والآخر عن الـ "كيف" وهذان الموقفان قد كانا موضوع نقاش غير مباشر؛ كان ذلك أول الأمر مع السؤال البنيوي في الستينات : هل البنيوية وجودية ontologique أم منهجية؟ وهل تصف البنيوية شيئا موجودا في العالم أم هي أداة إجرائية ومنهجية لوصف هذا العالم ؟ هذا سؤال طرح على أيام بنيوية ليفي شتروس Lévi-Strauss التي أضحت فيما بعد بنيوية لسانية. كما طرح السؤال نفسه في النقاش المشهور بين بياجي Piaget وتشومسكي Chomsky، وقد بيّن هذا النقاش أنّ وراء مقاربتين تبدو أن متضادتين، إذ نحن أمام تناول بياجي piagétien هو بالأحرى وجودي أنطولوجي وتفسيري وتناول تشومسكاوي chomskyenne هو في ذات الوقت منهجي ووصفي : إذن وراء كل هذا هناك تتطارح مشكلة القطيعة بين موقفين : موقف معرفي – أنطولوجي وموقف عملي – منهجي، ويشترك النوقفان في نقطة واحدة تتمثل في وجود نموذج المحايثة un modèle d'immanence. ويوجد تحت جميع الظواهر نموذج تفسيري واحد ووحيد.

بالنسبة إلى هذين الاتجاهين، أي الـ "لماذا" والـ"كيف"، أو الأفق الوجودي والأفق المنهجي، فإنّ موقفي هو كالتالي: أعتقد، وهذا على إثر ما علّمته إيّانا العلوم الإنسانية منذ 25 سنة، بأنّه لا يعقل الإقدام على محاولة الإجابة على الـ"لماذا" وإنّه ليحسن بالأحرى الردّ على سؤال الـ "كيف" ومن ثمّ الوصف.

من حيث وجهة النظرية اللسانية ويجب استخلاص نتيجتين : النتيجة الأولى مؤدّاها أنّ النظرية اللسانية لا يمكنها أن تنبني على تاريخ اللغة؛ وهذا ما جعل اللسانيات تنفصل عن النموذج الفيلولوجي. فالفيلولوجيا بالنسبة إليّ تظل تخصصا discipline لا علما ومن الفائدة بمكان أن يتطوّر هذا التخصص، يبد أنه يجب أن تكون الأشياء واضحة. وقد بيّن سوسير ذلك من حيث إن الفيلولوجيا قد أصبحت مقارنة للآنيات synchronies عبر الزمن؛ هذا ويمكن القول بأن وصف الحالات المتعاقبة للنظم اللغوية يطابق تخصصا قائم الذات.

النتيجة الثانية تقضي بالاختيار بين نموذج محايثي immanentiste ونظرية ذات نموذج وصفي. باختصار شديد، يميل باحثو أمريكا الشمالية إلى بناء نماذج وصفية، في حين أن النموذج السيميائي مثل نموذج غريماس Greimas هو بالأحرى نموذج محايثي. أعتقد بأنّه يجب إجراء هذا الاختيار. إننا لا نقوى على الوصف إلاّ وفق نموذج نظري ما، لكن إن نحن لم نقدم علي اختبار نموذج نظري بوصف الظواهر اللغوية، فإنّي لا أرى والحالة هذه، الفائدة التي يمكن أن نجنيها منه. أما في فرنسا فإنّ هناك نزعة قوامها تطوير النماذج النظرية على حساب الأوصاف التي قد تشي

بمدى وجاهة وحصافة هذه النماذج النظرية. وهذا هو السبب الذي يجعلني أعتقد بأنّه م أجل تحديد نظرية ما يجب على الباحث أن يشهر مسلّماته ومبادئه المؤسسة ومواقفه إزاء الظاهرة التي يدرسها، وإنطاقا من ذلك بالإمكان تشييد الإطار المنهجي. ألاحظ في كثير من الأحيان أن هناك اعتدادا بالمبادئ المؤسسة وقلّة احتفال بالأطر المنهجية، ولا أدلّ على هذا م أنّ السلاسل العلمية ذات الصيت الواسع مثل تلك التي نجدها لدى Le Seuil أو Editions de minuit الخ... سلاسل تحمل عناوين مثل Philosophie du langage، أو لدى PUF أو لدى غيرها وتحمل عنوان Linguistique، وهذه أعراض ودلائل عن وضع قائم الذات.

ما هي غاياتكم ؟

غاياتي ثاوية فيما قدّمت حول النظرية. أحاول تشييد نموذج للوصف بدل التفسير. فالتفسير هو بيان علاقة نتائج الوصف بتحديد وجهة النظر المتبناة. إنّ ما يعنيني بالدرجة الأولى هو محاولة بناء نموذج للوصف، من أجل وصف اشتغال اللغة بوصفه رهان التواصل الاجتماعي أو إن شئنا النفساني – الاجتماعي.

كيف تجرون ملاحظاتكم وما هي منزلة statut المثال l'exemple لديكم؟

بالنسبة على الملاحظات، ثمّة شرط لا مندوحة منه : قضاء الجزء الأكبر من حياتي في الحانات. لكنّي سأجيب على غرار اللساني موريس مولو Maurice Molho : إننا لا نعرف أبدا كيف نقوم بذلك. لا أستطيع أن أقول كيف ألاحظ، لي كغيري من الناس تقنيات للعمل ولكنني لا أحسن

الحديث عن الملاحظة. ليس الأمر مماثلا لما يعرف بملاحظة القسم ذلك لأنّنا في هذه الحالة نتوفّر على تقنيات تحليل الملاحظة النفسانية – الاجتماعية لملاحظة الآخرين.

بطبيعة الحال، نحن نقوم بجمع المواد ونبني المدونات ونحلّلها ولكن بصراحة لا أعرف كيف أجيب عن هذا السؤال.

أما فيما يتعلق بسؤالكم عن المثال، فإنّ هذا الأمر يحيلنا على مشكل ذي طابع إبستمولوجي. يا ترى هل المثال منذور للتصوير **illustration** أم للبرهنة ؟ أرى أنّ المثال ليس من مشمولات المقاربة العلمية وإنما ينتمي إلى المقارنة التربوية. إننا نستدعي المثال عندما نروم توضيح مفهوم وإوالية ووصف ما. المثال لا يأتي في المقام الأول، وإنّ الذي يأتي في المقام الأول هو المدوّنة علما بأنّ المدوّنة ليست بمثال. والحال إنّ المثال لا يجب استحضاره حتى أثناء سيرورة التحليل، بل يحصل ذلك فيما بعد. إنّني من ضمن الباحثين الذين لا يتصورون إعطاء تفسير علمي دون تصويره بمثال حين أحاول إفهام الغير بطبيعة ما وجدت. في مقابل ذلك، حينما أبني تفسيرا ما، أعمد على المدونة لا على المثال. والحال إنّي ألاحظ في كثير من الأعمال التي عنيت بفلسفة اللغة التي تحدّثت عنها منذ حين، وحتى في التداوليات، لا تتناول الظواهر اللغوية كأمثلة، ففي حالات التخاطب، لا نجد أبدا أنفسنا بازاء نصوص كاملة. وحتّى باحثو مدرسة جو نيف **l'Ecole de Genève** الذين يزعمون بأنهم يعتمدون أمثلة عينيّة **authentiques** إنما يعمدون أمثلة لا نصوصا عينية لصيقة بمقام التخاطب **des textes en situation de communication** .

أنا لا أشتغل على الأمثلة بل على المدونة وأحيانا أعتمد أمثلة ما بقصد التصوير.

إنطاقا من أية لغات تشتغلون ؟

كثيرا ما يعقد السواد الأعظم من الناس بأنّ اللساني يشتغل حول عدة لغات. إنّ الأمر غاية في البساطة : أشتغل حول الفرنسية والإسبانية عندما يكون الأمر ممكنا. وبما أنّني أعني بتحليل الخطاب، فيجب عليّ أن أكون على دراية بالخطابات المنتجة في المجتمع، وإن كنت لا أنتمي لهذا المجتمع – لأنّه لا يكفي أن يحذق المرء اللغة – وإذا كنت لا أعيش فيه، فإنّي سأواجه صعوبات جمّة في جمع الخطابات الضمنية التي تسري فيه. لهذا يتعذر علي الفرد الواحد إجراء الدراسات التفاضلية contrastif؛ يجب عليه أن يكون، لا مزدوج اللغة بل مزدوج الثقافة ليمكنه القيام بتحليل تفاضلي للخطاب لأنّه يجب أن يكون على دراية بما يسمّى بـ "الخطاب المتنقّل" discours circulant، أي خطابات المعتقدات croyances التي تتنقّل في المجتمعات. لا يمكننا القيام بتحليل الخطاب عبر لغات عديدة. إنّ الدراسة التفاضلية يجب أن تتمّ مع الناس الذين ينتمون إلى هذه الثقافات المختلفة.

هل تشتغلون على المنطوق و/ أم المكتوب ؟

إذا تناولنا هذا السؤال بمعنى مقام الشفوية ومقام المكتوب، فإنّي أشتغل على الاثنين. حينما نشتغل على الأحاديث والاستجوابات والمناقشات، فإننا نشتغل حول التمظهرات الشفوية للخطاب وعندما نشتغل حول الإشهار، الصحافة المكتوبة الخ... فإنّنا نشتغل حول التمظهرات الكتابية للخطاب. على

كل حال، لا يمكن للنموذج النظري أن يكون جزئيا، يجب أن يقوى على الاشتغال في كل مقام من مقامات التخاطب.

ما هي في نظركم طبيعة مساهمتكم في اللسانيات المعاصرة ؟

من الصلف بمكان الإجابة على هذا السؤال, إنّ بلورة نموذج نظري بمسلماته وإطاره التحليلي المنهجي يقدم لا محالة إسهاما للعلم. أنا أنحو نحو انفتاح التخصص على بنينة **structuration** المجال التجريبي **empirie** الذي تحف به، أي الحالة النفسانية – الاجتماعية التي هو عليها التخاطب أو التواصل. أعتقد أنّ هذا أمر مفيد حتّى بالنسبة للسانيات اللغة، الأمر الذي يسمح بمساءلة مقولات اللغة من جديد، لا سيما إذا نظرنا إلى الماضي، فإنّنا سنلفي المواصفات اللسانية قد انهارت بوصفها موضات **modes** ولكنها تركت كلها شيئا ما. فالبنيوية قد تركت لنا هذه الكيفية في التناول العلمي المتمثل في الاقتناع بأنّ الدلالة تتأتّى من سيرورات الاختلافات ومعاينة الاختلاف من خلال اختلافات الأشكال إنّنا لا نعرف طرقا أخرى غير هذه.

أما النحو التفريعي، فلقد طرح مشكل التفريع برمّته، وقد بنى نماذج تبيّن كيف تتوالد العناصر كي تنشئ الجمل والملفوظات الخ...

ما هي المصطلحات . المفاتيح التي تستعملونها؟

أولى هذه المصطلحات : مسلّمة القصديّة **postulat d'intentionnalité**، وهو ما اقترحه بحسبانه المسلمة الأساس الذي يحدد شروط الحق في الكلام والذي يتكون من ثلاثة مبادئ كبرى : مبدأ التفاعل **principe d'interaction** ومبدأ الحصافة **principe de pertinence**

. كل فعل كلامي فعل تفاعلي، يندرج في إطار التأثر بين المتخاطبين، وهذا الفعل الكلامي، ومبدأ التأثر هذا كذلك لا يمكنهما الاشتغال إلاّ متى اعترف المتخاطبون بعضهم ببعض من حيث أن بعضهم موجود إزّاء البعض الآخر، أي وفق مبدأ الحصافة.

وحول أسس مسلّمة القضدية هذه يوجد عدد من المفاهيم التي أستخدمها وأواصل تحديد: مفهوم العقد contrat على مستويات مختلفة ومفهوم الفضاء المزدوج لتمظهر فعل الكلام double espace de la mise en scène de l'acte de langage بمختلف ذواته ومفاهيم الإستراتيجية stratégie والصريح explicite والضمني implicite ومفهوم نمط تنظيم الخطاب mode d'organisation du discours وأنواع النصوص types de textes . هذه هي أمهات المفاهيم التي أعتمدها والتي هي الآن مستقرة نسبيا ولكنها بحاجة إلى مزيد من التعميق.

فيما يتعلّق بمفهوم "المقولة" بأي معنى تتناولونه ؟

إنّ المقولات التي أحوال ابتداعها – حتّى أكون منسجما تماما مع ما أسلفت – وصفية ولها غاية إجرائية. إنها نماذج كبرى archétypes ولكنها ليست كونية. إنها نماذج كبرى إجرائية مثل الأدوار اللغوية rôles langagiers التي أسعى إلى تحديدها. إنّ ما يعنيني في هذه الآونة هو إضفاء الاستقرار على الفرق بين مقولة اللغة ومقولة الخطاب وإمكانية الانتقال من هذه إلى تلك أو تمفصلهما. تنطوي المقولة علي عدد من التعليمات الدلالية الإجرائية، فالتعليمة الدلالية هي التي تدلّني مثلا على الطريقة التي يجب عليّ اتباعها إن أردت مثلا أن أسأل. بعد دلك أحاول

الإبانة عن الكيفية التي بمقتضاها تفضي هذه المقولة إلى انبثاق مقولة من مقولات اللغة وكيف تفضي إلى انبجاس مقولة من مقولات الخطاب.

ما رأيكم في الصياغة اللسانية الصورية formalisation linguistique؟

هذه المشكلة لا تعنيني كثيرا. إذا قبلنا بأنّ اللغة الواصفة هي صياغة صورية فإنّ ابتداع أيّ جهاز نري كان تنجرّ عنه لغة واصفة ومن ثمّ صياغة صورية ما. لكنّ الصياغة الصورية المنطقية ليست قضيتي. يكفينا ما نعانيه من مشقّة عند بلورتنا المفاهيم لنأخذ على سبيل المثال كلمة " خطاب" : إنّك ستجد في الأدبيات اللسانية أن هذا المفهوم أبعد ما يكون عن الاستقرار في صلب اللغة الواصفة، إذ ثمّة تحديدات جدّ مختلفة. أنا لست ضّ الصياغة الصورية ولكنّني أعتقد بأنها ليست سوى أمر "لاحق" un auprès . هذا رأيي، بيد أنّي أفهم جيدا بأنّ المشاكل المطروحة في الذكاء الاصطناعي إنما تطرح من باب الصياغة الصورية وأنّ اللساني مجبر على الأجوبة التي تطرحها المعلوماتية.

ما هي القضايا التي اشتغلتم حولها والتي تشتغلون حولها الآن ؟

أنا أنتمي إلى الجيل الذي اكتشف اللسانيات عند ولوجها فرنسا، الذي جعلني أعيد النظر في نحوي ma grammaire أربع أو خمس مرّات. فحينما جاءت الغيومية (نسبة إلى اللساني غوستاف غيوم Gustave Guillaume) أعدنا النظر في النحو من وجهة النظر الغيومية، ولما جاءت البنيوية، اعتمدنا وجهة النظر البنيوية، وكذلك الشأن حين جاءت التفريعية le générativisme... لقد اشتغلت كثيرا إذن حول اللغة داخل العديد من

النماذج. بعد هذا، انتقلت إلى علم الدلالة الإفرادي Sémantique lexicale وقد بيّن لي هذا التأليف بين الإفرادي والتركيبي أهميّة السياق ومن ثمّ انتقلت من السياق إلى السياق الأوسع، أي النص ومن هنا وعلى نحو من التدرج انتقلت إلى الحال / المقام situation وإذن إلى دراسة تحليل الخطاب.

فيما يتعلق بمجال تحليل الخطاب الذي أوجد به الآن، فإنّي أرى أن كل شيء جدير بالدراسة. لقد عنيت بالنصوص المكتوبة بخاصة في المرحلة الأولى؛ بعد ذلك اهتممت ولا أزال بظواهر التخاطب بين الناس، وهذا بالموازاة مع الاهتمام بالخطابات المكتوبة. الآن أعني بتحديد الأدوار اللغوية rôles langagiers، التي هي نقطة التمفصل بين النفساني – الاجتماعي واللغة.

هل تعنون بمجال ما من مجالات تطبيق اللسانيات ؟

نعم ولا لأنّي لم أحبّ أبدا مصطلح "التطبيق"؛أعتقد أنّه استخدم بكثير من الشطط، وقد أفضى هذا إلى شيء من المخاتلة mystification. إنّنا لا نطبّق اللسانيات وإنّما نستخدم نتائج تخصّص ما ولا نطبّقه. فيما يتعلّق بي، اهتممت دائما بمشاكل تدريس اللغة : اللغة–الأمّ (أشرفت طوال عشر سنوات على فريق من الباحثين المهتمين بتدريس الفرنسية بوصفها لغة–الأمّ languematernelle) في المعهد الوطني للبحث التربوي) والفرنسية من حيث هي لغة أجنبية (كثيرا ما أدعى للعمل مع مدرسيّ الفرنسية– لغة أجنبية). غير أنّي اجتهد دائما أيما اجتهاد من أجل التخلّص من هذه الصورة "المزلقة" toboggan التي مؤداها إنزال العلم من عليائه لتطبيقه في مجال التعليم. إنّ مجال التعليم ممارسة تطرح عددا من المشاكل ويجب البحث في

نتائج التخصصات العلمية عم الأجوبة المطروحة على هذه الممارسة. فإن أردنا إجراء تطبيق ما – وهذا مشكل الترويج vulgarisation كلّه– فإنّنا نشوّه on déforme المفهوم القاعدي بقصد استخدامه. وإنّي لأطالب بنفس الموقف الذي يقفه أكل اللحم البشري anthropophagie بالنسبة للناس الذين يشتغلون في مجال التعليم. إنّ اعتماد اللسانيات التطبيقية معناه الاستمرار في إذكاء هذه الثنائية ما بين المنظّرين والمطبّقين، التي هي عندي مدعاة للسخّرية، لا سيما بالنسبة إلينا نحن الباحثين– المدرسين في الجامعات؛ إننا نعرف جيّدا أحدهما يدعو الآخر وأنّ ثمّة تفاعلا جدليا بين الإثنين.

إذا أراد المنظّر أن يهتمّ بالتعليم، فلا بدّ أن يقبل بإدارة "الزّر" وتغيير موقفه نوصفه منظرا ولكي يدخل في مشكل ممارسة التعليم يجب أن يقبل بأنّه موجود هنا لاقتراح الأجوبة للأسئلة التي يطرحها عليه أناس لهم ممارسة خاصة. إنّي أجتهد من أجل استبدال مفهوم التطبيق بمفهوم العودة إلى النبع ressourcement. فباحث مثل لويس بورشر Louis Porcher يناضل من أجل الدفاع عن الفكرة القائلة بأنّ علم التدريس la didactique ليس علم تدريس تخصص بعينه فحسب بل هو مفهوم عامّ.

فللإجابة على بعض الأسئلة التي يطرحها تدريس اللغات، لا بدّ من مساءلة اللسانيات، بيد أنّه لإجابة على الأسئلة المتعلّقة بديناميكية أو تنشيط الأفواج، لا بدّ من مساءلة علم النفس الاجتماعي وللإجابة على الأسئلة الخاصّة بمستويات الدراسات والتنظيم والبرمجة، يجب مساءلة علم

النفس الاجتماعي للمؤسسات الخ... يجب على الأستاذ أن يكون ذا تكوين متعدّد الأوجه مع تخصص طاغ dominante له صلة بالمادة التي يدرّسها.

نشاط المجلس

شهد المجلس نشاطات متعددة ومتنوعة في المجالات التنظيمية والثقافية طبقا للبرنامج السنوي الذي صادقت عليه الدورة الأولى للمجلس، في مجال تعميم استعمال اللغة العربية عقد المجلس ندوة وطنية بقصر الثقافة "مفدي زكريا" بالعاصمة، خصصت لواقع اللغة العربية في الإدارة المركزية حضرها ممثلو كل الوزارات وجاءوا بتقارير تعكس بالأرقام واقع تعميم استعمال اللغة العربية بقطاعاتهم ثم تلتها الندوة الثانية، التي عقدت بمدينة عنابة والتي عالجت مسألة توحيد المصطلح الإداري في الإدارة المحلية. والتي جمعت ممثلي الإدارة المحلية لولايات الوطن، واستمرت الأشغال لمدة يومين ومن أهم القرارات التي خرجت بها الندوة إعداد قاموس موحد للمصطلح الإداري.

وإثر انتها أشغال الندوة، عقد المجلس الدورة الثانية بمدينة عنابة، حيث قرر إنشاء مجموعات عمل تختص كل واحدة بمعالجة موضوع معين.

وتم إنشاء المجموعة المكلفة بتحضير معجم المصطلح الإداري، والتي باشرت عملها بعد تنصيبها من طرف رئيس المجلس حيث راسلت كل الوزارات المعنية والمؤسسات ذات العلاقة بتوفير المادة والاطلاع على التجارب السابقة، كما استعانت بخبراء في مجال المعلوماتية، لتتمكن من الوصول إلى التصور النهائي للعمل المتمثل في قاموس مكتوب، وقرص مضغوط.

كما قام مكتب المجلس في إطار مهامه المنصوص عليها في مرسوم إنشائه والمتعلقة بالمتابعة والتقويم بزيارات ميدانية شملت عدة ولايات من

مختلف جهات الوطن، للإطلاع عم وصلت إليه عملية التعميم والمشاكل التي تعترض وتواصلها ترقيتها.

وعقد المجلس دورته الثالثة في شهر نوفمبر 1999 والتي كانت دورة تقيمية لأعمال ونشاط المجلس خلال سنة.

وتمت فيها إعادة انتخاب هياكل المجلس المتمثلة في اللجان الدائمة التالية:

- لجنة التنسيق التوجيه والاتصال: برئاسة السيد محمد التهامي طوهر.
- لجنة المتابعة والتقويم والتطوير: برئاسة السيد يوسف حاشي.
- لجنة الدراسات والبرامج والتخطيط: برئاسة السيد محمد لحسن زغيدي

وكما خرجت الدورة بعدة توصيات تتعلق بنشاط المجلس وكيفية تجسيد مهامه وصادقت على البرنامج السنوي لسنة 2000.

وكذا رزمانة للمحاضرات نصف شهرية تتم بمقر المجلس بنشاطها بالإضافة إلى السادة أعضاء المجلس، علماء وخبراء في مجال اللغة العربية وعلومها داخل الوطن وخارجه على الشكل الاتي:

1- المتابعة والتشخيص :

مواصلة عملية التشخيص لواقع سير عملية تعميم استعمال اللغة العربية في الإدارات والهيئات والمؤسسات العمومية.

- تنظيم لقاءات مع هذه الهيئات للبحث في البرامج ومدى تنفيذها في الميدان.
- متابعة عملية تنفيذ البرامج القطاعية بمختلف الوسائل (المراسلات الزيارات...)

2- الدراسات والتخطيط

- **الطلب من الإدارات والهيئات العمومية إيفاد المجلس ببرامجها القطاعية.**
- **مواصلة إعداد المعجم الإداري والمالي والتقني.**
- **تجميع الوثائق الموجودة من تقارير وبرامج وكتيبات ومحاضرات ومعاجم مصطلحات على المستويين الوطني والعربي.**
- **مواصلة نشاط السنة الماضية الذي لم يتم إنجازه كليا.**
- **إنشاء مشاريع بحث تتعلق بترقية اللغة العربية وتعميم استعمالها.**
- **مواصلة عمل الورشات : ورشة المصطلح الإداري، ورشة تعريب العلوم الطبية والعلوم الدقيقة.**

3- الندوات والأيام الدراسية والإعلامية :

- **تنظيم ندوات جهوية تخص عملية تعميم استعمال اللغة العربية في الإدارات والمؤسسات والهيئات المحلية.**
- **تنظيم ندوة وطنية لترقية و توحيد المصطلح الإداري.**
- **تنظيم ندوة وطنية للمصطلح المالي والتقني.**
- **إقامة ندوة دولية حول عملية اللغة العربية وعالميتها.**
- **إقامة ندوة وطنية حول إتقان اللغة العربية في مراحل التعليم.**
- **إقامة ندوة حول مصطلحات الثورة الجزائرية.**

4- النشاط الثقافي :

- متابعة سلسلة المحاضرات النصف شهرية.
- إصدار عدديين من مجلة المجلس (اللغة العربية).
- إصدار عدد خاص بالموسم الثقافي.
- المساهمة في تشجيع ونشر الدراسات المتعلقة بترقية اللغة العربية.
- المساهمة في إعداد حصص شهرية متلفزة حول اللغة العربية.

5 المحاضرات :

** المحاضرات التي ألقيت بالمجلس :*

. الأستاذ الدكتور عبد الملك مرتاض رئيس المجلس الأعلى للغة العربية ألقى محاضرة بعنوان (صناعة المصطلح في العربية).

ـ الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكري عضو بالمجلس الأعلى للغة العربية وعميد الآداب بجامعة وهران ألقى محاضرة بعنوان (تفصيح العامية).

. الدكتور صالح بلعيد عضو بالمجلس الأعلى للغة العربية وأستاذ اللسانيات بجامعة تيزي وزو ألقى محاضرة بعنوان (اللغة العربية رهنات وتحديات).

. الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رئيس المركز الوطني للدراسات والبحث في اللغة العربية ألقى محاضرة بعنوان (الذخيرة اللغوية).

ـ الدكتور عبد المالك بوحجرة أستاذ في الإلكترونيك المركز الجامعي ولاية جيجل ألقى محاضرة بعنوان (الحظ العربي وواقع المعلوماتية)

*** االمحاضرات التي ستلقى بالمجلس:*

ـالدكتور عبد الجليل مرتاض أستاذ بجامعة تلمسان سيلقي محاضرة بعنوان (اللغة العربية والاتصال).

ـ الدكتور محمد التهامي الطواهر رئيس لجنة بالمجلس الاعلى للغة العربية وأستاذ الاقتصاد بجامعة الجزائر سيلقي محاضرة بعنوان (إشكالية المصطلح الاقتصادي في اللغة العربية).

ـالدكتور سعداني محمد الطيب رئيس الديوان بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي سيلقي محاضر بعنوان (اللغة والسلوك العلمي)

ـ الدكتور طاهر ميلة عضو بالمجلس الأعلى للغة العربية وأستاذ الأدب العربي بجامعة الجزائر سيلقي محاضر بعنوان إشكالية المصطلح الاقتصادي في اللغة العربية

ـ الدكتور طاهر ميلة عضو بالمجلس الإسلامي الأعلى الأخطاء الشائعة وأثرها السلبي في تدمير اللغة العربية

ـ الأستاذ محمد فارح عضو المجلس الإسلامي سيلقي محاضر بعنوان الأخطاء الشائعة وأثرها السلبي في تدمير اللغة العربية

ـ الأستاذ الدكتور عبد الله بوخلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة سيلقي محاضر بعنوان (الألقاب الجزائرية ودلالتها العربية).

ـ الدكتور جيلالي حلام أستاذ علوم اللغة بجامعة سيدي بلعباس سيلقي محاضر بعنوان (اللغة العربية والعولمة).

ـ الدكتور عمار ساسي أستاذ اللغة العربية جامعة البليدة سيلقي محاضر بعنوان (الألفية الثالثة واللسان العربي).

ـ الدكتور عبد الحميد حاجيات أستاذ تاريخ الحضارة الإسلامية جامعة تلمسان سيلقي محاضر بعنوان (في قضايا الترجمة).

الهوامش

1 André Lalande, Dictionnaire de philosophie ; Petit Larousse, terminologie.

2 Paul Robert, Dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française, terminologie.

3 مصطلح "تركيب" لابن منظور. ويطلق المعاصرون على هذا المعنى مصطلح "مادّة".

4 تراجع المستشرقة الألمانيّة سيقريد هونكي في كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب».

5 لقد ذكر ذلك أحد الأساتذة اليهود، في محاضرة ألقاها في النّدوة العالميّة التي انعقدت تحت عنوان: «الميراث الثقافيّ العربيّ في أوربا» وذلك عام أربعة وتسعين وتسعمائة وألف بجامعة ستراسبورغ للعلوم الإنسانيّة، بفرنسا.

6 الجاحظ، الحيوان، 3. 366.

7 النّسبة النّحويّة الصّحيحة إلى هذا الحرف "وَظَفِيّ" (مثل مدينة، مدَنيّ)؛ ولكنّنا جارينا الاِستعمال الشّائع في العربيّة المعاصرة.

8 أبو العبّاس المبرّد، الكامل في اللّغة والأدب، 1. 355. هذا، ويقال: إنّ صالح بن عبد الرّحمن كان يرى رأي الخوارج ويتكتّم عليه. وقد فتنته بنو أميّة.

9 كنّا أوّل الأمر أطلقنا على هذا المصطلح الدّريديّ »التّأجيل«؛ وبعد تبادل الرّأي، في جامعة وهران، مع الدّكتور أحمد يوسف استقرّ الرّأي على مصطلح »الإرجاء« قبل أن يغتديَ مصطلحاً من مصطلحات قانون »الوئام المدنيّ« في الجزائر.

10 نحن نميّز في النّسبة بين الرّياضيّ الذي هو إضافة إلى الرّياضة، والرّياضياتيّ الذي هو نسبة إلى علم الرّياضيّات.

11 سيبويه، الكتاب، 2. 70 ، تحقيق هرتويغ درنْبرغ، باريس، 1885.

12 Jean Dubois, et autres, Dictionnaire de linguistique, langue.

13 زعم لي الأستاذ محمّد فارح، في حديث حول بعض هذه الأمور التي كنت بصدد طرح بعضها في صلب البحث، أنّه يجوز أن نقول: »الخوصصة«؛ وقد استدلّ على ذلك بقولهم: اعشوشب المكان (من »عشب«) مثلاً. ونحن نشكّ في سلامة استعمال »الخوصصة«؛ لأنّ الاِعشيشاب، والاِخشيشان هو غير الخوصصة، بدليل أنّنا لا نقول: »اخصوصص« ولا »الاخصيصاص« نتيجة لذلك؛ فكيف، إذن، يجوز ما لا يجوز؟ ثم لماذا نلتمس طائلة من الطّوائل نحن في غنىً عنها؟ أم أليست »الخصخصة« قائمة على قياسها على استعمال »الحَصحَصة«، وعلى بعض ذلك قسنا نحن حين أنشأنا مصطلح »النّصنصة«؟ وإذا كان لفظ الاِعشيشاب لا بناء له على »فوْعل«، أي بحيث يقال منه: »عَوْشَبَ« كما يقال، خطأً في رأينا على الأقلّ، »خَوْصَصَ«؛ فكيف يجوز قياس شيء على شيء ليس من جنسه؟ والعرب تتجانف عن تكرار حرفين متجانسين متتالين فتحتال على الحيلولة بينهما بحرف آخر؛ كما رأينا في قولهم: »النّصنصة« و»العسعسة«؛ فما بال النّاس يجمعون، بعامّيّة بادية، بين الصّادين في لفظ »خوصصة« العامّيّ؟

14 الْمُرْجئة فرقة إسلاميّة مثل القدريّة وغيرها من الفرق الإسلاميّة تقول بعدم فقدان الإيمان بالخطيئة؛ وذلك على أساس أنّهم يرجون من اللّه أن يغفر للمخطئين ذنوبهم؛ وهي بذلك تناقض النّزعة الخارجيّة التي تكفّر صاحب الذنْب اللّمم...

15 يشكّ في عربيّة »الكابوس« بالمعنى الشّائع في العربيّة المعاصرة ترجمة للّفظ الفرنسيّ »Cauchemar«. ومن الأمثل أن نستعمل في اللّغة الأدبيّة على الأقلّ »الجاثوم« أو »الباروك«؛ وإن كنّا نميل إلى سلامة لفظ الكابوس بناء على معاني القوّة والصّلابة التي يؤدّيها في الدّلالة المعجميّة العربيّة.

[16] – هذا المشروع الأول للذخيرة اللغوية الذي تفضل الأستاذ بتقديمه للمؤتمر الواحد والستين (1985) لمجمع اللغة العربية بالقاهرة. نشر في عدد من المجلات العربية. ينظر :

مجلة المجمع الأردني للغة العربية لسنة 1986، وكذا مجلة المجمع العلمي العراقي لسنة 1988 م.

وقد تفضل الدكتور مذكور بالتنويه على المشروع بصفته رئيسا لاتحاد المجامع العربية لصاحب هذا البحث في رسالة بعثها له. كما نوه عليه أيضا الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع الملكي الأردني. ثم تبنى هذا المشروع اتحاد المجامع العربية في سنة 998 (وفضل الدكتور شوقي ضيف رئيس الاتحاد في ذلك والدكتور خليفة وسائر أعضاء الاتحاد كبير جدا.

[17] ويمكن أن يخصص جزء من الذخيرة للهجات العربية إذا وافق على ذلك المشاركون فيوكل إلى بعض المعاهد العربية المتخصصة القيام بمسح كامل لاستعمال العربية في مستواها اللهجي بالمنهجية المتعارف عليها في هذا الميدان، ويمكن أن تقام على هذه المدونة اللهجية دراسات مفيدة جدا بالنسبة للفصحى والعلم عامة منها :

- تحديد القدر المشترك بين الفصحى ولهجاتها القديمة والحديثة.
- اكتشاف أسماء الحيوانات والنباتات في الأقاليم المختلفة.
- اكتشاف المصطلحات العفوية الحضارية والحرفية والصناعية والفلاحية وغيرها الجارية في اللهجات.
- تحديد أوصاف النطق اللهجي ودراسة ظواهر الخفة في اللهجات.

[18] بذلك تعرف أولى درجات شيوع الكلمة جغرافيا في وقت معين، وثانيا ترددها بالنسبة إلى عصر واحد أو مؤلف واحد. ويمكن أن يحصر السؤال : هل وردت (س) في العصر العباسي وأين أو عند الجاحظ وأين وما هي السياقات في كل حالة وغيرها من الأسئلة.

4 وبذلك تعرف المعاني الأساسية الشائعة لكل صيغة بدون استثناء.

[5] أنشأتها الندوة الأولى التي انعقدت في الجزائر

[20] – يوهان فك، العربية، ترجمة د. عبد الرحمن النجار، دار الكتاب العربي، القاهرة 1951، ص 234.

[21] – من كلمة الدكتور إبراهيم مذكور رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته المنعقدة في 1976/02/23.

* – هو السفير كمال الدين صلاح، وقد أقام له الصوماليون بعد ذلك تمثالا في العاصمة مقديشو.

[22] – مجلة العربي، العدد 233، أبريل 1976.

[23] – تقرير مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثانية والأربعين المنعقدة في 1976/02/23.

[24] – مجلة العربي، العدد 233 أبريل 1976.

[25] – مجلة العربي، العدد 833، أبريل 1978.

[26] – كتاب الدورة 43 للمجمع اللغوي بالقاهرة، طبعة الهيئة العامة للشؤون 1978، ص 16.

[27] – نفس المرجع، نفس الصفحة.

[28] – من خطابه بمناسبة تدشين معهد العالم العربي، بباريس في 1990/01/10.

[29] – محمد عابد الجابري قضايا في الفكر المعاصر (بيروت: م.د.و.ع.1998) ص 136.

[30] – السيد يسين العرب والعولمة (بيروت: م.د.و.ع 1998) ص 24-25.

[31] – المرجع السابق ص .25

4-محمد عابد الجابري قضايا في الفكر المعاصر، ص 135

5-السيد يسين، العرب والعولمة، ص 26.

[34] – المرجع السابق.

7- الهوية والعولمة (الملتقى الدولي بالرباط – مايو – 1997).

[36] – المرجع السابق.

[37] – جميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1973) ص22-23

[38] – المرجع السابق: ص 112-113.

[39] – المرجع السابق: ص 112-113.

[40] – د.علي ماضي، فلسفة في التربية والحرية (بيروت: دار المسيرة، 1979) ص 147.

[41] – للتوضيح" ينظر يحيى هلال "العلاج الآلي للعربية وتطبيقات" مجلة التواصل اللساني. الدار البيضاء 1990، مطبعة النجاح الجديدة، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص 21.

[42] – نذكر بالمقاييس التي تدرس الآن في العلوم اللغوية، وتعمل كلها على نمذجة اللغات لاستخدامها في الحواسيب:

- النحو الوظيفي.
- النحو الطبقي.
- النحو العلاقي.
- النحو التوليدي التحويلي.

- النحو الإعرابي.
- نظرية الربط العاملي.
- نحو شبكات الانتقال المعززة.
- النحو المقولي.
- نحو البنية العامة للجملة.
- نحو توحيدي ترابطي.
- نحو بنية الجملة المعتمدة على الرأس...

[43] – نبيل علي "المجامع العربية والحاسوب" الموسم الثقافي الثامن، ط1. عمان: 1990، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص 123-124.

[44] – هناك بنوك معطيات بسيطة، وتعدّ قليلة قياساً بما تتوفّر عليه فرنسا وحدها مثلاً:
- بنك باسم السعودي BASM عمل الأستاذ محمود إسماعيل صيني.
- مصطلحات الاتّصال RAB عمل الأستاذ رشاد الحمزاوي.
- بنك بيت الحكمة بتونس.
- بنك لجنة توحيد المصطلحات العسكرية السورية.
- بنك صخر العربي.
- ما تنتجه شركة العالمية.

إضافة إلى ما يستقبل في الوطن العربي عن طريق Internet و إنترايت العربية. ولكن هذا ليس كافياً وليس قياساً بالغرب، بل قياساً بالثورة الهائلة والمعلومات المطروحة في كل مكان تلاحقنا بالعلم حيثما تواجدنا أو ارتحلنا.

[45] – عبد المجيد نصير "التعريب ضرورة تنموية" الموسم الثقافي الثامن، ط1. عمان: 1991، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص 18.

[46] – Escarpit, Introduction à la théorie générale du l’information et de la communication. Paris: 1976, Hachette , p 100.

---

[47] – ميلود حبيبي، الاتّصال التربوي وتدريس الأدب دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق. ط1. الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص 73.

[48] – عمر فروخ "فجر الإعلام في اللغة العربية" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: 1979، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الجزء 43، ص 35.

[49] – أحمد عبد الستار "اللغة المصفاة" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: 1983، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الجزء 51، ص 110.

[50] – عبد الله كنون "الصحافة وتجديد اللغة" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: 1983، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الجزء 51، ص 126.

[51] –الخبر: وجب أن تكون العناية به صوغاً وأداءً من حيث سلامة لغته وجودة أدائه، منه يأتي الخطأ الذي يصبح عدوى اللغة.

[52] – ينظر: مقالتي الموسومة " رأي في تعميم استعمال اللغة العربية" مجلة التعريب. سوريا: 1998، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر العدد 16.

1 – نقصد بكلمة الدخيل ما يقصده اللغويون القدامى، وهو الكلمات التي تدخل اللغة العربية وتحتفظ ببعض خصائصها الصوتية والصرفية.

2 – لقد قمنا بهذا الجرد .

3 –انظر الإعلانات الواردة مثلا في جريدتي الأهرام والخبر، ولاسيما الاقتصادية منها.

4 –راجع على سبيل المثال عرس الزين، للطيب صالح.

5 – إبراهيم اليازجي، مجلة الضياء، سنة 1900، 2/ 249-250.

6 – مقدمة معجم الحضارة، ص. 10.

7 – انظر المصدر السابق وكذلك معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

8 – إن هذه الأمثلة وغيرها موثقة، ستقدم كملحق ضمن دراسة جامعية.

9 – ارجع فيما يتصل بهذا الموضع، على سبيل المثال إلى:

-بدري عثمان، وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، أطروحة دكتوراه الدولة في الدب العربي الحديث، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1996-1997، ص 112 فما فوق.

-فتح الله أحمد سليمان، الفكر اللغوي وألفاظ الحضارة عند محمد تيمور، مكتبة الآداب، القاهرة، 1993، ص 10 فما فوق.

10 -محمود تيمور، القصة في الأدب العرب ص25. نقلا عن المرجع السابق،ص..14

11 -فتح الله احمد سليمان، المرجع السابق، ص .13

12 -ارجع في هذا الموضوع إلى:

- مصطفى السيد، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي بيروت، .1981

- عبد العزيز شرف، العربية لغة الإعلام، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، 1983.

13 -محمد خلف الله أحمد ومحمد شوقي أمين، مجموعة القرارات العلمية، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، .1971

14 -انظر في هذا الموضوع مقدمة كتاب:

Les langues dans l'europe de demain., sous la direction de Fernand Carton et J.M oderic Delefense, presse de la Sorbonne Nouvelle, Paris, 1994.

53 - في النسب الذي اختاره لنفسه، أما عشيرته بجميع أسرها، فتنتمي إلى حمادة بن إبراهيم من أولاد يحيى بن مساهل. ويحيى هذا هو الذي وفد على أحد بطون ريغة بين "رأس الواد" و "قصر الصقر"، والعامة تسميه"قصر الطير"، بالقرب من سطيف.

54 - ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان (188/4) وذكر أن أبا عبد الله الغديري المؤدب العابد ينسب إليه.

55 – منها شروح ألفية ابن مالك كالمكودي وابن عقيل والأشموني.
وبعض كتب ابن هشام كالقطر والمغني وشذور الذهب، والتصريح للأزهري.
وشروح خليل (الدردير والزرقاني والخرشي).
وبعض شروح رسالة ابن أبي زيد القيرواني وابن عاشر والعاصمية.
وبعض كتب الأصول كشروح جمع الجوامع للسبكي وكالمستصفي للغزال.
وبعض كتب الفرائض كشروح الرحبية والدرة وكتاب الترتيب وكان معجبا به.
وبعض كتب المنطق (إيساغوجي للأبهري والسلم للأخضري).
وشروح السعد: سعد الدين التفتازاني (وبه سمي أخي).
والمصباح المنير للفيومي، ومختار الصحاح للإمام الرازي (وبه سميت).
ومجموع المتون وغيره من المصنفات المتداولة في الأزهر والزيتونة والقرويين، ومن أمهات الكتب كالعمدة لابن رشيق والعقد الفريد لابن عبد ربه في طبعات قديمة غير محققة.

56– الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون (المعاني والبيان والبديع)، نظم فيه تلخيص المفتاح.
57 – السلم المروتق: نظم فيه إيساغوجي (كتاب المنطق للأبهري).
58 – نظم السراج في علم الفلك.

59 – حازم بن محمد بن الحسن، الأنصاري القرطاجي، ناظم "المقصورة"، وهي أرجوزة تبلغ 1006 أبيات، مدح بها المنتصر الحفصي. شرحها كثيرون، ومنهم الشريف الغرناطي، سمي شرحه "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة". وهو الوحيد الذي وصلنا.
60 – محمد بن أحمد.

[61] التعليقات الوفية بشرح الدرة الألفية للشريشي
مخطوط بمكتبة ليبزج ألمانيا تحت رقم 210

[62] دائرة المعارف الإسلامية ج1 ص 280
نقلها إلى العربية محمد ثابت الفند بيروت 1933

[63] سورة الأعراب آية 7
[64] الفصول الخمسون لابن معط ص 81 تحقيق محمود محمد الطناحي القاهرة 1977

[65] نفسه ص 79
[66] شرح ألفية ابن معطي ج2 ص 784 تحقيق علي موسى الشوملى *الرياض 1985

[67] نفسه ج2 ص 970

[68] الكتاب لسيبويه ج1 ص 348 تحقيق عبد السلام هارون القاهرة 1966
[69] خزانة الأدب لابن حجة الحموي ج4 ص 442
شرح عصام شعيتو لبنان ط1 1987
– المقتضب للمبرد ج3 ص 28 تحقيق عبد الخالق عظيمة
القاهرة طبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

[70] التكملة لأبى علي الفارسي ج2 ص 103 تحقيق حسن شاذلي فرهود الجزائر 1984
[71] الخزانة ج4 ص 442 – المقتضب للمبرد ج3 ص 28
[72] مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لأبن هشام الأنصاري ج1 ص 61-62

تحقيق مازن المبارك – دمشق 1964* حاشية الصبان للأشموني ج3 ص 109 القاهرة 1306هـ

[73] **المقتضب ج3 ص 28**

[74] **الأشباه و النظائر للسيوطي ج1 ص 304 حققه طه عبد الرؤوف سعد * القاهرة 1975**

[75] **شرح ألفية ابن معطي ج1 ص 588**

[76] **سيبويه ج2 ص 45**

[77] **شرح ألفية ابن معطي ج1 ص 383**

[78] **الإيضاح لأبني علي الفارسي ص 47 تحقيق د. حسن شاذلي فرهود القاهرة 1969**

[79] **المغنى ج1 ص 373**

[80] **سيبويه ج1 ص 7**

[81] **شرح ألفية ابن معطي ج1 ص 54**

[82] **همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي ج1 ص 39 تحقيق بدر الدين الغساني مصر دار السعادة 1377 هـ**

[83] **الإنصاف ج1 ص 17 – الأشموني ج1 ص 36**

[84] **المدارس النحوية د. شوقي ضيف ص 36 مصر دار المعارف 1968**

[85] **الفصول لأبن معطي ص 81**

[86] **مغنى اللبيب ج1 ص 205**

[87] **الأشباه و النظائر للسيوطي ج4 ص 118**

[88] **شرح ألفية ابن معطي ج1 ص 217**

[89] **الفصول ص 15**

[90] **الإنصاف ج1 ص 213**

[91] **سورة هود آية 8**

[92] الإنصاف ج1 ص 92 - سيبويه ج1 ص 28-45

[93] البقرة آية 14

[94] شرح ألفية ابن معطي ج1 ص 545

[95] نفسه ج1 ص 620

[96] الفصول ص 198 - 200

[97] شرح الألفية ج1 ص 67

98 مكانة اللغة العربية ومشكلات الترجمة والتعريب والتأليف الذاتية. ا.د. عبر الكريم اليافي، عضو مجمع اللغة العربية، دمشق، مجلة التعريب، السنة الأولى، عدد 1 ص. 19

99 وهو العمل الذي نهضت به الحضارة العربية الإسلامية التي اعتمدت الترجمة في نقل ما توصلت إليه حضارات الكون في المجال العلمي والثقافي والفلسفي من تقدم وازدهار

(+)* أنظر : C. Lopez Alonso et A.Sere De olmos : Où en est la linguistique – Entretiens avec des linguistes, Didier Erudition 1992, pp. 77-95 ;